# لا تفكر فى فيل

## الخطاب السياسى بين المحافظين والتقدمين


تأليف: جورج ليكوف

تصدير: هوارد دين





تقديم: دون هازن

ترجمة: طارق النعمان



2237

المركز القومى للترجمة




# لا تفكر فى فيل

## الخطاب السياسى بين المحافظين والتقدميين

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2237
- لا تفكر فى فيل: الخطاب السياسى بين المحافظين والتقدميين
(دليل عمل أساسى للتقدميين)
- جورج ليكوف
- هوارد دين
- دون هازن
- طارق النعمان
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:
Don't Think of an Elephant!
Know your Values and Frame the Debate
By: George Lakoff

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

# لا تفكر في فيل

## الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدميين


تـــألـــيـــف : جـــورج لـيكـوف

تصـــديـــــر : هـــــــوارد ديــــن

تــــقــــديم: دون هـــــــــازن

تـــرجـــمـــة : طـــارق الـنـعـمـان



2015

**بطاقة الفهرسة**
**إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**
**إدارة الشئون الفنية**

ليكوف ، جورج
لا تفكر فى فيل: الخطاب السياسى بين المحافظين والتقدميين / تأليف: جورج ليكوف؛ تصدير: هوارد دين ؛ تقديم: دون هازن ؛ ترجمة: طارق النعمان.
القاهرة - المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥
ص : ٢٤ سم
١ - الخطب السياسية
(أ) دين، هوارد (كاتب تصدير)
(ب) هازن، دون (مقدم)
(جـ) النعمان، طارق (مترجم)
(د) العنوان ٣٢٠,٠٤

رقم الإيداع ٢٢١٩ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى 978-977-92-0068-2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

# المحتويات



## القسم الأول: النظرية والتطبيق



## القسم الثاني من النظرية إلى الفعل

إهـداء المترجـم

إلى ذكرى آمال طنطاوي

علامة وصل، وفقد، وانتظار

# تقديم المترجم

يمثِّل جورج ليكوف حالة فريدة لعناق العالِم بالسياسي، أو بالأحرى لعناق السياسى بالعالِم. فهو عالم للغويات المعرفية، إلا أنه ليس أى عالم، بل إنه واحد من أبرز مؤسِّسيها ورائد من روادها الأوائل، أرسى العديد من مفاهيمها ومبادئها وأدواتها التحليلية. ويكفي أن نشير إلى قائمة أعماله الأساسية لنعرف ما يمثِّله من قيمة فى هذا الحقل، وما تمثِّله دراساته المشتركة أو المنفردة من إسهام فى تغيير وجه الدراسات اللغوية بعامة ودراسات المجاز والاستعارة والدلالة على وجه الخصوص. إذ يمكن القول إن دراساته للمجاز والاستعارة قد أخذت تشكِّل حدًا فاصلاً وعلامة فارقة فى التاريخ الإنسانى والمعرفى لدراسة الظاهرة المجازية، سواء فى تجلياتها اللغوية أو غير اللغوية. وتكفى الإشارة هنا إلى كتابه المشترك مع مارك جونسون الاستعارات التى نحيا بها وما نتج عنه من تحول فى منظور دراسات الاستعارة والمجاز سواء على المستوى النظرى أو على المستوى التطبيقي. وهو ما أخذ يشكِّل فى ذاته بداية تاريخ جديد لدراسة الاستعارة والكناية والمجاز فى العالم أجمع. كما يأتى سفره الضخم النساء والنار وأشياء خطرة: ماالذى تكشفه الفئات التصنيفية حول العقل ليحوِّل المنظور التقليدى لدراسة الفئات التصورية ويقدِّم مفهوم الفئات المشعة، والنماذج المعرفية المؤمثلة، والنماذج الكنائية، والصور النمطية، وسواها من المفاهيم والقضايا التى تقلب المنظور التقليدى للدلالة رأسًا على عقب. مثلما يأتى كتابه المشترك مع مارك تيرنر أكثر من العقل الهادئ: دليل ميدانى للاستعارة الشعرية ليكشف لنا كيف أن النظرية المعرفية فى دراسة الاستعارة والمجاز ليست قاصرة فى إمكانية تطبيقها على استعارات ومجازات وكنايات الحياة اليومية فحسب مثلما قد يتوهم البعض، وأنها قادرة على توليد قراءات وتفسيرات بالغة الثراء والعمق للنصوص الأدبية. هذا فضلاً عن دراسته الشهيرة النظرية المعاصرة للاستعارة

التى يوجز فيها نظرية الاستعارة التصورية بكل تركيبها وكثافتها بدقة لافتة. كل هذا إلى جانب كتابه الفريد فى بابه السياسة الأخلاقية: كيف يفكِّر الليبراليون والمحافظون، والذى يصف لنا كيف بدأ يتولد مشروعه فى ذهنه من خلال حوار بينه وبين أحد أصدقائه؛ إذ على حد عباراته "لقد بدأ هذا الكتاب بمحادثة فى حديقتى منذ عدة سنوات مع صديقى بول باؤم. لقد سألتُ بول إذا ما كان يستطيع أن يصوغ سؤالاً مفردًا يكون جوابه مؤشرًا على تعارض التوجهات السياسية الليبرالية مع التوجهات السياسية المحافظة. وقد أتى رده هكذا: لو أن طفلك بكى ليلاً، هل ستذهب إليه لتحمله؟ وقد قادت محاولة فهم جوابه إلى هذا الكتاب."، وهنا يتكشف لنا أننا إزاء معرفة حية وطازجة، معرفة تتفاعل فيها المفاهيم والنظريات والإجراءات مع الواقع المعيش فى أدق تفاصيله وتفاعلاته. حيث نجد أنه قد أخذ يتبين لليكوف أن هذا التعارض بين المحافظين والليبراليين هو أكثر من مجرد تعارض بين حزبين أو تعارض مصالح، وإنما هو تعارض بين طريقتين فى فهم العالم، أى بين رؤيتين للعالم. وأن هذا التعارض يمضى إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، ذلك أنه تعارض أخلاقى بالأساس. وهو يدور حول ما تعتقد أنه يجعل من شخص شخصًا "خيرًا" وما هو الفعل "الصائب" الذى عليك أن تفعله. بل إنه يمضى حتى إلى ما هو أعمق من ذلك: إذ إنه فى النهاية تعارض قائم حول الأسرة، حول ما تتصور أنه يمثِّل نوع الأسرة المناسب - حول إذا ما كان والداك والدين طيبين، وكنتَ أنت والدًا طيبًا لأطفالك، ونشِّئت تنشئة صالحة. إذ يتكشف التعارض السياسى عن كونه تعارضًا شخصيًا. ويرتبط بنوع الشخص الذى تكونه.

لقد اكتشف ليكوف أن التعارض بين المحافظين و / الليبراليين هو فى النهاية تعارض بين الصرامة و / الرعاية كنموذجين مثاليين فى كل المستويات - من الأسرة إلى الأخلاقيات إلى الدين، وأخيرًا إلى السياسة. وفى السياق ذاته يخبرنا ليكوف أنه كان فى هذه الفترة يعمل على رصد العناصر المكونة للنسق التصورى الأخلاقى للأمريكيين، خصوصًا نسق الاستعارات الخاصة بالأخلاق، وقد بدا له أن الليبراليين والمحافظين يملكون أنساقًا أخلاقية مختلفة جدًا، وأن الكثير من الخطاب السياسى للمحافظين والليبراليين يُستمَد من أنساقهما الأخلاقية. إلا أن ما بدا مثيرًا بالنسبة إليه هو أنهما

يستخدمان الاستعارات ذاتها للأخلاقيات لكن بتفضيلات مختلفة، بل تكاد تكون متعارضة. وعند هذا الحد، بدأ ليكوف يطرح سؤالاً لم يكن جوابه واضحًا فى البداية، وهو: ما الذى يوحِّد كل قائمة من قائمتى الأولويات الأخلاقية؟ هل توجد فكرة ما أعم تقود المحافظين إلى أن يختاروا منظومة واحدة من التفضيلات الاستعارية للتفكير فى الأخلاقيات، وأخرى لليبراليين؟ لكن ما أن طُرِح السؤال، حتى برز الجواب سريعًا. وقد تمثَّل الجواب فيما يتحدث عنه المحافظون بلا توقف: الأسرة. ذلك أن نموذجى الأسرة الراسخين عميقًا فى سياسات المحافظين والليبراليين هما نموذجان مختلفان. إن النزعة المحافظة، كما يتضح، قائمة على نموذج **الأب الصارم** **a Strict Father model**، هذا فى حين أن النزعة الليبرالية متمركزة على نموذج **الوالدية الراعية** **a Nurturant Parent model**. وهذان النموذجان للأسرة يولِّدان أنساقًا أخلاقية مختلفة وأشكال خطاب مختلفة، أى اختيارات مختلفة للكلمات وصيغ مختلفة للتفكير، تنعكس بدورها على مجمل القضايا السياسية المتنازع عليها من الضمان الاجتماعي، إلى الإجهاض، إلى البيئة، إلى الضرائب، الى انتشار الأسلحة، إلى السياسة الخارجية ... الخ.

وما أن يُلاحظ هذا، حتى ينشأ سؤال أعمق، وهو: هل نستطيع أن نفسِّر ما يوحِّد مجموعات المواقف السياسية المحافظة والليبرالية؟ هل نموذجا الأسرة والأنساق الأخلاقية القائمة على الأسرة تتيح للمرء أن يفسِّر لماذا يتخذ الليبراليون والمحافظون المواقف التى يتخذونها فى قضايا معيَّنة؟ إن إجابات هذه الأسئلة حاضرة بشكل مفصَّل فى السياسة الأخلاقية من خلال رصد الاستعارات المركزية فى خطاب كل طرف من الطرفين. وهو ما نجد أصداءه حاضرة بشكل موجز فى الكتاب الراهن، الذى يأتى كنوع من التكثيف والتبسيط للكتاب السالف. إن ليكوف يقدِّم الكتاب الحالى بوصفه دليل عمل للتقدميين، من أجل الحفاظ على قيم أمريكا الأكثر تقدمية أو بالأحرى للحفاظ على قيم أمريكا التقليدية، إذ لا تعارض لديه بين الاثنين؛ حيث يرى، فى العديد من أعماله، أن قيم أمريكا التقليدية هى قيمها الأكثر تقدمية. ولكى نعرف كيف استقبل هذا الكتاب يكفى أن نعرف أنه قد حظى بأن وُضِع على قائمة أعلى المبيعات للنيورك تايمز، وأصبح كتابًا يطلبه كبار الساسة والجماهير بقدر ما يطلبه الدارسون فى مجالى اللغة والسياسة. إلا أن قائمة

أعمال ليكوف لا تقف عند هذا الحد، بل إنها تطول لتشمل نتاجًا متنوعًا ما بين الدراسات المعرفية الخالصة مثل الفلسفة في الجسد: العقل المجسدن وتحديه للفكر الغربي بالاشتراك مع مارك جونسون والذي يمثِّل سفرًا ضخمًا يُطبِّق فيه ليكوف وجونسون خلاصة دراساتهما المعرفية على مدار أكثر من ربع قرن على دراسة البنى الاستعارية الحاكمة للفلسفة الغربية منذ ما قبل سقراط وصولاً إلى تشومسكي وروورتي، ومرورًا بكوكبة هائلة من الفلاسفة والمفاهيم الفلسفية، على السواء. هذا بالإضافة إلى دراسة البنى الاستعارية للرياضيات على نحو ما نجد في من أين تأتي الرياضيات: كيف يوجد العقل المُجسْدن الرياضيات بالاشتراك مع رافائيل نونيز. هذا إلى جانب دراسة الخطاب السياسي، والدراسات السياسية الخالصة التي توظِّف العلوم المعرفية وعلى رأسها الدلاليات المعرفية، وخصوصًا دلاليات الإطار والاستعارة التصورية، في قراءة الخطابات السياسية للمحافظين والتقدميين، على نحو ما نجد في نقاط للتفكير: توصيل قيمنا ورؤانا الأمريكية، وفي حرية من: المعركة حول أهم فكرة في أمريكا، وكذلك في العقل السياسي: لماذا لا تستطيع أن تفهم السياسة الأمريكية للقرن الواحد والعشرين بمخ القرن الثامن عشر، وفي الكتاب الأزرق الصغير: الدليل الأساسي للتفكير والحديث الديموقراطي الذي يشترك فيه مع إلساباث ويلنج. هذا فضلاً عن عشرات المقالات، ومئات المقابلات الإذاعية والتليفزيونية والصحفية. ذلك أن ليكوف قد تحول إلى نجم بالمعنى الثقافي والسياسي والأكاديمي، وأصبح مطلوبًا من كبار الساسة الديموقراطيين، فضلاً عما يقوم به من أدوار مرموقة في معهد روكريدج الذي هو معهد متخصص للدراسات السياسية للديموقراطيين والتقدميين في أمريكا. لقد أصبح ليكوف نجمًا تتبعه وسائل الإعلام أينما حل، كما أصبح أيضًا يجوب أمريكا من أقصاها إلى أقصاها ليساعد على استعادة لغة أمريكا التي سرقها وسلبها المحافظون، ولينشر القيم الأمريكية التقدمية ويعلِّم الجماهير كيف يؤطِّرون خطاباتهم في مواجهة المحافظين الذين كانوا أكثر تنظيمًا منهم وأكثر قدرة على توظيف بلاغتهم السياسية في مواجهة الديموقراطيين والتقدميين. إن عمل ليكوف الراهن يكشف لنا إلى أي مدى يحتاج العالِم أن يكون مُسلَّحًا بموقف سياسي متقدم من واقعه وعالمه بقدر ما يكشف لنا أيضًا أهمية العلم بالنسبة للسياسة والأدوار البالغة الأهمية التي يمكن

أن يلعبها العلم فى مواجهة تلاعبات ومناورات السياسة والسياسيين. إن هذا الكتاب يكشف، ضمن أشياء عديدة لا مجال لذكرها هنا، خطورة التأطير فى التأثير على الجماهير، بقدر ما يكشف لنا أيضًا خطورة عدم التأطير، فضلاً عن خطورة الاستعارات المستخدمة فى الخطابات السياسية، وخطورة ما يُنعَت باللغة الأورويلية التى تضمر عكس ما تُعلِن. إنه كتاب صغير إلا أنه خطير فى محتواه وتداعياته، ولا أدل على ذلك مما يكشفه لنا من أن الناخبين لا يصوِّتون لمصالحهم بقدر ما يصوِّتون لقيمهم، وهوياتهم، وأطرهم المألوفة؛ ذلك أن الحقائق والوقائع وحدها لا تكفى لتحريرنا، وإنما لا بد من الأطر التى تُعرَض من خلالها هذه الحقائق أو تلك الوقائع، ولا بد من البحث عن الأطر الأكثر فعالية فى عرض هذه الوقائع أو تلك الحقائق. إن هذا الكشف يُفترض أن يدفع كل القوى التقدمية فى مصر والعالم العربى إلى أن تعيد النظر فى أساليب تواصلها مع الجماهير، وفى اللغة التى تستخدمها واللغة التى يستخدمها خصومها، وتعيد تأطير قيمها إذا ما كانت تريد لهذه القيم أن تسود فى مواجهة خطابات التخلف والكراهية والظلام التى مازالت تتناثر وتتكاثف فى فضائاتنا لتكتسب كل يوم أرضًا جديدة، ربما بسبب أخطائنا نحن أكثر مما هو بسبب نجاعة هذه الخطابات. ولا شك أن القارئ سوف يجد العديد من أوجه الشبه بين أساليب المحافظين فى أمريكا وأساليب قوى الظلامية والجهالة فى مجتمعاتنا العربية، وخصوصًا فى مصر. ولقد مثّلت هذه التشابهات على وجه الخصوص الدافع الحقيقى لى فى ترجمة هذا الكتاب. وأخيرًا لا يسعنى سوى أن أتوجه بخالص الشكر والامتنان لكل الأصدقاء الذين شجعونى على ترجمة هذا الكتاب، وأخص بالذكر منهم زوجتى وصديقتى الحبيبة آمال طنطاوى التى أهدى إلى ذكراها الغالية هذه الترجمة، وأدهم وعمرو أجمل ما تركته لى آمال وقد آثرتْ الغياب، والصديق الأصيل والحبيب الأستاذ الدكتور شاكر عبد الحميد الذى رافق رحلة ترجمة هذا الكتاب ونحن معًا فى البحرين، والصديق الرائع الأستاذ الدكتور فؤاد شهاب، والأصدقاء الأحباء والأصلاء: محمد الرخاوي، ولميس النقاش، وسعيد المصري، وخيرى دومة الذين كانوا دومًا مثلاً للأخوة والصداقة والونس العلمى والإنساني.

# تصديـــر

لو كان الديموقراطيون قد قرأوا جورج ليكوف منذ سنوات قليلة، ربما لم نكن فى الوضع الذى وجدنا أنفسنا فيه اليوم: بعيدين عن البيت الأبيض، وبعيدين عن التأثير فى الكونجرس، وبعيدين عن التأثير فى القضاء.

لقد كتب ليكوف، بلغة يستطيع أن يفهمها الليبراليون، ما أدركه منذ زمن طويل رالف ريد ونيوت جينجرتش، وفرانك لونتز بشكل حدسي؛ وهو أن اللغة تعنى الكثير.

ذلك أنه بتحديد مفهوم مثل تخفيف الضرائب لا يفرض الجناح اليمينى للحزب الجمهورى فقط كلمات المناظرة، بل إنهم يحتلون الموقع الأعلى. إذ بتعريفهم تخفيض الضرائب **tax cuts** بوصفه تخفيفًا للضرائب **tax relief**، يحدِّد اليمين أيضًا أولئك الذين يناهضون تخفيض الضرائب بوصفهم أناسًا أشرارًا.

وإذا كان هذا يربكك، فإنك لا محالة تحتاج أن تقرأ هذا الكتاب. ذلك أن استبصارات ليكوف لن تبعث فيك فقط دهشة الإدراك، بل الأهم من ذلك أنه يرينا السبيل للخروج من المستنقع. فالأمريكيون الذين يريدون أن يكونوا الأسبق فى وضع الأجندة يحتاجون أن يكونوا سراعًا، ويجب أن يفهموا استخدام اللغة. كما يحتاج واضعو الأجندة أيضًا ألا يكونوا اعتذاريين وغير هيابين.

إن جورج ليكوف سيصبح واحدًا من أكثر المفكرين السياسيين تأثيرًا فى الحركة التقدمية حين يُكتب تاريخ هذا القرن. وعلى من يرغبون فى التغيير أن يفيدوا من هذه الاستبصارات الفريدة.

**هوارد دين**

التصحيح اللغوي : أسماء الشاذلي

الإشــراف الفنى : حســن كامل

**إلـــــى**

كاثلين، وآندي، وإيزرا، وهيرا

# تقديم

لقد كانت هزيمة الديمرقراطيين فى نوفمبر ٢٠٠٤ صدمة هائلة لكثيرين. فى البداية حل الإحباط ثم تلاه نهوض سريع. وقد أراد ملايين التقدميين أن يعرفوا ماذا حدث وما الذى يستطيعون أن يفعلوه. لقد أدرك كثيرون أن التكتيك القديم ذاته المتمثل ببساطة فى استهداف الناخبين برسالة قوية مناهضة لبوش ليس كافيًا.

وكما أبرزتْ على نحو دراماتيكى استطلاعات الرأي، فإن أمريكيين كثيرين صوَّتوا انطلاقًا من هويتهم وقيمهم الأخلاقية، غالبًا على حساب مصالحهم الاقتصادية؛ إلا أن التواصل حول القيم شيء لا يتقنه الديمرقواطيون. فالحقائق والإحصائيات الدامغة والانتصارات فى المناظرات وعرض سياسات جديدة لم تترجم إلى أصوات كافية لنجاح كيري. ومع تجاوز الانتخابات، ووضعها وراءنا يبدو واضحًا أكثر وأكثر أن أفكار ليكوف فى القلب من العمل الذى نحتاج أن نقوم به على الفور.

إن التقدميين يحتاجون أن ينجزوا العمل الشاق الخاص بتحديد قيمنا وإعادة تأطير الجدال السياسي.

إذ إننا نحتاج أن نعلن تلك القيم والرسائل مبكرًا وكثيرًا. وبالنسبة لأولئك الذين يرغبون فى أن يعيدوا التفكير فى السياسة ويمارسوها من جديد لن توجد بداية أفضل من الكتاب الذى بين يديك الآن.

منذ فترة غير بعيدة، كان جورج ليكوف غير معروف نسبيًا، وإن كان مثار إعجاب فى الدوائر الأكاديمية ومقدَّرًا من مجموعة صغيرة من التقدميين والعاملين فى وسائل الإعلام. إلا أن ليكوف كان له بوضوح مذاق مميَّز النكهة، فأفكاره التى لم تكن قد وصلت بعد للناس كانت تقتضى إحداث تغيير حقيقي: لدى التقدميين فى كل أمريكا.

إلا أن الوضع لم يعد كما كان، إذ أصبح جورج ليكوف على طريق الشهرة وذيوع الصيت، فهو الآن مقروء ومسموع من مرشّحي الرئاسة، والكونجرس، وقيادات الجماعات الوطنية الأساسية، وبشكل أخذ في التزايد من عموم الأمريكيين. إذ وضع هذا الكتاب أفكار ليكوف حول علم وفن التأطير للجماهير ضمن التيارات المعروفة للفكر السياسي، على نحو

ما يشهد تقدمه لقوائم أفضل المبيعات على امتداد أمريكا خلال أسابيع من صدوره، وهذا بدون وجود أية ميزانية مخصّصة للدعاية له!

وإذا كنتَ، عزيزي القارئ، تهتم بالتغيير الاجتماعي، فإن جزءًا من مهمتك هو مواصلة هذا "التسويق الفيروسي" "viral marketing" وللمساعدة على انتشار أفكار هذا الكتاب، اشترِ عشر نسخ ووزّعها على الأصدقاء والأسرة وحلفائك في العمل من أجل التغيير.

إذ لو أننا حقًا جادون بخصوص تغيير بلدنا، لو أننا نعتزم فعلاً أن نستردها من أيدي الأصوليين في الجناح اليميني، فإن هذا الكتاب يمثل نقطة لا غنى عنها من أجل البداية. ذلك أن الصراع سيستمر. وقد بدأ اليمينيون؛ وسبقوا، إلا أننا نستطيع اللحاق سريعًا.

وإذا أنجزنا هذا على النحو الصحيح، فإن حيواتنا لن تعود كما كانت.

إن التأثير والقبول المتزايدين لليكوف حدث لأسباب متعددة. أولاً، في عام ٢٠٠٠، وجدنا أنفسنا، التقدميين والمستقلين، فجأة في كابوس. إذ بعد أن منحت المحكمة العليا الانتخابات لجورج دبليو بوش، أصبح الجمهوريون قابضين فعليًا على كل شيء. إلا أننا كنا نعلم في دواخلنا أن أفكارهم كانت بعيدة عن التيار السائد، وأن كل الأشياء لم تعد تعمل على النحو الصحيح. لقد وجدنا أنفسنا نحيا في بلد أصبح ما كان يعد فيه منذ عقد مضى تطرفًا يشكّل الآن سياسة وطنية. فكيف تأتّى لهذا أن يحدث؟

في الوقت الذي كنا نحاول فيه أن نستكشف ما حدث، كان الشخص الوحيد الذي لديه أفضل تفسير، وعرف طول الوقت أن التحول الجذري للجناح اليميني قادم هو جورج ليكوف.

وقد قدَّم ليكوف الحكاية بكل ما تنطوى عليه من دلالات، وأخذ يبحث ليعزِّز تحليله. لقد أخذ يذكِّرنا كيف استثمر اليمين الراديكالى ورعاته الأثرياء، على مدار أربعين عامًا، مئات الملايين من الدولارات فى مؤسسات البحث السياسى **think tanks**، والشباب الموهوب، والمتحدثين باسمهم، وقدرة الاتصالات التى حوَّلت لغة السياسة الأمريكية بصورة أساسية. إذ إنك حين تسيطر على اللغة، تسيطر على الرسالة وتتكفل وسائل الإعلام بفعل الباقي.

لقد عرف ليكوف وكذلك أى شخص كيف ولماذا حدث هذا التحول، والأكثر أهمية هو ما الذى يمكن أن يُفعَل تجاه هذا. وقد أخذ على عاتقه أن يصبح مغويًا لتأطير وسائل الإعلام – كيف يجب علينا أن نكون واعين بالكيفية التى نتواصل بها وبالكلمات التى نستخدمها، والتأطير الذى نستثيره ونستدعيه فى جميع الأوقات.

وقد ساعد بعض الرعاة الأوائل مثل بيتير تيج فى صندوق ناثان كومينجز جورج ليكوف أن يجوب البلاد فى عامى ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ لمحادثة آلاف الناشطين والقادة وتنبيههم إلى أهمية التأطير. كما بدأ جورج العمل مع منظمة موف أون **MoveOn** ومع جماعات أساسية من مناصرى البيئة. وقد كان مشروع سبين **SPIN** يستخدم التأطير فى تدريباته، بينما كانت المنافذ الإعلامية مثل ألترنت.أورج **AlterNet.org** (التى أقوم فيها بوظيفة رئيس التحرير التنفيذي) والأمريكان بروسبكت والباز فلاش تعرض أفكار جورج. وقبل أن يمضى وقت طويل، كان قد تم بلوغ "نقطة التحول". وفجأة أصبح ليكوف ساخنًا، إلا أن الأهم هو أن آلافًا من الناس أصبحوا يفكِّرون بشكل مختلف حول أساليب الاتصال واللغة. والآن نفهم أن مصطلحات مثل "تخفيف الضرائب" **tax relief** والإجهاض العمدى **partial birth abortion** و"ضريبة الموت (المواريث)" **death tax** تم ابتكارها من اليمين لتستدعى أطرًا بعينها وتهيمن على المناظرات. وحتى حلفائنا كانوا يستخدمون اللغة التى ابتكرها المحافظون، فيطلقون النار على أقدامهم فى كل مرة.

إن مكونًا مهمًا لفهم التأطير يتمثل فى أنك تستطيع أن تتعلم جانبًا قيمًا فى ثلاثين ثانية.

وإن لم يكن هناك شيء آخر، إذا كنا جميعًا نستطيع أن نفهم الدرس الخاص بـ "لاتفكر في فيل" وهو أن مهاجمة إطار الخصوم يعزِّز رسالتهم – فإننا سنكون قد خطونا خطوة جبَّارة إلى الأمام؛ ذلك أن وظيفتنا هي أن نؤطِّر قيمنا الخاصة ورؤانا ومهمتنا، وأن نتجنب مهاجمة ما لديهم؛ لأننا إذا فعلنا ذلك، فإنه لن يؤدي إلا إلى الحفاظ على أفكارهم في الصدارة.

لقد كان التقدميون واقعين تحت وهم أنه لو فهم الناس الحقائق، سنكون على ما يرام. وهذا خطأ. فالحقائق وحدها لن تجعلنا أحرارًا. وهذا لأن الناس يتخذون قراراتهم حول السياسات والمرشَّحين على أساس نسق قيمهم، واللغة والأطر التي تستدعي تلك القيم. ذلك أن قيمهم – القيم التسلطية الصارمة في حالة المحافظين – هي ما يدفعهم إلى دخول كشك التصويت. وقد رأينا هذا مع ذلك يحدث مرة أخرى، بشكل محزن، في انتخابات ٢٠٠٤، مع ارتفاع في أصوات المحافظين في انتخابات الرئاسة وسيطرتهم على الكونجرس بشقيه.

إننا نحتاج أن نبدأ اليوم إذا كنا نعتزم أن نعيد بناء مجتمع أكثر تسامحًا وأمنًا، وحرٍّ بحق. ويُفترض مع هذا الكتاب الذي بين يديك أن تكون جزءًا من جماعة متنامية من الناس الذين يفهمون بشكل أفضل كيف يتقدمون ويتواصلون بشكل أكثر فعالية.

إلا أن الكتاب ليس إلا الخطوة الأولى فحسب. إن اللغة والتأطير يدوران حول الاستعارة، وفي حين أن المبادئ الأساسية من السهل أن تُلتقط، فإن استعادة اللغة تتطلب بعض التفكير الجاد والكثير من الممارسة. لكنك الآن تملك دليلاً ميدانيًا للعمل. ولذا؛ فإنه عليك أن تخرج وتبدأ في تأطير رسائلنا ورؤيانا من أجل المستقبل.

**دون هازن.**

## تمهيد

# إعادة التأطير تغيير اجتماعي

إن الأطر عبارة عن بنى ذهنية تشكّل الكيفية التى نرى بها العالم. ونتيجة لهذا فإنها تشكّل الأهداف التى ننشدها، والخطط التى نخططها والكيفية التى نسلك بها، وما يعد ناتجًا جيدًا أو سيئًا لأفعالنا. ففى السياسة تشكّل الأطر التى نتبناها سياساتنا الاجتماعية والمؤسسات التى نشكلها لتنفيذ السياسات. ومن ثم؛ فإن تغيير أطرنا يشكّل تحديًا لكل هذا. فإعادة التأطير هى تغيير اجتماعي.

وأنت لا يمكنك أن ترى أو تسمع الأطر، فهى جزء مما يدعوه العلماء المعرفيون "اللاوعى المعرفي" – إنها بنيات فى أمخاخنا لانستطيع أن نصل إليها بشكل واع، لكننا نعرفها من خلال عواقبها: الكيفية التى نفكر بها وما يعد حسًا مشتركًا. كما أننا نعرف أيضًا الأطر من خلال اللغة. ذلك أن كل الكلمات محددة بالنسبة إلى أطر تصورية. وحين تسمع كلمة ما، فإن إطارها (أو مجموع أطرها) يُحفز فى مخك.

إن إعادة التأطير reframing تعنى تغيير الكيفية التى ترى بها الجماهير العالم. وهو يغيّر ما يُنظر إليه على أنه حس عام. ولأن اللغة تنشط الأطر، فإن اللغة الجديدة تقتضى أطرًا جديدة. فالتفكير بشكل مختلف يقتضي الحديث بشكل مختلف.

وفى الوقت الراهن، لايوجد سوى مركز بحثى واحد تقدمى للفكر السياسى think tank انخرط فى مشروع رئيس لإعادة التأطير:

وهو معهد روكريدج.

www.rockridgeinstitute.org

وهو جديد ونام. لقد حشد معهد روكريدج معًا علماء معرفيين ولغويين مع علماء اجتماعيين ليعيدوا تأطير كامل نطاق قضايا السياسة الجماهيرية من منظور تقدمي. والأبحاث التي يُجريها روكريدج غير متحيزة ومنشورة للعلن على موقعه المذكور من قبل. وهذا الكتاب يوظف هذه الأبحاث ويمتد بها.

وبناء على مطلب جماهيري، رُوعي في هذا الكتاب أن يكون قصيرًا وسهلاً. وقد قُصد منه أن يكون دليلاً عمليًا للمواطنين الناشطين ولأي شخص آخر له اهتمام جاد بالسياسة.

أمَّا أولئك الذين يرغبون في تناول أكثر انتظامًا وعلمية فيمكنهم أن يقرأوا كتابي: السياسة الأخلاقية: كيف يفكر الليبراليون والمحافظون (الطبعة الثانية).

إن هذا الكتاب كُتِب ونُشِر من أجل انتخابات ٢٠٠٤. إلا أنه غدا أكثر أهمية حتى منذ ذلك الحين. وقد كشفت استطلاعات الرأي ما تنبأ به هذا الكتاب من أن القيم الأخلاقية كانت أكثر أهمية من أي قضية محددة، أكثر أهمية من الإرهاب، أو الحرب أو الاقتصاد، أو الرعاية الصحية، أو التعليم. وقد احتشد التقدميون في تلك الانتخابات بشكل غير مسبوق قط من قبل في التاريخ الحديث. وما وحَّدهم من الداخل، ما أنبأهم أن بوش لا أخلاقي هو قيمهم الخاصة.

ومن الحيوي لنا ولبلدنا وللعالم أن نبقى موحَّدين. إن قيمنا هي ما يوحِّدنا. ويجب أن نتعلم أن ننطق تلك القيم بصوت عالٍ وواضح. وإذا كان للديموقراطيين أن يفوزوا في المستقبل، فإنه يجب على الحزب أن يطرح رؤية أخلاقية واضحة على البلد — رؤية أخلاقية عامة لكل التقدميين. إذ لا يجوز أن يطرحوا قائمة عشوائية من البرامج، بل يجب أن يطرحوا بديلاً أخلاقيًا، بديلاً أكثر تمثيلاً لما هو تقليديًا أمريكي، بديلاً يكمن وراء كل شيء يفخر به الأمريكيون.

وهذا الكتاب مكتوب من أجل خدمة هذه الرؤية.

فعساه يمتعك!

**جورج ليكوف**

**نوفمبر ٢٠٠٤**

# القسم الأول

# النظرية والتطبيق

## (١)

# برنامج التأطير ١٠١: كيف تسترجع الخطاب الجماهيري

**- ٢١ يناير، ٢٠٠٤ -**

فى هذا التاريخ تحدثتُ حديثًا ارتجاليًا لمجموعة تقارب مائتين من المواطنين التقدميين الناشطين فى ساسليتو، كاليفورنيا.

حين أدرِّس مقرر التأطير **framing** فى بيركلي، فى العلم المعرفى ١٠١، أول شيء أقوم به هو أن أعطى طلابى تمرينًا. وهذا التمرين هو "لاتفكّر فى فيل!" لتفعلْ أيَّ شيء، لكن لاتفكّر فى فيل. ولم أجد قط أى طالب من طلابى قادرًا على فعل هذا. ذلك أن كل كلمة، كما هو فى كلمة فيل، تستثير إطارًا، يمكن أن يكون صورة **an image** أو أنواعًا أخرى من المعرفة:

إن الأفيال ضخمة ولها آذان كبيرة وخرطوم، وهى مقترنة بالسيرك وأشياء أخرى سوى ذلك. فالكلمة محدَّدة وفقًا لذلك الإطار؛ ومن ثم فإننا حين ننفى كلمة، نستدعى الإطار الخاص بها.

وقد اكتشف ريتشارد نيكسون هذا وإن كان بطريقة قاسية، إذ إنه تحت وطأة الضغط عليه لكى يستقيل أثناء فضيحة واترجيت، خطب نيكسون فى الأمة خطبة متلفزة وقف فيها أمام الأمة وقال "إننى لستُ محتالاً" **"I am not a crook"** وقد كان أن فكَّر فيه كل شخص بوصفه محتالاً.

وهذا يمنحنا مبدأ أساسيًا للتأطير، وهو أنك حين تجادل ضد طرح طرف آخر:

لاتستخدم لغته. لأن لغة الطرف الآخر تنتقى إطارًا – ولن يكون هو الإطار الذى تريده.

ودعونى أعطيكم مثالاً. فى اليوم الذى وصل فيه جورج دبليو بوش إلى سدة الحكم فى البيت الأبيض، بدأت تصدر عبارة "تخفيف الضرائب" "tax relief" عن البيت الأبيض وهى ماتزال: لقد استُخْدِمتْ عدة مرات فى خطاب الاتحاد فى هذا العام، وقد أخذتْ تظهر أكثر وأكثر فى الخطب السابقة على الانتخابات بعد أربع سنوات من ذلك.

ولنفكِّر فى التأطير الخاص بـ "تخفيف" "relief" لأنه لكيما يكون هناك تخفيف لا بد من أن يكون هناك ابتلاء an affliction ، طرف مبتلى، والمخفِّف هو من يزيل البلاء؛ ولذلك فإنه بطل a hero. وإذا حاول بعض الأشخاص أن يعوقوا البطل، فإن أولئك الأشخاص يكونون أشرارًا لأنهم يحاولون أن يمنعوا تخفيف البلاء.

وحين تضاف إلى كلمة الضرائب كلمة التخفيف، فالنتيجة هى استعارة. ففرض الضرائب taxation بلوى an affliction والشخص الذى يزيلها بطل، وأى شخص يحاول أن يمنعه هو شخص سيء. إن هذا إطار وهو مؤلَّف من أفكار مثل "المصيبة" و"البطل". إن اللغة التى تستثير الإطار تصدر عن البيت الأبيض، وتصدر فى بيان صحفى وتمضى إلى كل المحطات الإذاعية والقنوات التلفازية وكل الجرائد. وعلى الفور تستخدم النيويرك تايمز تخفيف الضرائب. ولا تجدها فقط على قناة الفوكس، بل على السى إن إن، والإن بى سي، وعلى كل قناة؛ لأنها "خطة الرئيس لتخفيف الضرائب". وسريعًا ما يستخدم الديموقراطيون تخفيف الضرائب ويطلقون النار على أقدامهم.

وهو أمر مثير للانتباه. وقد طلب أعضاء مجلس الشيوخ الديموقراطيون أن أحضر مؤتمرهم الحزبى مباشرة قبل أن تُعرَض خطة الرئيس للضرائب فى مجلس الشيوخ. وقد كانت لديهم نسخة خاصة بهم لخطة الضرائب، إلا أن نسختهم لم تكن سوى نسخة لتخفيف الضرائب. لقد أخذوا يقبلون الإطار المحافظ the conservative frame فقد نصب المحافظون فخًا a trap: إن الكلمات تستدرجك إلى رؤية العالم الخاصة بهم.

إن ذلك هو ما يدور عليه التأطير. فالتأطير خاص باستدعاء اللغة التى توافق رؤيتك للعالم. وليس مجرَّد اللغة وفقط. فالأفكار أساسية – واللغة تحمل تلك الأفكار، وتستثير تلك الأفكار.

وقد كان هناك مثال آخر في خطاب الاتحاد في يناير. وهذا المثال عبارة عن استعارة من اللافت أن تجدها في خطاب الاتحاد. لقد قال بوش "إننا لانحتاج إذنًا كتابيًا للدفاع عن أمريكا".

**"We do not need a permission slip to defend America"**

ما الذى يجرى مع هذه العبارة إذنًا كتابيًا **permission slip**؟ لقد كان بوسعه أن يقول فحسب "إننا لن نطلب إذنًا" لكن الحديث عن إذن كتابى أمر مختلف. فكّر في آخر مرة احتجت فيها إلى إذن كتابي. فكرّ فيمن هو الذى يجب عليه أن يطلب إذنًا كتابيًا.

فكّر فيمن هو الذى يُطلب منه أن يمنح الإذن. وفكّر في العلاقة بينهما.

إن تلك هى أنواع الأسئلة التى تحتاجون أن تطرحوها إذا كنتم تريدون أن تفهموا الخطاب السياسي المعاصر. وإلى أن تتأملوها، أريد أن أطرح أسئلة أخرى عليكم.

لقد بدأ عملى في السياسة حين سألتُ نفسى أسئلة من هذه النوعية تمامًا. وهذا يعود إلى خريف ١٩٩٤. لقد كنتُ أشاهد خطب الانتخابات، وأقرأ "تعاقد الجمهوريين مع أمريكا" **"the republicans' contract with America"**. وقد كان هذا هو السؤال الذى سألتُه لنفسى : ما الذى يربط مواقف المحافظين حول القضايا المختلفة ببعضها البعض؟ إذا كنتَ محافظًا، ما الذى يربط موقفك حول الإجهاض بموقفك حول فرض الضرائب؟ وما الذى يربط ذلك بموقفك من البيئة؟ أو السياسة الخارجية؟ كيف تتوافق هذه المواقف معًا؟ ما الذى يربط كونك مناهضًا للسيطرة على حيازة الأسلحة بكونك مؤيدًا لتعويض الضرر؟ ما الذى يعنيه الارتباط؟ إلا أننى لم أستطع في البداية أن أتبين الروابط.

لقد قلتُ لنفسي، هؤلاء أناس غريبون. لا معنى لمجموع مواقفهم. لكن بعدئذٍ خطرت لى فكرة مربكة. وهو أن موقفى من كل قضية من هذه القضايا هو الموقف النقيض تمامًا. فما الذى يربط مواقفى ببعضها البعض؟

ولم أستطع أن اكتشف ذلك أيضًا؟ لقد كان ذلك محرجًا إلى أقصى حد

بالنسبة لشخص يعمل فى العلم المعرفى واللغويات، وفى النهاية أتى الجواب. وقد أتى من موقع غير متوقع. لقد أتى من دراسة قيم الأسرة. إذ سألتُ نفسى لماذا يتحدث المحافظون كثيرًا جدًّا عن قيم الأسرة. ولماذا تعد قيم معينة هى قيم الأسرة فى حين لا تعد قيم أخرى كذلك؟ لماذا عندما أصبح مستقبل العالم مهددًا بتزايد الأسلحة النووية والاحتباس الحراري، نجد أن أى شخص فى حملة رئاسية أو فى حملة للكونجرس وما إليها يتحدث باستمرار عن قيم الأسرة؟ وعند هذا الحد تذكرتُ ورقة كان قد كتبها واحد من طلابى منذ بضع سنوات تكشف أننا جميعًا لدينا استعارة للأمة بوصفها أسرة. لدينا الآباء المؤسسون **Founding Fathers** وبنات الثورة الأمريكية **the daughters of the American revolution** .

إننا "نرسل أبناءنا" إلى الحرب، وهذه استعارة طبيعية لأننا عادة نفهم الجماعات الاجتماعية الكبيرة مثل الأمم طبقًا للجماعات الصغيرة مثل الأسر أو المجتمعات المحلية **communities**.

وفى ظل وجود الاستعارة الرابطة للأمة بالأسرة، سألتُ السؤال التالي:

إذا كان هناك فهمان مختلفان للأمة، أفلم يأتيا من فهمين مختلفين للأسرة؟

لقد عملتُ بشكل عكسي، لقد أخذتُ المواقف المتعددة لدى الجانب المحافظ ولدى الجانب التقدمي، وقلتُ "دعونا نختبرها عبر الاستعارة من الاتجاه المعاكس ونرى ما ينتج." وعرضتُها على الرؤيتين المختلفتين للأمة، فانبثق نموذجان مختلفان للأسرة:

أسرة الأب الصارم وأسرة الوالدية الراعية. وبالطبع تعرفون إلى من ينتمي كل منهما.

وفي ذلك الوقت، وحين فعلتُ ذلك، وسأخبركم بالتفاصيل بعد قليل، كنتُ مدعوًا لإلقاء كلمة فى مؤتمر للغويات. فقررتُ أن أتحدث حول هذا الاكتشاف، وكان ضمن الجمهور عضوان فى الاتحاد المسيحى **Christian coalition** وهما لغويان وصديقان عزيزان لي، ومن اللغويين الممتازين.

وهما شخصان جيدان للغاية. شخصان بالغا اللطف، وأحبهما كثيرًا. فأتيا إليَّ فى الحفل المقام بعد المحاضرة وانتحيا بى جانبًا وقال أحدهما "حسنًا، نموذج أسرة الأب الصارم، إنه قريب، لكن ليس صحيحًا تمامًا. لكننا سنساعدك فى الحصول على التفاصيل الصحيحة. مع ذلك، فإنه يفترض أنك تعرف كل هذا. هل قرأتَ دوبسون Dobson؟".

قلتُ، "من؟"

قالوا، "جيمس دوبسون"

قلتُ ، "من؟"

قالوا، "إنك تسخر، إنه على ثلاثة آلاف محطة إذاعية".

قلتُ "حسنًا، لا أعتقد أنه على محطة الإن بى آر. لم أسمع به قط"؟

قالوا، "لا بأس، إنك تعيش فى بيركلي" "أين أستطيع .. هل كتب شيئًا؟"

قالوا، "ياللعجب" "نعم بالطبع، لقد باع ملايين الكتب، وكتابه الكلاسيكى هو "اقدم على الضبط Dare to Discipline" لقد كان صديقاى محقين. وتبعتُ توجيهاتهما، فذهبتُ إلى إحدى مكتبات بيع الكتب المسيحية فى منطقتي، ووجدته هناك، جميع أعماله: نموذج الأب الصارم بكل تفاصيله. ودبسون هذا لا يجنى فحسب من ١٠٠ إلى ٢٠٠ مليون دولار سنويًا، بل إن له رمزًا بريديًا خاصًا به، لأن أعدادًا هائلة من البشر ترسل طالبة كتبه ونشراته، فهو يعلِّم الناس كيف يستخدمون نموذج الأب الصارم ليربُّوا أطفالهم، وهو يدرك ارتباطه بسياسة الجناح اليميني.

إن نموذج الأب الصارم يبدأ بمجموعة من الفروض:

إن العالم مكان خطر، وسيظل دومًا هكذا، لأن الشر موجود فى العالم. والعالم صعب لأنه تنافسى وسيكون هناك دومًا فائزون وخاسرون. وهناك صواب مطلق وخطأ مطلق. كما أن الأطفال يولدون فاسدين bad، بمعنى أنهم يرغبون فقط أن يفعلوا ما يُمتِعهم وليس ما هو صواب؛ ولذلك يجب جعلهم أخيارًا.

والمطلوب فى عالم من هذا النوع هو أب صارم قوى يستطيع أن:

– يحمى الأسرة فى العالم الخطر.

– ويدعم الأسرة فى العالم الصعب.

– ويعلِّم أطفاله الصواب من الخطأ.

إن المطلوب من الطفل هو الطاعة؛ لأن للأب الصارم سلطة أخلاقية وهو من يعرف الصواب من الخطأ. ومن المفترض، علاوة على ذلك، أن يكون السبيل الوحيد لتعليم الأطفال الطاعة – أي الصواب من الخطأ – من خلال العقاب **punishment** العقاب المؤلم **painful punishment** حين يقترفون خطأ ما. وهذا يتضمن ضربهم، ويوصى بعض المؤلفين حول تربية الأطفال المحافظين باستخدام العِصى والأحزمة (السيور) والمضارب الخشبية لضربهم على المؤخرة وهى عارية.

بعض المؤلِّفين يقترحون أن يبدأ هذا منذ الميلاد، لكن دوبسون أكثر ليبرالية. إذ إنه "لا يوجد مبرر لضرب أطفال تقل أعمارهم عن خمسة عشر أو ثمانية عشر شهرًا.

**(Dobson, The New Dare to Discipline, 65)**

والمنطق الحاكم وراء العقاب الجسدى يتمثل فى أنه: إذا تم ضبط الأطفال جسديًا (فيزيقيًا) حين يقترفون خطأ، فإنهم يتعلمون ألا يقترفوه مرة أخرى. وهذا يعنى أنهم ينمُّون انضباطًا داخليًا يمنعهم من اقتراف الخطأ؛ مما يجعلهم فى المستقبل مطيعين. ويسلكون بشكل أخلاقي. وبدون مثل هذا العقاب، فإن العالم سيذهب إلى الجحيم. ولن تكون هناك أخلاقيات.

إن ذلك الانضباط الداخلى له أثر ثانوي. إنه هو المطلوب من أجل النجاح فى العالم التنافسى الصعب. وهو ما يعنى أنه إذا ما كان البشر منضبطين ويتبعون مصالحهم الذاتية (الشخصية) فى أرض الفرصة هذه، فإنهم سيصبحون مزدهرين **Prosperous**، ومعتمدين على أنفسهم **self - reliant**. وهكذا يقرن نموذج الأب الصارم الأخلاقية **morality** بالازدهار **prosperity** – والانضباط ذاته الذى تحتاجه لتصبح أخلاقيًا هو ما يتيح لك أن تزدهر. والرابط هو متابعة المصلحة الشخصية.

ففي ظل الفرصة والانضباط، يفترض أن تمكِّنك متابعة مصلحتك الشخصية من أن تزدهر.

وفي الوقت ذاته نجد دوبسون شديد الوضوح فيما يتعلق بالصلة بين رؤية الأب الصارم للعالم ورأسمالية السوق الحر **free market capitalism**.

والرابط هو اخلاقيات المصلحة الشخصية التي هي نسخة من رؤية آدم سميث للرأسمالية.

لقد قال آدم سميث إنه إذا ما تتبع كل فرد منفعته الخاصة، عندئذٍ ستبلغ منفعة الجميع حدودها القصوى (وعندئذٍ ستتعاظم منفعة الجميع) بواسطة اليد الخفية **the invisible hand** – أي بواسطة الطبيعة بشكل طبيعي تمامًا.

باشر منفعتك الخاصة وأنت ستساعد كل فرد.

إن هذا مرتبط باستعارة ترى الخير **well – being** بوصفه ثروة **wealth** – على سبيل المثال، إذا أسديتُ إليك معروفًا، فإنك تقول "إنني أدين لك بمعروف" أو "إنني مدين لك".

ففعل شيء جيد لشخص ما يشبه استعاريًا إعطاءه نقودًا. إنه "يدين" لك بشيء، وتجده يقول، "كيف أستطيع أن أرد لك ذلك؟"

إن هذه الاستعارة تطبِّق "قانون الطبيعة" لآدم سميث، لو أن كل فرد تابع مصلحته الشخصية، فإن المصلحة الخاصة للجميع ستحقِّق مداها الأقصى بواسطة اليد الخفية، بواسطة الطبيعة. أي أنه من الأخلاقي أن تتابع مصلحتك الشخصية، وهناك اسم لأولئك الناس الذين لا يفعلون ذلك والاسم هو نافع غيره **do-gooder**. إن نافع غيره هو الشخص الذي يحاول أن يساعد شخصًا آخر سواه ويقف في طريق أولئك الذينَ يتابعون مصالحهم الشخصية. إن نافعي غيرهم يفسدون النظام.

في هذا النموذج يوجد أيضًا تعريف لما يعنيه أن تصبح شخصًا جيدًا (طيبًا). الشخص الجيد – الشخص الأخلاقي – هو الشخص الذي يكون منضبطًا بما يكفي لأن

يكون مطيعًا وأن يتعلم ما الصواب ويفعل ما هو صواب ولا يفعل ما هو خطأ وأن يتبع مصلحته الشخصية ليزدهر ويصبح معتمدًا على نفسه. والطفل الجيد ينمو ليكون على ذلك النحو. والطفل الرديء هو الطفل الذى لا يتعلم الانضباط، ولا يسلك بشكل أخلاقي، ولا يفعل ما هو صواب؛ ولذلك لا يكون منظبطًا بما يكفى لأن يصبح مزدهرًا. فهو لا يستطيع أن يرعى نفسه؛ ومن ثم يصبح اعتماديًا.

وحين يصبح الأطفال ناضجين، فإما أنهم تعلموا الانضباط فأصبحوا جيدين ويستطيعون أن يزدهروا، أو أنهم فشلوا فى أن يتعلموه.

وبداية من هذه المرحلة فصاعدًا ليس للأب الصارم أن يتدخل فى حيواتهم. وهذا تتم ترجمته على المستوى السياسى بعدم تدخل الحكومة.

ولتنظر إلى كل ما يعنيه هذا بالنسبة للبرامج الاجتماعية. فمن غير الأخلاقى immoral أن تعطى الأشخاص أشياء لم يكسبوها؛ لأنهم حينئذٍ لن ينمُّوا الانضباط وسيصبحون اعتماديين وغير أخلاقيين. إن هذه النظرية تقول إن البرامج الاجتماعية لا أخلاقية؛ لأنها تجعل الناس اعتماديين. فتعزيز البرامج الاجتماعية غير أخلاقي. فما الذى يقوله لنا هذا عن الميزانيات؟ حسنًا، إذا كان هناك الكثير من التقدميين فى الكونجرس ممن يعتقدون أنه ينبغى أن تكون هناك برامج اجتماعية، وإذا كنتَ تعتقد أن البرامج الاجتماعية لا أخلاقية، فكيف توقف هؤلاء الناس غير الأخلاقيين؟

الأمر بسيط. إن ما يجب عليك أن تفعله هو مكافأة الأشخاص الجيدين – الأشخاص الذين يكشف ازدهارهم انضباطهم؛ ومن ثم مقدار أخلاقيتهم – بتخفيف الضرائب عنهم وجعل هذا التخفيف يزداد إلى حد لا يتيح أن يتبقى معه مال كافٍ للبرامج الاجتماعية. وفق هذا المنطق يصبح العجز فى الميزانية شيئًا جيدًا. كما يقول جروفر نوركويست، إنه "يخدم الأفضل".

وبينما ينظر الليبراليون والمحافظون المسئولون عن الميزانية إلى عجز الميزانية على أنه سيء، يراه راديكاليو الجناح اليمينى المتبعون لأخلاقيات الأب الصارم جيدًا. وقد قال الرئيس فى خطاب الاتحاد فى يناير ٢٠٠٤ إنه يتصور أنهم يستطيعون أن يخفِّضوا

العجز فى الميزانية إلى النصف من خلال استبعاد "الإنفاق الضائع" "wasteful spending" – أى الإنفاق على البرامج الاجتماعية "السيئة".

لكن هل المحافظون ضد كل الحكومة؟

لا، إنهم ليسوا ضد الجيش، وليسوا ضد الدفاع عن الأمن الداخلى والخارجي، ولا ضد وزارة العدل الحالية، ولا ضد المحاكم ولا ضد وزارة الخزانة والتجارة.

فهناك قطاعات عديدة من الحكومة يحبونها جدًا. فهم ليسوا ضد دعم الحكومة المالى للصناعة. كما أن المساعدات للشركات التى تكافئ الأشخاص الجيدين – المستثمرين فى تلك الشركات – عظيمة. فلا يوجد مشكل.

إلا أنهم ضد الرعاية والعناية، ضد البرامج الاجتماعية التى تعتنى بالناس،. وذلك ما يرونه بوصفه خطأ. ذلك هو مايريدون أن يجتثوه على أسس أخلاقية.

وذلك هو السبب فى أنهم ليسوا مجرَّد مجموعة من المجانين، أو الأخساء والجشعين، أو أناس أغبياء على نحوما يعتقد ليبراليون كثيرون. بل إن المثير للفزع أكثر من سواه هو أن المحافظين يصدِّقون ما يقولونه. إنهم يعتقدون أنه أخلاقي.

ولديهم مؤيدون على امتداد البلاد. إن الأشخاص الذين يعتنقون أخلاقية الأب الصارم ويطبِّقونها على السياسة ماضون فى اعتقاد أن هذا هو السبيل السليم للحكم.

فكّر قليلاً حول ما يعنيه هذا بالنسبة للسياسة الخارجية. افترض أنك سلطة أخلاقية. وبوصفك سلطة أخلاقية، كيف ستعامل أطفالك؟ هل ستسألهم عما ينبغى أن يفعلوه أو ما ينبغى أن تفعله؟

بالطبع لا. إنك تعلِّمهم فحسب. ما يقوله الأب يفعله الطفل. ولا تعقيب. إن الاتصال فى اتجاه واحد. والأمر نفسه بالنسبة للبيت الأبيض.

أى أن الرئيس لا يَسأل وإنما يُعلِّم فقط.

وإذا كنتَ سلطة أخلاقية فإنك تعرف الصواب، ولديك قوة، وتستخدمها. وستكون أنت ذاتك غير أخلاقى إذا ما تخليت عن سلطتك الأخلاقية. والآن رسِّم هذا على السياسة

الخارجية، وهو يقول لك إنك لا تستطيع أن تتوقف عن الهيمنة (التسلط) Sovereignty . فالولايات المتحدة، بحكم كونها أفضل وأقوى بلد فى العالم – بوصفها سلطة أخلاقية – تعرف ما هو الصواب الذى عليها أن تفعله. إننا لايفترض أن نسأل أى شخص آخر.

إن هذا الاعتقاد يتواكب مع كوكبة من الاستعارات التى تحرِّك السياسة الخارجية منذ زمن طويل. وثمة استعارة تُدرَّس فى الدراسات العليا حول العلاقات الدولية. وهى ما يُدعَى استعارة الفاعل العقلانى actor metapnor the rational. وهى أساس لمعظم نظرية العلاقات الدولية، وهى بدورها تفترض استعارة أخرى: وهى أن كل أمة شخص. ولذلك توجد "دول مارقة" "rogue states"، وتوجد "دول صديقة"، وما إلى ذلك. كما توجد مصلحة وطنية a national interest فما الذى يعنيه أن تسلك وفقًا لمصلحتك الذاتية؟

إنه يعنى فى معناه الأكثر أساسية أن تسلك بطرائق تساعدك على أن تكون عفيًا وقويًا. وعلى النحو ذاته، ووفقًا لاستعارة أن الأمة شخص، فإنه من الجيد للأمة أن تكون عفية healthy (متمتعة بالصحة) (وهو ما يعنى العافية الاقتصادية– المحدَّدة بامتلاك وفرة من المنتجات الوطنية GDP

(Gross Domestic product) وقوية (أى قوية عسكريًا). لكن ليس من الضرورى أن يكون كل الأفرادا فى البلد أعفياء، إلا أن الشركات ينبغى أن تكون عفية، كما ينبغى أن يمتلك البلد وفرة من الأموال. وتلك هى الفكرة. والسؤال هو، كيف تضخِّم منافعك الشخصية إلى أقصى حد؟ وذلك ما تدور حوله السياسة الخارجية: تضخيم المنافع الذاتية إلى أقصى حد. وما تقوله لنا استعارة الفاعل العقلانى هو أن كل فاعل، كل شخص، عقلاني، وأنه من غير العقلانى أن تسلك ضد مصلحتك الذاتية.

ولذلك، فمن العقلانية بالنسبة لكل فرد أن يسلك ليعظِّم منافعه الشخصية إلى أقصى حد. ثم طبقًا للاستعارة الأبعد التى ترى أن الأمم أشخاص ("أمم صديقة"، و"دول مارقة"، و"أمم عدوة"، وما إلى ذلك، فإن ثمة أممًا راشدة adult nations وأممًا طفلة child nations، حيث يعنى الرشد adulthood التصنيع industrialization. ويُطلق على الأمم الطفلة أمم "نامية" developing nations أو دول "غير نامية" underdeveloped states وتلك هى الدول المتخلفة backward.

فما الذى ينبغى علينا، إذًا، أن نفعله؟ إذا كنتَ أبًا صارمًا، فإنك تُخْبِر الأطفال بالكيفية التى يمكنهم أن يتطوروا من خلالها، تخبرهم بالقواعد التى ينبغى عليهم أن يتبعوها، وتعاقبهم حين يقترفون خطأ. أى أنك تدير استخدام، لنقل، سياسات صندوق النقد الدولى the International Monetary Fund، ولكن مَنْ الموجود فى الأمم المتحدة؟ إن معظم الأمم المتحدة تتكون من الدول النامية وغير النامية وذلك يعنى استعاريًا أنها (أو أنهم) أطفال. والآن دعونا نعود إلى خطاب حالة الاتحاد. هل ينبغى على الولايات المتحدة أن تستشير الأمم المتحدة وتحصل على إذن لغزو العراق؟ إن الراشد لا "يطلب إذنًا كتابيًا"! بل إن عبارة إذن كتابى ذاتها تعيدك إلى المدرسة الإعدادية grammar school أو المدرسة الثانوية، حيث تحتاج إذنًا كتابيًا من شخص راشد كى تذهب إلى دورة المياه. بينما لاتحتاج أن تطلب إذنًا كتابيًا إذا كنتَ أنت الأستاذ (المعلِّم) the teacher، إذا كنتَ أنت الناظر (المدير)، إذا كنتَ أنت الشخص الذى بيدك السلطة، السلطة الأخلاقية. إن الآخرين هم من ينبغى أن يطلبوا الإذن منك. وذلك ما تعنيه عبارة إذن كتابى فى خطاب حالة الاتحاد فى ٢٠٠٤.

وهو ما أدركه من بين الجماهير كل واحد من المحافظين. لقد أدركوها على الفور.

إنهما كلمتان قويتان powerful إذن كتابي. وما فعله بوش هو أنه

استدعى استعارة الراشد فى مقابل استعارة الطفل the adult-child metaphor للأمم الأخرى، لقد قال "إننا الراشدون" لقد كان يعمل ضمن رؤية الأب الصارم للعالم، ولم يكن بحاجة إلى تفسيرها، إذ إنها مستدعاة بشكل آلي. وهذا ما يفعله المحافظون بشكل منتظم.

والآن دعونى أتحدث قليلاً عن كيف يفهم التقدميون أخلاقياتهم، وما يمثِّله نسقهم الأخلاقي. إنه ينبع هو الآخر من نموذج أسري، وهو ما أدعوه نموذج الوالدية الراعية.

إن رؤية الأب الصارم للعالم سُمِّيت بما سُمِّيت به لأن الأب، وفقًا لمعتقداتها هو رأس الأسرة the head of the family. أما رؤية الوالدية الراعية the nurturant parent worldview فمحايدة على مستوى النوع.

حيث إن كلا الوالدين مسئولان عن تنشئة الأطفال. ويتمثل الافتراض القائم عليه هذا النموذج فى أن الأطفال يولدون أخيارًا good ويمكنهم أن يصبحوا أفضل. والعالم يمكن أن يغدو مكانًا أفضل مما هو عليه، ومهمتنا هى العمل على ذلك، ووظيفة الوالدين هى رعاية أطفالهما وأن يربِّيا أطفالهما ليكونوا راعين للآخرين.

لكن ما الذى تعنيه الرعاية nurturance. إنها تعنى شيئين: المشاركة الوجدانية empathy والمسئولية responsibility. أى أنه إذا كان لديك طفل، فيجب عليك أن تعرف ما تعنيه كل صرخة من صرخاته. عليك أن تعرف متى يكون جائعًا، ومتى يحتاج أن يغيِّر حفاضه، ومتى تكون لديه كوابيس. وعليك مسئولية - هى أنك يجب أن ترعى هذا الطفل. وبما أنه لا يمكنك أن ترعى شخصًا آخر إن لم تكن راعيًا لنفسك، فإنه يجب عليك أن ترعى نفسك بما يكفى لأن تكون قادرًا على رعاية الطفل.

إن كل هذا ليس بالسهل. وكل شخص ربَّى من قبل طفلاً يعلم أن هذا أمر شاق. إذ يجب كذلك أن تكون كفؤًا للغاية. ويجب أن تعرف أمورًا كثيرة إضافة إلى ذلك، فإن كل أنواع القيم الأخرى تنبع بشكل مباشر من المشاركة الوجدانية empathy والمسئولية responsibility. ولتفكر فى هذا.

أولاً، إذا كنتَ تتعاطف مع طفلك، فإنك ستوفِّر له الحماية. وهذا يدخل فى نطاق السياسة من جهات عديدة. ما الذى تحمى طفلك منه؟

الجريمة والمخدرات، بالتأكيد– إنك تحمى طفلك أيضًا من السيارات التى ليس فيها أحزمة أمان، من التدخين، من المواد الحافظة المسمِّمة فى الأطعمة. وهكذا فإن السياسات التقدمية تركِّز على الحماية البيئية، وحماية العاملين، وحماية المستهلكين، والحماية من الأمراض. إن هذه هى الأشياء التى يريد التقدميون من الحكومة أن تحمى مواطنيها منها. إلا أن هناك أيضًا الهجمات الإرهابية التى لم يكن الليبراليون والتقدميون جيدين جدًا فى الحديث عن الحماية منها.

إن الحماية جزء من النسق الأخلاقى التقدمي، إلا أنه لم يتم التفصيل فيه بما يكفي: وفى ١١ سبتمبر، لم يكن لدى التقدميين الكثير ليقولوه. وقد كان ذلك مؤسفًا؛ لأن الآباء الراعين والتقدميين يعتنون بالحماية. فالحماية مهمة. وهى جزء من نسقنا الأخلاقي.

ثانيًا: إذا كنتَ تتعاطف مع طفلك، فإنك ستريد أن يكون طفلك متحققًا فى الحياة، أن يكون شخصًا سعيدًا. وإذا كنتَ أنت غير سعيد، أنت نفسك شخص غير متحقق، فإنك لن تكون راغبًا فى أن يكون الأشخاص الآخرون أسعد منك. ويعلِّمنا ذلك الدالاى لاما The Dalai Lama (الإمام الروحى للبوذية فى التبت). ولذلك فهى مسئولتيك الأخلاقية أن تكون شخصًا سعيدًا ومتحققًا. إنها مسئوليتك الأخلاقية. وعلاوة على ذلك إنها مسئوليتك الأخلاقية أن تعلّم طفلك أن يكون شخصًا سعيدًا متحققًا يريد للآخرين أن يكونوا سعداء ومتحققين. وذلك جزء مما تدور حوله حياة الأسرة الراعية. إن رعاية الآخرين تمثّل شرطًا عامًا مسبقًا.

وتظل هناك مع ذلك قيم أخرى راعية.

إذا كنتَ تريد أن يكون طفلك متحققًا فى الحياة، فيجب أن يكون الطفل حرًا بما يكفى لأن يفعل ذلك. ولذلك فإن الحرية قيمة.

إنك لاتملك قدرًا كبيرًا جدًا من الحرية إذا لم تكن لديك فرصة opportunity ورغد prosperity . ولذلك فإن الفرصة والرغد قيمتان تقدميتان.

إذا كنتَ فعلاً ترعى طفلك، فإنك تريد أن يعامل ابنك منك ومن الآخرين بإنصاف. ولذلك فإن الإنصاف **fairness** قيمة.

إذا كنتَ مهتمًا بطفلك وتتعاطف مع ذلك الطفل، فإنه يجب عليك أن يكون لديك تواصل مفتوح ذو اتجاهين. تواصل صادق. وذلك يصبح قيمة.

إنك تعيش فى مجتمع محلى وسيؤثّر ذلك المجتمع على الكيفية التى ينمو بها طفلك. ولذلك فإن بناء المجتمع وخدمة المجتمع والتعاون داخل ذلك المجتمع تشكّل قيمًا.

ولكى يكون لديك تعاون، يجب أن يكون لديك ثقة trust ولكى تكون لديك ثقة يجب أن تكون لديك أمانة honesty وتواصل مفتوح ذو اتجاهين. وهو ما يعنى أن الثقة والأمانة والتواصل المفتوح هى قيم تقدمية أساسية — فى المجتمع كما فى الأسرة.

إن هذه هي القيم الراعية the nurtutant values — وهي القيم التقدمية. وهي لديكم جميعًا كتقدميين. وأنتم تعرفون أنها لديكم. إنكم تدركونها.

إن كل برنامج سياسي تقدمي قائم على قيمة أو أكثر من هذه القيم. وذلك ما يعنيه أن تكون تقدميًا.

وهناك أنماط عديدة من التقدميين. لكن كم عدد هذه الأنماط؟

إنني أسأل كعالم معرفي وليس كعالم اجتماع أو عالم سياسة. ومن وجهة نظر العالِم المعرفي الذي ينظر إلى أساليب التفكير، فإنه توجد ستة أنماط أساسية من التقدميين، لكل نمط أسلوب متميز في التفكير. وهي جميعًا تشترك في كل القيم التقدمية، إلا أنها تتمايز ببعض الاختلافات أو الفروق.

١- **التقدميون الاقتصاديون – الاجتماعيون** يعتقدون أن كل شيء يتعلق بالمال والطبقة وأن كل الحلول هي في النهاية حلول اقتصادية وحلول خاصة بالطبقة الاجتماعية.

٢- **تقدميو سياسات الهوية** Identity politics progressives يقولون إنه حان الوقت لجماعتهم المظلومة أن يحصلوا على نصيبهم الآن.

٣- **أنصار البيئة** يفكّرون في الحفاظ على الأرض، وفي قداسة الأرض، وحماية أبناء الوطن.

٤- **تقدميو الحريات المدنية** يريدون أن يحافظوا على الحريات ضد تهديدات الحرية.

٥- **التقدميون الروحيون** لديهم شكل راعٍ من الدين أو الروحية، إذ ترتبط خبرتهم الروحية بصلتهم بالناس الآخرين وبالعالم، وترتبط ممارستهم الروحية بخدمة البشر الآخرين وخدمة مجتمعهم. إن التقدميين الروحيين يغطون كامل النطاق الروحي من كاثوليكيين وبروتستانت إلى يهود ومسلمين وبوذيين وعابدي الإلهات، ووثنيين ويكا wicca.

٦- **مناهضو التسلط Antiauthoritarian** يقولون إنه توجد جميع أنواع أشكال السلطة غير المشروعة أمامنا ويجب علينا أن نحاربها، سواء كانت هيئات أو أى شخص آخر.

إن كل الأنماط الستة هي أمثلة لأخلاق الوالدية الراعية. والمشكل هو أن العديد من الناس الذين لديهم هذه الأساليب من التفكير لا يدركون أن ما لديهم هو مجرّد حالة خاصة واحدة لشيء أعم ولا يرون الوحدة في كل أنماط التقدميين. وهم يعتقدون في أغلب الأحوال أن ما لديهم هو السبيل الوحيد لكي يكونوا تقدميين حقيقيين. وهذا محزن؛ لأنه يمنع الناس الذين يتشاركون في القيم التقدمية من أن يجتمعوا معًا. ويجب علينا أن نتخطى تلك الفكرة الضارة خصوصًا أن الطرف الآخر يفعل ذلك.

وإذا ما عدنا إلى المحافظين في الخمسينيات سنجد أن المحافظين كانوا يكرهون بعضهم البعض. حيث كان المحافظون الماليون يكرهون المحافظين الاجتماعيين. فالمتحرِّرون لم يتوافقوا مع المحافظين الاجتماعيين أو المحافظين الدينيين. ولم يكن الكثيرون من المحافظين الاجتماعيين متدينين. إلا أن مجموعة من القادة المحافظين تحلّقوا حول وليم ف. بوكلي ج. ر **William F. Buckley Jr.** وآخرين، وبدأوا يتساءلون عما تشترك فيه معهم الجماعات المختلفة من المحافظين، وإذا ما كان يمكنهم أن يتفقوا على الاختلاف لكيما يعزّزوا القضية العامة للمحافظين.

وقد بدأوا في تأسيس مجلات ومجموعات بحثية، واستثمروا بلايين الدولارات. وقد كان أول ما حقّقوه، أول نصر لهم، هو ترشيح بارى جولد واتر **Barry Goldwater** في عام ١٩٦٤. وقد خسر، إلا أنه حين خسر عادوا إلى قواعدهم ووضعوا المزيد من الأموال في تنظيمهم.

وقد لاحظوا خلال حرب فيتنام أن معظم الشباب اللامعين في البلاد لم يصبحوا محافظين، وقد كانت كلمة محافظ آنذاك تُعد كلمة قذرة **a dirty word**. ولذلك في عام ١٩٧٠ كتب لويس بويل، في الوقت الذي كان فيه رئيس الغرفة التجارية للولايات المتحدة، وقبل أن يعينه نيكسون ويصبح رئيس المحكمة الدستورية العليا بشهرين فحسب، مذكرة — وهي مذكرة بويل، وهي موجودة على هذا الموقع.

(http://reclaimdemocracy.org/corporate_accountability/powell_memo_lewis.html).

وقد كانت وثيقة مصيرية. فقد قال إنه أصبح من الواجب على المحافظين أن يمنعوا ألمع وأفضل الشباب من التحول إلى العمل المضاد لنا. وقال إن ما نحتاج أن نفعله هو إنشاء معاهد داخل الجامعات وخارج الجامعات. علينا أن نجرى أبحاثًا، وإن نكتب كتبًا، وأن نقدم منحًا لمقاعد الأستاذية لكى نعلِّم هؤلاء الشباب الأسلوب الصحيح للتفكير.

وبعد أن أنتقل بويل **powell** إلى المحكمة العليا، تلقف هذه الأفكار وليم سيمون **William simon**، والد وليم سيمون الحالي. وذلك فى الوقت الذى كان فيه سيمون الكبير وزير الخزانة فى عهد نيكسون.

وقد أقنع بعض الأشخاص الأثرياء جدًا مثل كورز **Coors**، وسكيف **Scaife** وأولين **Olin** أن يؤسِّسوا الهيرتدج فوندشين (مؤسسة التراث) **the Heritage Foundation**، وأولين برفسورشب (مِنَح أولين للأستاذية) **the Olin professorships** ومعهد أولين فى هارفارد **the olin Institute at Harvard** ومؤسسات أخرى. وقد قامت هذه المؤسسات بوظائفها على خير وجه. وقد كتب الأشخاص المرتبطون بهم كتبًا أكثر من تلك التى كتبها الأشخاص المنتمون لليسار، فى كل القضايا.

كما دعم المحافظون مثقفيهم، وقدَّموا فرصًا فى الميديا. وأصبحت لهم استديوهات فى المؤسسات الخاصة بهم ومن ثم أصبح الظهور فى التليفزيون سهلاً. وأصبح ثمانون فى المائة من عناوين الأحاديث فى التليفزيون من المجموعات البحثية المحافظة، تخيلوا ثمانين فى المائة.

وحين تتم مقارنة الأموال المنفقة على البحث من قبل اليمين فى حقبة من الزمن مع المقدار الزمنى الذى شغلوه في الميديا خلال تلك الحقبة نرى أن هناك متصلاً مباشرًا. ففى ٢٠٠٢ سنجد أن ما أنفقه اليمين على الأبحاث كان يمثِّل أربعة أضعاف ما أنفقه اليسار وسنجد أن ما أتيح لهم من الزمن فى الميديا كان يمثِّل أيضًا أربعة أضعاف ما أتيح لليسار؛ إنهم ينالون مقابل ما يدفعون له.

وهذا ليس صدفة. لقد اكتشف المحافظون، من خلال مجموعاتهم البحثية، أهمية التأطير واكتشفوا كيف يؤطِّرون كل قضية من القضايا. كما عرفوا كيف يجعلون تلك الأطر ظاهرةً للعيان، وكيف يجعلون ممثليهم حاضرين فى الميديا طول الوقت.

كما عرفوا أيضًا كيف يجمعون أنصارهم معًا. فكل أربعاء، يجتمع ثمانون شخصًا من كل أطياف اليمين فى جورفر نروكويست **Grover Norquist**. إذ تتم دعوتهم وينطلقون فى النقاش. إنهم يحلون اختلافاتهم، ويتفقون على الاختلاف، وحين يختلفون يتبادلون التنازل، والفكرة هى هذا الأسبوع سيكسب قضيته، والأسبوع القادم سأكسب قضيتي. إذ لا يمكن لكل واحد أن يحصل على كل شيء يريده، لكن على المدى الطويل يمكنه أن يحقِّق الكثير مما يريد.

فى حين أنه ما من شيء كهذا يحدث فى عالم التقدميين؛ لأن هناك أناسًا كثيرين يعتقدون أن ما يفعله الواحد منهم هو الصواب، وهذا ليس ذكيًا، إنها الهزيمة الذاتية.

والأسوأ هو مجموعة الأساطير التى يؤمن بها الليبراليون والتقدميون وهذه الأساطير تنبع من مصدر جيد، إلا أنه ينتهى بها المطاف إلى إيذائنا بشكل سيء.

وقد بدأت هذه الأساطير مع عصر التنوير، والأسطورة الأولى تمضى على هذا النحو: الحقيقة ستحرِّرنا. فلو أننا فقط نقول للناس الحقائق (الوقائع) **facts**، بما أن الناس كائنات عاقلة أساسًا، فإنهم سيصلون إلى الاستنتاجات الصحيحة.

لكننا نعلم من العلم المعرفى أن الناس لايفكِّرون على هذا النحو. إن البشر يفكِّرون من خلال أطر. إذ يفرض كل إطار من إطارى الأب الصارم والوالد الراعى منطقًا معيَّنًا، ولكى تُقبل الحقيقة، فإنها يجب أن توافق الأطر التى لدى الناس.

أما إذا كانت الوقائع **the facts** لاتوافق الإطار، فإن الإطار يبقى والوقائع تتراجع. لماذا؟

إن العلم العصبى يُنبئنا أن كل مفهوم من المفاهيم التى لدينا – المفاهيم الطويلة الأجل التى تبنى الكيفية التى نفكِّر بها – مُمثَّلة فى الوصلات العصبية لأمخاخنا. فالمفاهيم

ليست أشياء يمكن أن يتم تغييرها بمجرَّد أن يقول لنا شخص ما حقيقة ما (واقعة ما). قد يتم تزويدنا بالوقائع، لكن لكي يصبح لها معنى، فإنها يجب أن توافق ما يوجد سلفًا في الوصلات العصبية للمخ. وبخلاف ذلك فإن الوقائع تدخل ثم لا تلبث أن تخرج مباشرة. إنها لا تُسمَع أو أنها لا تُقبَل كوقائع أو أنها تشوِّشنا:

لماذا يقول أي شخص ذلك؟ وعندها ننعت الواقعة بأنها غير معقولة أو مجنونة أو غبية. وذلك هو ما يحدث حين يواجه التقدميون "المحافظين بالوقائع" وهي ذات تأثير ضعيف أو لا تأثير لها، ما لم يكن لدى المحافظين إطار يضفي على الوقائع معنى.

وعلى نحو مماثل، فإن الكثيرين من التقدميين يستمعون إلى المحافظين وهم يتحدثون ولا يفهمونهم لأنهم لا يملكون أطر المحافظين. كما أنهم يفترضون أن المحافظين أغبياء. وفي الحقيقة، إنهم ليسو أغبياء. بل إنهم يفوزون لأنهم أذكياء. إنهم يفهمون كيف يفكِّر الناس وكيف يتحدث الناس، إنهم يفكِّرون!

وهذا ما تدور حوله مجموعاتهم البحثية. كما أنهم يدعمون مثقفيهم، ويكتبون كل تلك الكتب التي ترونها. فضلاً عن أنهم يطرحون أفكارهم على الجماهير. وإن كان من من المؤكد أنه توجد حالات يكذب فيها المحافظون، وهذا حقيقي، إلا أنه بالطبع من غير الصحيح أيضًا أن المحافظين فقط هم من يكذبون. لكن الثابت أن هناك أكاذيب مؤثِّرة – بل أكاذيب يومية – من إدارة بوش.

ومع ذلك، من المهم بالقدر ذاته أن ندرك أن الكثير من الأفكار التي تستفز التقدميين يراها المحافظون بوصفها حقائق truths معروضة من وجهة نظرهم. إننا يجب أن نميِّز حالات التشويه الخالص والكذب الخالص وما إليها من الحالات التي يقدِّم فيها المحافظون ما ينظرون إليه على أنه الحقيقة.

هل من المفيد أن تمضي وتُخبِر كل شخص ما هي الأكاذيب؟ إنه ليس بالعديم الجدوى أو الضار لنا أن نعرف حين يكذبون. لكن أيضًا تذكَّر أن الحقيقة وحدها لن تحرِّرك. إن قول إن "الرئيس كذب حين بدأ هذه الحرب" يعلن الحقيقة على الملأ – لكنه بالنسبة لأناس كثيرين مجرَّد رأي. إن عددًا ضخمًا من الناس في البلاد مازالوا يعتقدون أن صدام

حسين كان وراء أحداث ١١ سبتمبر. كما أن هناك أناسًا سيصدِّقون هذا لأنه يوافق فهمهم للعالم.

إنه يوافق رؤيتهم للعالم. وفى ظل ذلك، فمن المناسب لهم أن يصدِّقوا ذلك. وهم لا زالوا يعتقدون أن صدام حسين والقاعدة هما نفس الشيء وأننا بخوض الحرب فى العراق نحمى البلد من الإرهاب. إنهم يصدِّقون هذا على الرغم من تقرير لجنة ٩ / ١١ وليس هذا لأنهم أغبياء. بل لأن لديهم إطارًا وهم لا يقبلون إلا الوقائع التى توافق هذا الإطار.

كما أن هناك أسطورة أخرى تأتي من عصر التنوير، وهى تمضى على هذا النحو. من غير العقلانى أن تمضى ضد مصلحتك الذاتية، ولذلك فإن الشخص السوى العاقل يفكِّر انطلاقًا من المصلحة الذاتية. والنظرية الاقتصادية الحديثة والسياسة الخارجية قائمتان على أساس تلك الفرضية.

إلا أن هذه الأسطورة قد تم تحديها من قبل العلماء المعرفيين من أمثال دانيال كاهينمان Daniel kahneman (الذى فاز بجائزة نوبل فى الاقتصاد على نظريته) وآموس تفرسكى Amos Tversky الذى كشف أن الناس لا يفكِّرون على هذا النحو. على الرغم من ذلك، فإن علم الاقتصاد مازال قائمًا على فرضية أن الناس سيفكِّرون دائمًا بشكل طبيعى بناءً على مصلحتهم الذاتية.

إن هذه الرؤية للعقلانية تدخل إلى السياسة الديموقراطية بكيفية مهمة، إذ يُفترَض أن الناخبين سيصوِّتون لصالح مصلحتهم الذاتية. ولذا فإن الديموقراطيين ينصدمون أو يحتارون حين لا يصوِّت الناس لصالح مصلحتهم الذاتية. ويظل الديموقراطيون يسألوننى "كيف يمكن لأى شخص فقير أن يصوِّت لصالح بوش وهو يضرهم ضررًا بالغًا؟" واستجابتهم هى أن يحاولوا أن يفسِّروا مرة أخرى للفقراء لماذا سيخدم التصويت للديموقراطيين مصلحتهم الذاتية. وعلى الرغم من أن كل الأدلة تشير إلى العكس، فقد ظل الديموقراطيون يخبطون رؤوسهم فى الحائط. وقد ظل آلجور فى انتخابات ٢٠٠٠ يقول إن تخفيضات بوش للضرائب ستذهب إلى أهل القمة الذين لا يشكِّلون سوى واحد فى المائة، وأعتقد أن كل شخص آخر سيتبع مصلحته الذاتية ويدعِّمه. إلا أن الفقراء من

المحافظين ظلوا مناهضين له، لأنهم كمحافظين يعتقدون أن أولئك الذين يملكون معظم الأموال ـ الناس "الطيبين" (الأخيار) **the "good" people** ـ يستحقون أن يحتفظوا بها كمكافأة لهم على كونهم منضبطين. إن ٩٩٪ من أهل القاع من المحافظين صوّتوا لصالح قيمهم ضد مصلحتهم الذاتية.

ومما يُزعَم أن ٣٥٪ من السكان يعتقدون أنهم سيكونون، أو سيصبحون يومًا ما من الـ ١٪ وهذا يفسِّر النتيجة على أساس المصلحة الذاتية المستقبلية المأمولة. لكن ماذا عن نسبة الـ ٦٥٪ الأخرى ممن ليس لديهم حلم قط بأنهم سيفيدون يومًا ما من هذه التخفيضات الضريبية لكنهم مع ذلك يدعمونها؟

إنهم بوضوح لا يصوِّتون لصالح مصلحتهم الذاتية أو حتى مصلحتهم الذاتية المستقبلية المأمولة.

وقد حدثت واقعة مشابهة في انتخابات الإبدال **recall election** في كاليفورنيا ٢٠٠٣. إذ أنفقت الاتحادات العمالية الكثير من المال لعرض الوقائع التي تؤكِّد أن مواقف جراي ديفيز **Gray Davis** أفضل للناس، خصوصًا بالنسبة للعاملين، من مواقف أرنولد شوارزنيجر **Arnold Schwarzenegger**. وقد سألوا مجموعات ممثلة من أعضاء الاتحاد "أيهما أفضل لكم وضع ديفيز أم وضع شوارزنيجر؟" لقد قال معظمهم "وضع ديفيز" ديفيز ديفيز ديفيز وحينها سألوهم "لمن ستصوِّتون؟" "شوارزنيجر".

إن الناس لايصوِّتون بالضرورة لصالح مصلحتهم الذاتية؛ إنهم يصوِّتون لهويتهم. يصوِّتون لقيمهم. يصوِّتون لمن يتماهون معه. إنهم يمكن أن يتماهوا مع مصلحتهم الذاتية. ذلك يمكن أن يحدث. وهذا لا يعني أن الناس لا يراعون مصلحتهم الذاتية بقدر ما يعني أنهم يصوِّتون لهويتهم. وإذا وافقت هويتهم مصلحتهم الذاتية، فإنهم سيصوِّتون لذلك– ومن المهم أن نفهم هذه النقطة. لأنه خطأ خطير أن نفترض أن الناس ببساطة يصوِّتون لصالح مصلحتهم الذاتية.

وهناك خطأ ثالث يتمثَّل في الآتي:

هناك استعارة ترى أن الحملات السياسية هى حملات تسويق، المرشَّحون فيها هم المُنتَج، ومواقف المرشَّح حول القضايا هى مميزات وخصائص المُنتَج. وهذا يقود إلى الاستنتاج بأن التصويت ينبغى أن يحدِّد أى القضايا هى التى ينبغى على المرشَّح أن يعمل عليها. وهاهى قائمة من القضايا. فأيها يُظهر أعلى درجة من الدعم لموقف المرشَّح؟ فلو كانت الوصفات الطبية ٧٨٪، فإنك تعمل على برنامج يبرز الوصفات الطبية. أم هل هو الحفاظ على الضمان الاجتماعي؟ فإن كان، فإنك تعمل على برنامج يبرز الضمان الاجتماعي. إنك تصوغ قائمة القضايا ذات المرتبة العليا، وتلك هى القضايا التى تعمل عليها. كما أنك تقوم أيضًا بتقسيم للسوق: كل حى على حدة وتكتشف القضايا الأكثر أهمية، وتلك هى القضايا التى تتحدث عنها حين تذهب إلى هذا الحي.

إلا أن هذا لا ينجح. وإن كان يمكن أن يكون أحيانًا مفيدًا. وفى الحقيقة، فإن الجمهوريين يستخدمونه بالإضافة إلى ممارساتهم الفعلية. لكن ممارستهم الفعلية والسبب الحقيقى فى نجاحهم يتمثل فى هذا: إنهم يقولون ما يؤمنون به بشكل مثالي. إنهم يقولونه، يتحدثون إلى قواعدهم مستخدمين أطر قواعدهم: أما المرشَّحون الليبراليون والتقدميون فيميلون إلى أن يتبعوا جداول الانتخاب ويقرِّروا أنه يجب عليهم أن يصبحوا أكثر "توسطًا" من خلال التحرك إلى اليمين. بينما لا يتحرك المحافظون قط إلى اليسار، ومع ذلك فإنهم يكسبون!

لماذا؟ ما هو حال جمهور الناخبين من وجهة نظر معرفية؟ من المرجَّح أن من ٣٥ إلى ٤٠٪ من الناس – ربما يكونون أكثر هذه الأيام – يعتنقون نموذج الأب الصارم وهو يحكم سياستهم، وكذلك هناك أناس يعتنقون الرؤية الرعائية وهى تحكم سياستهم، وعلى الأرجح أنهم يشكِّلون من ٣٥ إلى ٤٠٪ ثم هناك كل الناس فى "الوسط".

لاحظ أننى قلت تحكم سياستهم. إننا جميعًا لدينا كلا النموذجين. إما بشكل ناشط أو بشكل سلبي. فالتقدميون يشاهدون فيلمًا لجون واين **John wane** أو فيلمًا لأرنولد شوارزنيجر، ويستطيعون أن يفهموه. إنهم لا يقولون "إننى لا أعرف ما يحدث فى هذا الفيلم". إن لديهم نموذج الأب الصارم، على الأقل بشكل سلبي. وإذا كنتَ محافظًا وتفهم

حلقات كوزبى The cosby show، فإن لديك نموذج والد راعٍ على الأقل بشكل سلبي. إن كل شخص لديه كلا الرؤيتين للعالم، لأن كلا الرؤيتين للعالم حاضرتان على نطاق عريض في ثقافتنا، إلا أن الناس لا يعيشون بالضرورة برؤية واحدة منهما للعالم طول الوقت.

ولذلك فإن السؤال هو، هل تعيش بنموذج واحد من النموذجين القائمين على الأسرة؟ إلا أن السؤال ليس محددًا بما يكفي. إذ إن هناك جوانب عديدة من الحياة، وهناك أناس كثيرون يعيشون بنموذج أسرى واحد في جانب من جوانب حيواتهم وبنموذج آخر فى جانب آخر من حيواتهم. فلدى زملاء هم آباء راعون فى المنزل، وليبراليون فى السياسة؛ لكنهم آباء صارمون فى قاعات درسهم.

وقد عرف ريجان أن العمال ذوى الياقات الزرقاء الذين كانوا راعين فى سياسة اتحادهم كانوا فى أغلبهم آباء صارمين فى المنزل وقد استخدم استعارات سياسية مؤسَّسة على المنزل والأسرة وجعلهم يمدون طريقة تفكير الأب الصارم التى لديهم من نطاق المنزل إلى نطاق السياسة.

وهذا شيء من المهم جدًا فعله. إذ إن الهدف هو تنشيط نموذجك داخل الأشخاص الذين فى "الوسط" أو فى الما بين.

ذلك أن الأشخاص الذين فى الوسط لديهم كلا النموذجين ويستخدمونهما بشكل منتظم فى جوانب مختلفة من حيواتهم.

إن ما تريد أن تفعله هو أن تجعلهم يستخدمون نموذجك فى السياسة – أن تنشِّط رؤيتك للعالم ونسقك الأخلاقى فى قراراتهم السياسية. وأنت تقوم بذلك من خلال الحديث إلى الناس مستخدمًا أطرًا قائمة على رؤيتك للعالم.

ومع ذلك، فإنك لا تريد، وأنت تفعل ذلك، أن تهين الناس الذين فى الوسط الذين اختاروا حتى هذه اللحظة الاختيار المناقض.

وذلك أن لديهم أيضًا كلا النموذجين ويستخدمونهما فى جانب ما من حيواتهم، إذ من الممكن أن يتم مع ذلك إقناعهم بأن ينشِّطوا النموذج المقابل من السياسة.

وقد اكتشف كلينتون كيف يتعامل مع هذا المشكل. لقد سرق لغة الطرف الآخر.

فقد تحدث، على سبيل المثال، عن "إصلاح الرعاية" "welfare reform" وقال "لقد انتهى زمن الحكومة الكبيرة".

"The age of big government is over."

لقد فعل مايريد أن يفعله، فقد أخذ فقط لغتهم واستخدم كلماتهم ليصف ما يريده.

وقد أثار بذلك جنونهم. إنه تكنيك غاية فى الذكاء.

وقد تكشف عن أن ما يصلح للوزة يصلح لذكر الوز، وخمّن ماذا؟ لقد ربحنا "المحافظين العطوفين" مبادرة السموات النظيفة. الغابات الصحية. لا طفل بدون رعاية. وهذا هو استخدام اللغة لتهدئة (لتسكين) الأشخاص الذين لديهم قيم رعائية بينما السياسات الفعلية هى سياسات الأب الصارم. إن هذا يهدأ، بل يجذب، الأشخاص الذين فى الوسط ممن قد تكون لديهم شكوك حولك.

إن هذا هو استخدام اللغة الأورويلية (نسبة إلى الروائى جورج أورويل صاحب روايتى مزرعة الحيوانات و ١٩٨٤) لغة تعنى نقيض ما تقوله – لتسكّن الأشخاص الذين فى الوسط فى الوقت ذاته الذى تقوم فيه بتهئية القاعدة.

وذلك جزء من الاستراتيجية المحافظة. إلا أن الليبراليين والتقدميين يستجيبون نمطيًا تجاه هذه الاستراتيجية بطريقة تنطوى على الهزيمة الذاتية لأنفسهم. ويتمثل رد فعلهم المعتاد فى أن "أولئك المحافظين أناس سيئون؛ إنهم يستخدمون لغة أورويلية. إنهم يقولون عكس ما يقصدون، إنهم مخادعون، سيئون، سيئون".

كل هذا صحيح، إلا أننا ينبغى أن ندرك أنهم يستخدمون اللغة الأورويلية بدقة عندما ينبغى لهم أن يستخدموها: حين يكونون ضعفاء، عندما لا يمكنهم أن يخرجوا على الملأ ويقولوا ما يعنونه. تخيل لو أنهم خرجوا على الملأ ليدعّموا "قانونًا للسموات الملوّثة"، أو "قانونًا لتدمير الغابات"، أو قانونًا لـ "تصفية التعليم المجاني". إنهم سيخسرون. إنهم أناس واعون بأنه عليهم ألا يدعموا ما يحاولون حقًا أن يفعلوه.

إن اللغة الأورويلية تدل على الضعف ـ الضعف الأورويلي، عندما تسمع اللغة الأورويلية، لاحظ أين تُستخدم؛ لأنها دليل a guide للمواضع التي يكونون فيها في موقف ضعف أو عرضة للهجوم vulnerable، فهم لا يستخدمونها في كل موضع. ومن المهم ملاحظة هذا، وأن تستخدم مواضع ضعفهم لصالحك.

وهناك مثال جيد جدًا يرتبط بالبيئة. إن رجل اللغة المُحكَمة هو فرانك لونتز Frank Luntz الذي يُصدر كتبًا ضخمة في اللغة كدلائل إرشادية للمحافظين فقط، وهي تُستخدَم كمقررات تدريبية لكل المرشَّحين المحافظين، وكذلك المحامين والقضاة والخطباء الجماهيريين الآخرين – بل حتى طلاب المدارس العليا ممن يريدون أن يصبحوا شخصيات جماهيرية من المحافظين. وفي هذه الكتب يخبرك لونتز باللغة التي عليك أن تستخدمها.

على سبيل المثال، فإنه يقول في، طبعة العام الماضي، في القسم الخاص بالاحتباس الحراري يبدو أن العلم يمضي بشكل متزايد ضد موقف المحافظين. ومع ذلك، فإن المحافظين يمكنهم أن يواجهوا العلم مستخدمين اللغة السليمة. إن الناس الذين يدعمون المواقف البيئية يحبون كلمات معينة؛ إنهم يحبون كلمات صحي healthy، ونظيف clean وآمن safe ؛لأن هذه الكلمات توافق الأطر التي تصف ما تعنيه البيئة بالنسبة إليهم. ولذلك يقول لونتز: استخدم كلمات صحي ونظيف وآمن كلما أمكن، حتى حين تتحدث عن مصانع الفحم أو معامل الطاقة النووية. إنه هذا النوع من الضعف الأورويلي الذي يتسبَّب في صدور تشريع يزيد فعليًا التلوث ويطلق عليه قانون السموات الصافية the Clear Skies Act.

وعلى نحو مماثل، كتب لونتز منذ سنوات قليلة مذكرة حول مخاطبة النساء. كيف تتحدث إلى النساء؟ وطبقًا للونتز، فإن النساء يُحببن كلمات معينة، ولذا فحين تتحدث إلى جمهور من النساء فهناك كلمات عليك أن تستخدمها بقدر ما يمكنك: الحب، من القلب، من أجل الأطفال. وإذا قرأت خطب بوش ستجد أن كلمات الحب، ومن القلب، ومن أجل الأطفال تظهر مرارًا وتكرارًا المرة تلو الأخرى. إن هذا النوع من استخدام اللغة هو علم. علم مثل أي علم يمكن أن يتم استخدامه استخدامًا أمينًا أو ضارًا. وهذا النوع من الاستخدام

اللغوى يتم تعلمه. وهذا النوع من الاستخدام اللغوى هو أيضًا انضباط **a discipline**. إن المحافظين يفرضون انضباط الرسالة. ففى العديد من المكاتب يوجد صندوق خاص بالبيتزا: وفى كل مرة تستخدم فيها اللغة "الخطأ" يتوجب عليك أن تضع ربع دولار فى صندوق البيتزا. وبذلك يتعلم الناس سريعًا أن يقولوا تخفيف الضرائب **tax relief** أو الإجهاض المتعمد **partial-birth abortion** وليس شيئًا آخر. غير أن لونتز يعنى ما هو أكثر بكثير من مجرَّد اللغة. إنه يدرك أن الاستخدام السليم للغة يبدأ بالأفكار - بالتأطير السليم للقضايا، تأطيرًا يعكس منظورًا أخلاقيًا محافظًا متسقًا، وهو ما نطلق عليه أخلاقيات الأب الصارم. إن كتاب لونتز ليس عن مجرَّد اللغة فحسب. فهو بالنسبة لكل قضية من القضايا يشرح ما هو تفكير المحافظين فيها، وما هو تفكير التقدميين فيها، وكيف يمكن أن تهاجم الحجج التقدمية على أفضل نحو من منظور المحافظين. حيث من الواضح: أن الأفكار تأتى أولاً.

إن أحد الأخطاء الرئيسية التى يقترفها الليبراليون هى أنهم يعتقدون أن لديهم كل الأفكار التى يحتاجون إليها. ويظنون أن ما يفتقرون إليه هو وجود منافذ لهم إلى وسائل الإعلام. أو ربما بعض العبارات النافذة كالرصاصة السحرية **some magic phrases bullet**، مثل عبارة الإجهاض المتعمد.

إنك حين تعتقد أن ما تفتقر إليه ليس إلا الكلمات، يكون ما تفتقر إليه فعليًا ليس سوى الأفكار. إن الأفكار تأتى فى شكل أطر. وحين توجد الأطر تأتى الكلمات بسهولة. وثمة طريقة يمكنك الحديث بها حين تفتقر إلى الأطر السليمة. حيث توجد ظاهرة لعلكم قد لاحظتموها، وهى أن أى شخص من المحافظين الذين يظهرون على شاشة التلفاز يستخدم كلمتين، مثل تخفيف الضرائب، بينما يضطر المتحدث التقدمى أن يمضى عبر سرد فقرة طويلة من النقاش لبيان رؤيته الخاصة. إن المحافظين يمكنهم أن يلجأوا إلى إطار راسخ، وهو أن فرض الضرائب بلاء **an affliction** أو عبء **burden** وهو ما يسمح لعبارة تخفيف الضرائب ذات الكلمتين أن تفعل ما تفعله. فى حين أنه لا يوجد إطار راسخ على الجانب الآخر. إنك تستطيع أن تتحدث عنه، إلا أنه يقتضى بعض الجهد لأنه لا يوجد إطار راسخ، لا تجد فكرة راسخة سلفًا.

إن ثمة اسمًا لهذه الظاهرة فى العلم المعرفي. إذ يطلق عليها القصور المعرفى hypocognition ـ نقص الأفكار التى تحتاج إليها، الافتقار إلى إطار ثابت بسيط نسبيًا يمكن أن تستدعيه كلمة أو كلمتان. وتأتى فكرة القصور المعرفى من دراسة أجريت فى تاهيتي فى الخمسينيات قام بها الأنثروبولوجى بوب ليفى Bob Levy الذى كان أيضًا مُعالِجًا. لقد وجَّه سؤالاً حول لماذا كانت هناك حالات انتحار كثيرة فى تاهيتي، وقد اكتشف أن التاهيتيين لم يكن لديهم مفهوم للحزن grief. لقد كانوا يشعرون بالحزن، يخبرونه. إلا أنه لم يكن لديهم مفهوم له أو اسم له. فلم يكونوا يرونه كانفعال طبيعى a normal emotion. إذ لم تكن لديهم شعائر خاصة بالحزن. لا مواساة فى الحزن، ولا شيء شبيه بهذا. لقد كانوا يفتقرون إلى مفهوم يحتاجون إليه ـ وقد آل الأمر إلى الإقدام على الانتحار بكثرة شديدة جدًا.

إن التقدميين يعانون من قصور معرفى هائل. وقد كان المحافظون معتادين على أن يعانوا منه. فحين خسر جولد واتر Goldwater فى عام ١٩٦٤، لم يكن لدى المحافظين إلا عدد قليل جدًا من المفاهيم التى لديهم اليوم. إلا أن مفكرى المحافظين قد سدوا فى الأربعين عامًا الفاصلة هذه فجواتهم التصورية. هذا فى حين أن فجواتنا التصورية مازالت قائمة.

لكن دعونا نعود إلى تخفيف الضرائب.

ما هو فرض الضرائب؟ إن فرض الضرائب هو ما تدفعه لتعيش فى بلد متحضر ـ ما تدفعه لتحظى بالديموقراطية والفرصة، وما تدفعه لتستخدم البنية التحتية التى دفع لإنشائها دافعو ضرائب سابقون: شبكة الطرق السريعة، والشبكة العنكبوتية، والقاعدة العلمية الكاملة، والقاعدة الطبية، وشبكة وسائل الاتصال، وشبكة الطيران. وكلها دفع لها دافعو الضرائب.

ويمكنك أن تفكر فى ذلك بشكل استعارى على الأقل بطريقتين. أولاً، كاستثمار. ولتتخيل الإعلان التالي: لقد استثمر آباؤنا فى المستقبل، مستقبلنا ومستقبلهم، من خلال ضرائبهم. لقد أنفقوا أموال ضرائبهم فى نظام الطرق السريعة بين الولايات، والإنترنت،

والقواعد العلمية والطبية، ونظام الخطوط الجوية، وبرنامج الفضاء. لقد استثمروا في المستقبل ونحن نحصد فوائد الضرائب، مكاسب الضرائب التي دفعوها. واليوم لدينا أصول - طرق سريعة، مدارس وكليات، إنترنت - أتت من الاستثمارات الحكيمة التي استثمروها.

تخيل نسخًا من هذا الإعلان تدور وتتكرَّر لسنوات، في النهاية سيتأسس الإطار: الضرائب استثمار حكيم في المستقبل.

أو لتأخذ استعارة أخرى:

فرض الضرائب هو تسديد لديونك، دفع رسوم عضويتك في أمريكا. فلو أنك تشترك في نادي من نوادي البلد أو مركز اجتماعي، فإنك تدفع رسوم اشتراك. لماذا؟ لأنك لم تبنِ حمام السباحة. ويجب عليك أن تصونه. ولم تبنِ ملعب كرة السلة. وهناك شخص يجب أن ينظِّفه. إنك قد لا تستخدم ملعب الاسكواش؛ إلا أنه يظل عليك أن تدفع التزاماتك. فالأشخاص الذين يتهربون من الضرائب، مثل الشركات التي تنتقل إلى بيرمودا، لايسدِّدون ديونهم لبلدهم. إنه لواجب وطني أن تكون دافع ضرائب. وإنه لمن الخيانة أن نخذل بلدنا وألا تدفع ديونك.

لعل السيد بيل جيتس قالها بشكل أفضل. ففي حجاج للحفاظ على موروث الضرائب، أشار إلى أنه وبيل ج ر لم يخترعا الإنترنت. وأنهما استخدماه فحسب - ليكسبا بلايين. فلا يوجد إنسان مصنوع صناعة ذاتية. إن كل رجال الأعمال يستخدمون البنية التحتية الأمريكية المهولة التي دفع لها دافعو الضرائب، ليربحوا أموالهم. إذ لم يربح واحد منهم أمواله بمفرده. لقد استخدم البنية التحتية لدافعي الضرائب. وأصبح ثريًا من خلال ما دفعه دافعو ضرائب آخرون أتاحت أموالهم وجود: النظام المصرفي **the banking system**، والبنك المركزي (الاحتياطي الفيدرالي) **Federal Reserve** ، ووزارتي الخزانة والتجارة، والنظام القضائي الذي تختص تسعة أعشار قضاياه بقانون الشركات. إن استثمارات دافعي الضرائب هذه تدعم شركات ومستثمرين أثرياء. فلا يوجد بشر مصنوعون ذاتيًا! **self-made men** فالأثرياء أصبحوا أثرياء باستخدام ما دفع له دافعو ضرائب سابقون. إنهم يدينون لدافعي الضرائب في هذه البلد بالكثير وينبغي عليهم أن يسدِّدوه.

إن هذه رؤى دقيقة عن الضرائب، إلا أنها لم تتكرَّس بعد في أذهاننا. فهي تحتاج أن تتكرَّر مرات ومرات، وأن يتم صقلها حتى تتخذ مكانها المناسب في مشتبكاتنا العصبية our synapses. إلا أن هذا يستغرق زمنًا، ولا يحدث بين عشية وضحاها. لكن ابدأ الآن.

إنها ليست صدفة أن يفوز المحافظون، حيث إنهم يؤطِّرون القضايا تأطيرًا ناجحًا. وقد بدأوا في ذلك منذ فترة تتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين عامًا. وأنفقوا ما يزيد عن بليوني دولار على مجموعاتهم البحثية.

وهم مع ذلك مازالوا يفكِّرون في القادم. بينما لا يفعل التقدميون ذلك. بل إن التقدميين يشعرون أنهم يُهاجَمون بشدة من المحافظين إلى حد أنهم لا يستطيعون سوى أن يفكِّروا فقط في الدفاع عن أنفسهم. فقادة مكاتب الحزب الديموقراطي تحت القصف باستمرار وعليهم كل يوم أن يردوا على مبادرات المحافظين. وسؤالهم الدائم هو " ما الذي يجب علينا أن نفعله لنتصدى لهم اليوم؟" وهو ما يقود إلى سياسات قائمة على رد الفعل وليس على سياسات استباقية proactive.

ولا يقتصر هذا فقط على مسئولي الحزب الجماهيريين، بل إنني كنتُ أتحدث إلى جماعات مؤيِّدة على امتداد البلاد، أعمل معهم وأحاول أن أساعدهم في تأطير القضايا. ولقد عملتُ مع أكثر من مائتي جماعة مؤيِّدة بهذه الكيفية، ووجدتُ أن لديهم نفس المشكلات. إنهم تحت الهجوم طول الوقت، وما يحاولون فعله هو أن يحموا أنفسهم من الهجوم التالي.وهم واقعيًا، لا يملكون الوقت لكي يخطِّطوا. ليس لديهم الوقت لكي يفكِّروا على المدى البعيد. ليس لديهم وقت لكي يفكِّروا فيما وراء قضاياهم الجزئية.

إنهم جميعًا أناس جيدون، مثقفون، أناس ملتزمون، إلا أنهم باستمرار في وضع دفاعي. لكن لماذا؟

ليس من الصعب تفسير هذا حين نفكِّر في التمويل.

إن المجموعات البحثية للجناح اليميني تحصل على كميات ضخمة من المنح والهبات، ملايين في المرة الواحدة؛ فهم مُموَّلون بشكل جيد جدًا. وأقل مجموعة بحثية مؤثِّرة في

اليمين تتراوح ميزانيتها السنوية من أربعة إلى سبعة ملايين دولار. وهذا بالطبع فيما يتعلق بالمجموعات القائمة على العمليات الصغيرة **small operations**. أما أصحاب العمليات الكبيرة فتصل ميزانيتهم إلى ٣٠ مليون دولار سنويًا. وعلاوة على ذلك، فإنهم يعلمون أنهم سيحصلون على الأموال فى العام التالى وفى العام الذى يليه. ولتلاحظوا أن هذه منح بلا قيود، خذها وافعل ما تريد. استأجر مثقفين، درِّب مواهب. بل إن إحدى المجموعات البحثية تبنى مبنى جديدًا، مقدَّرًا له أن يبلغ ثمانية طوابق مع قاعات مجهَّزة بوسائل الاتصال ومائة شقة للمتدربين الذين لا يمكنهم أن يتحملوا نفقات الإيجار فى واشنطن.

إن هذه المؤسسات تبنى أيضًا رأس مال إنسانيًا للمستقبل. فالمتدربون والدارسون أناس يريدون أن يتواجدوا، أناس لديهم مواهب وقدرات يمكنها أن تجعلهم مهمين فى مجالاتهم. وهم من خلال هذه المجموعات البحثية يتعرفون على بعضهم البعض. كما يبنى المتدربون من خلال هذه التعارفات شبكات حياتية: إذ على الأرجح تتوثق علاقاتهم على مدار العمر لأنهم عاشوا معًا وهم متدربون. وهذه شبكات اجتماعية ستدفع حصصها لسنوات

وسنوات. إن المحافظين الذين أنشأوا المجموعات البحثية ليسوا أناسًا بلهاء. وفى المقابل، توجد منح قليلة جدًا مثل هذه تقدِّمها الصناديق التقدمية. إلا أن الصناديق التقدمية توزِّع حصصًا محدودة من المال. إنهم يعطون ٢٥ ألف دولار هنا، ربما ٥٠ ألف دولار، أو ربما حتى مائة ألف. أحيانًا تكون المنحة كبيرة. إلا أنه يجب على كل واحد من المتلقين للمنح أن يفعل شيئًا مختلفًا عما يفعله الآخر؛ لأن الصناديق المُموِّلة ترى أن تكرار الأنشطة تبديد للمال. ليس فقط ذلك، بل إن هذه المنح ليست منحًا غير مشروطة، إذ ليس لدى من يتلقونها حرية كاملة فى أن يقرِّروا كيف ينفقون المال. وبالتأكيد ليس من الملائم أن تنفق على تطوير المسارات المهنية للبعض، أو على تأسيس بنية تحتية، أو توظيف مثقفين للتفكير فى السياسات البعيدة المدى، وكذلك القصيرة المدى أو ما بينهما. وإنما ينصب التركيز على تقديم خدمات مباشرة للناس الذين يحتاجون الخدمات: تمويل القواعد، وليس خلق بنية تحتية. هذه هى الكيفية التى تعمل وفقًا لها صناديق التمويل فى معظم الأحوال.

وبسبب ذلك، فإن التنظيمات التي يموّلونها لا بد من أن تكون زاوية تركيزها محدودة جدًا. إذ يجب عليهم أن يعملوا على مشاريع، وليس على مجرّد مناطق. كما تجد أن الناشطين والمؤيدين يعملون عملاً مضنيًا ولا يُدفع لهم سوى القليل، ولا يكون لديهم وقت أو طاقة ليفكّروا في كيف يربطون أنفسهم بأناس آخرين، وهم أساسًا لا يملكون الوقت ولا التأهيل ليفكّروا في تأطير قضاياهم. إن النسق يفرض بؤرة ضيقة **narrow focus** ومعها الانعزال.

ولعلك تتساءل، لماذا تمضي الأمور على هذا النحو؟ وهناك بالطبع سبب وسبب عميق، وهو سبب ينبغي عليكم جميعًا أن تفكّروا فيه. إن القيمة العليا، في تراتبية القيم الأخلاقية لدى اليمين هي الحفاظ على النسق الأخلاقي ذاته والدفاع عنه. فإذا كان هذا هو هدفك الأساس، ماذا تفعل؟ إنك، في هذه الحالة، تؤسّس بنية تحتية. تشتري وسائل الإعلام مقدّمًا. تخطّط مقدّمًا. تفعل أشياء من قبيل أن تعطي منحًا لطلاب القانون من الجناح اليميني ليتخرجوا من كليات الحقوق إذا ما التحقوا بالمجتمع الفيدرالي. وتوفّر لهم وظائف جيدة بعد ذلك. وإذا أردت أن تنشر رؤيتك للعالم، فمن الذكاء إلى حد بعيد أن تتأكد أنك على المدى البعيد ستحظى بالناس والموارد التي تحتاج إليها.

أما في اليسار، فإن القيمة العليا هي مساعدة الأفراد الذين يحتاجون إلى المساعدة. ومن ثم فلو أنك تمثل صندوقًا ماليًا أو تنشيء صندوقًا ماليًا، ما الذي يجعلك شخصًا جيدًا؟ والجواب هو أن تساعد أكبر عدد يمكن أن تساعده من الأشخاص، وكلما تقلصت الميزانيات الداعمة للجماهير ازداد عدد من يحتاجون إلى المساعدة. ومن ثم فإنك تنثر المال على تنظيمات القواعد، ولذلك لا تتبقى لك أية أموال للبنية التحتية، أو تنمية المواهب، ولا للمثقفين بالتأكيد. لا تبدّد بنسًا واحدًا في أي عمل مكرَّر، لأنك يجب أن تساعد المزيد والمزيد من الناس. فكيف تظهر أنك شخص أخلاقي جيد أو صندوق مالي جيد وأخلاقي؟ بإحصاء كل الناس الذين تساعدهم وكلما زاد عددهم كان ذلك أفضل.

وهكذا فإنك تديم النظام الذي يساعد اليمين. صحيح أنه ضمن هذه السيرورة تتم أيضًا مساعدة الناس. وبالتأكيد أن هذا لا يعني أن الناس لا يحتاجون للمساعدة. إنهم يحتاجون بالتأكيد للمساعدة. لكن ما يحدث كلما أخذت الميزانيات والضرائب تتقلص

هو أن اليمين يعزل اليسار. إذ يجبر اليمين اليسار أن ينفق المزيد والمزيد من الأموال الخاصة على ما ينبغي أن تدعمه الحكومة.

إن هناك أشياء عديدة نستطيع فعلها تجاه كل هذا. فدعونا نتحدث حول من أين ينبغي لنا أن نبدأ.

إن اليمين يعرف كيف يتحدث عن القيم.

إننا نحتاج أن نتحدث عن القيم. وإذا فكّرنا فى الأمر قليلاً فإننا نستطيع أن نحصى قيمنا. إلا أنه ليس من السهل التفكير فى كيف تلائم القيم القضايا، أن نعرف كيف نتحدث حول كل قضية من القضايا من منظور قيمنا وليس من منظور قيمهم. إن التقدميين لديهم الكثير ليتعلموه من الأبحاث المحايدة لمعهد روكريدج حول القيم – المحافظة والتقدمية على السواء – الكامنة وراء القضايا.

كما يجب أيضًا على التقدميين أن ينظروا إلى تكامل القضايا. وهذا أمر اليمين ماهر جدًا جدًا فيه. فهم على دراية بما أدعوه المبادرات الاستراتيجية والمبادرة الاستراتيجية a strategic initiative هى خطة يكون فيها لأى تغيير فى مجال قضية من القضايا المختارة بعناية تأثيرات أوتوماتيكية على العديد جدًا جدًا من مجالات القضايا الأخرى.

على سبيل المثال، تخفيض الضرائب tax cuts. فهذه تبدو مسألة مباشرة، لكن نتيجتها هى أنه لا يوجد مال كافٍ فى الميزانية لأى برنامج من البرامج الاجتماعية للحكومة.

ليس فقط أنه لا يوجد مال كافٍ، لنقل، لمن لا مأوى لهم، أو المدارس، أو الحماية البيئية؛ بل إنه لن يوجد مال كافٍ لكل شيء دفعة واحدة، لكامل المدى. فهذه مبادرة استراتيجية. أو إصلاح الضرر، وهو ما يعنى وضع قيود على التعويضات فى القضايا المرفوعة. إن إصلاح الضرر tort reform يمثّل أولوية عليا للمحافظين.

لماذا يهتم المحافظون اهتمامًا كبيرًا جدًا بهذا؟ حسنًا، بمجرّد ما أن ترى الآثار، يمكنك أن ترى لماذا يهتمون كل هذا الاهتمام.

لأنك بضربة واحدة تمنع كل القضايا المحتمل رفعها التى ستكون الأساس للتشريعات والقوانين البيئية المستقبلية. أى أنها ليست مجرَّد قوانين الصناعات الكيماوية، أو صناعات الفحم، أو صناعات الطاقة النووية، أو أشياء أخرى هى المقصودة. بل قوانين كل شيء. وما دام لا يمكن للأطراف المتضررة أن تقاضى الشركات اللا أخلاقية أو المستهترة أو المسئولين اللا أخلاقيين أو المستهترين، مطالبة بمبالغ كبيرة، فإن للشركات مطلق الحرية أن تؤذى الجماهير بطرائق لا حصر لها من أجل أن تجنى الأموال. وهكذا فإن المحامين الذين يخاطرون بإنفاق مبالغ كبيرة فى مثل تلك القضايا، لن يجنوا أموالاً كافية يمكنها أن تتيح لهم الاستمرار فى المخاطرة. وستصبح الشركات حرة فى أن تتجاهل المصلحة العامة. وذلك ما يدور حوله "إصلاح الضرر".

بالإضافة إلى ذلك، فلو أنك نظرت إلى المصادر التى يحصل منها الديموقراطيون على الكثير من أموالهم فى حالات التبرعات الفردية، فإنك سوف تجد أنها إلى حد كبير من المحامين الذين يكسبون قضايا الضرر (أى قضايا التعويضات). والكثير من أولئك المحامين هم متبرعون ديموقراطيون مهمون. إن "إصلاح" الضرر – كما يدعوه المحافظون – يستأصل هذا المصدر من الأموال. وهذا يعنى أن ثلاثة أرباع الأموال العاجلة الذاهبة إلى الحزب الديموقراطى فى تكساس لن تذهب إليه. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الشركات التى تسمِّم البيئة تريد أن تكون قادرة على أن تكمل التعويضات الممكنة. وبتلك الكيفية يمكنهم أن يحسبوا مقدَّمًا تكلفة ما يدفعونه للضحايا ويدمجونها فى تكلفة تشغيل المشروع. إن الشركات غير المسئولة تكسب الكثير من إصلاح الضرر. والحزب الجمهورى يكسب الكثير من إصلاح الضرر. وهذه الأغراض الحقيقية خفية. وتبدو القضية على أنها استئصال "لرفع القضايا التافهة" من قبيل القضايا التى يحصل فيها بعض الناس على ثلاثين مليون دولار لانسكاب قهوة ساخنة عليهم.

ومع ذلك، فإن ما يحاول المحافظون فعليًا أن يحقِّقوه ليس هو المقدَّم فى المقترح. وإنما ما يحاولون تحقيقه ينبع من تقنين المقترح. فهم لا يهتمون أساسًا بالقضايا لأنفسها وإنما يهتمون بالتخلص من حماية البيئة وحماية المستهلك وحماية العمال بعامة. ويهتمون بتجريد الحزب الديموقراطى من الأموال. إن ذلك ما تعنيه المبادرة الاستراتيجية.

وقد كانت لدى اليسار مبادرتان استراتيجيتان ـ تقارير الآثار البيئية وقانون الأنواع المهدَّدة the Endangered Species Acts ـ إلا أنه قد مر ثلاثون عامًا منذ أن تم تقنينهما.

إن اليسار، على العكس من اليمين، لا يفكِّر تفكيرًا استراتيجيًا. إذ إننا نفكِّر قضية بقضية. وعمومًا فإننا لا نحاول أن نكتشف أقل تغيير يمكننا أن نمارسه تكون له تأثيرات على قضايا عديدة.

وإن كانت توجد استثناءات قليلة جدًا. على سبيل المثال، فى اللحظة الراهنة يوجد مقترح استراتيجى يُدعى مبادرة أبوللو الجديدة the New Apollo Initiative ولنقدِّمها ببساطة، فإن الفكرة هى وضع ثلاثين بليون دولار سنويًا – وهو المبلغ الذى يدخل فى إعانات لدعم صناعتى الفحم والغاز – داخل الطاقة البديلة. ما الذى يجعل هذه مبادرة استراتيجية، إنها استراتيجية لأنها ليست قضية طاقة أو قضية إعالة فحسب. بل إنها أيضًا:

قضية وظائف: إنها ستوفِّر من مليونى إلى أربعة ملايين وظيفة.

قضية صحية: هواء أقل تلوثًا يعنى عددًا أقل من الأطفال المصابين بالربو.

قضية ماء نقي، وهواء نقي.

قضية الحفاظ على الأنواع: إنها تنقِّى البيئة والمناطق السكنية.

إنها قضية احتباس حراري: إننا سنكون مساهمين بذلك فى تخفيض الغازات المنبعثة من الصوبات مثل الكربون ديوكسيد بدون برنامج محدَّد للاحتباس الحراري.

قضية سياسة خارجية: إذ إننا لن نظل معتمدين على بترول الشرق الأوسط.

قضية تنمية العالم الثالث: حيث يمكن لكل بلد، مهما كانت درجة تخلفها، أن تنتج الطاقة الخاصة بها إذا حصلت على التكنولوجيات البديلة الملائمة. ولن يكون على مثل هذه البلدان أن تقترض الأموال لتشترى البترول وتلوِّث بيئاتها. ولن يكون عليهم أن يدفعوا فوائد على الأموال المقترضة. وعلاوة على ذلك، فإن كل دولار يُنفق فى الطاقة فى العالم

الثالث مضروب فى ستة باختصار. إن الاستثمار الهائل فى الطاقة البديلة له ناتج هائل على مجالات عديدة من القضايا. وهذا ليس خاصًا بالطاقة فحسب، إنما خاص بالوظائف والصحة، والهواء والماء النقيان، والبيئة، والاحتباس الحراري، والسياسة الخارجية، وتنمية العالم الثالث، بل إنه أيضًا خاص بحشد ائتلافات جديدة وتنظيم مؤسسات جديدة وناخبين جدد.

إن ثلاثين بليون دولار سنويًا لعشر سنوات موضوعة فى الطاقة البديلة ستكون لها تأثيرات هائلة. إلا أن المرشّحين التقدميين مازالوا يفكّرون على الآماد القصيرة جدًا وليس على الأمد البعيد واستراتيجيًا. كما أن هناك أيضًا مبادرات استراتيجية من نوع آخر – ما أسمّيه المبادرات المتدحرجة المراوغة **slippery slope initiatives**: خذ الخطوة الأولى وستجد نفسك فى طريقك إلى الابتعاد عن المنحدر. إن المحافظين بارعون جدًا فى المبادرات الملتوية المراوغة. خذ "إجهاض المواليد العمدي" **"partial-birth abortion** بينما لا توجد تقريبًا حالات من هذا النوع. فلماذا يهتم المحافظون إلى هذا الحد؟ لأنها خطوة أولى لهبوط منحدر مخادع لإنهاء كل الإجهاض. وهو ما ينشر للعلن إطارًا للإجهاض بوصفه إجراءً مُريعًا، فى الوقت الذى لا يوجد فيه شيء مثل هذا فى معظم عمليات إنهاء الحمل.

لماذا يوجد مشروع قانون للتعليم خاص باختبار المدارس؟ ما أن ينطبق إطار الاختبار **the testing frame** ليس فقط على الطلاب لكن أيضًا على

المدارس، إذًا فإنه يمكن، استعاريًا، للمدراس أن ترسب وأن تعاقب على الرسوب بتخفيض مخصّصاتها. ولا شك أن تخفيض الموارد المالية بدوره يجعل إمكانية تحسين المدارس أصعب، وهو ما يقود إلى دائرة من الإخفاق تفضى فى النهاية إلى إغلاق العديد من المدارس العامة. وما يحل محل نظام المدارس العامة هو ضمان نظام دعم المدارس الخاصة. ويصبح لدى الأثرياء المدارس الجيدة – يدفع لها جزئيًا من أموال الضرائب المخصّصة للمدارس العامة. ولن يصبح لدى الفقراء الأموال اللازمة لمدارس جيدة. وهكذا تنتهى بنظام مدارس ذى إطارين **a two-tire school system**، واحد جيد

"للأثرياء المستحقين" the "deserving rich" وآخر سيء "للفقراء غير المستحقين" the "undeserving poor".

كما أن مشروع قانون الرعاية الصحية للمسنين كان مبادرة متدحرجة مراوغة أخرى. وتستطيع منظمات رعاية الصحة HMOs أن تستخدم وزنها لتساوم على أسعار أرخص للأدوية، فى حين أن الحكومة تمنع من استخدام وزنها للحصول على تخفيضات. وعلاوة على ذلك، فإن الرعاية الطبية للمسنين ستكون مجبرة على أن تتنافس مع شركات الأدوية الخاصة بعد سنوات قليلة على أسس غير متكافئة. فشركات الأدوية ستحصل على ١٢ بليون دولار دعمًا لمساعدة المواطنين الكبار السن – واستراتيجية المحافظين هى إغراء كبار السن بالخروج من الرعاية الصحية والدخول فى حسابات خاصة ذات أسعار منخفضة مؤقتًا للأدوية وفى النهاية، سيترك المزيد والمزيد من الناس الرعاية الطبية للمسنين إلى أن تنهار، وهذه هى الكيفية التى يفترض أن تكون عليها الأمور انطلاقًا من رؤية العالم الأخلاقية للمحافظين.

ومع ذلك، فإن سيناتورة ديموقراطية بارزة صوّتت لصالحه، انطلاقًا من أنه يوفِّر مساعدة فورية ببلايين الدولارات لكبار السن فى ولايتها. وقد وصفته بأنه "خطوة أولى جيدة". إلا أنها خطوة إلى حافة المنحدر.

فلا يجب أن يكسب المحافظون القضية، المرة تلو الأخرى. إذ هناك الكثير الذى يمكنكم أن تفعلوه تجاه هذا. إذ ثمة أحد عشر شيئًا يستطيع التقدميون أن يفعلوها.

### أولاً، لتعرفوا ما نجح فيه المحافظون بشكل صحيح وأين أخفق التقدميون فى اللحاق بالمركب.

إنه أكثر من مجرَّد السيطرة على وسائل الإعلام، وإن كان هذا ليس بالقليل. وما نجحوا فيه بشكل صحيح هو تأطير القضايا تأطيرًا ناجحًا من منظورهم. لتقِرُّوا بنجاحاتهم وإخفاقاتنا.

**ثانيًا، تذكَّروا "لا تفكِّر في فيل"** إذا احتفظتم بلغتهم وتأطيرهم وجادلتم فحسب ضدها فإنكم ستخسرون لأنكم تعزِّزون إطارهم.

**ثالثًا، إن الحقيقة وحدها لن تحرِّركم.** ذلك أن مجرَّد قول الحقيقة ضد القوة لا يُجدي. إذ تحتاجون أن تؤطرِّوا الحقائق تأطيرًا فعالاً من منظوركم.

**رابعًا، إنكم تحتاجون أن تتحدثوا من منظوركم الأخلاقى فى جميع الأوقات.** فالسياسات التقدمية تنبع من القيم التقدمية. كونوا واضحين حول قيمكم واستخدموا لغة القيم. واتركوا لغة تلاميذ السياسة.

**خامسًا، افهموا من أين ينطلق المحافظون.** واجعلوا أخلاقيات الأب الصارم الخاصة بهم وعواقبها واضحة. اعرفوا ما تجادلون ضده. وكونوا قادرين على تفسير لماذا يعتقدون ما يعتقدونه. حاولوا أن تتنبئوا بما سيقولون.

**سادسًا، فكِّروا بشكل استراتيجى فى مجالات القضايا.** فكروا طبقًا للأهداف الأخلاقية الكبرى، وليس طبقًا للبرامج فى ذاتها.

**سابعًا، فكِّروا فى عواقب المقترحات.** انطلاقًا من مبادرات تقدمية مراوغة متدحرجة.

**ثامنًا، تذكَّروا أن الناخبين يصوِّتون لـــهويتهم وقيمهم التى لا تقتضى أن تتطابق مع مصالحهم الخاصة.**

**تاسعًا، اتحدوا! وتعاونوا!** وها هى كيفية فعل ذلك: تذكَّروا أساليب التفكير التقدمى الستة: (١) الاقتصادى الاجتماعى (٢) سياسات الهوية (٣) أصحاب التوجه البيئي، (٤) المدافعين عن الحريات المدنية، (٥) أصحاب النزعة الروحية، (٦) المناهضين لأشكال التسلط. ولاحظوا أى هذه الأساليب من أساليب التفكير هى التى تستخدمونها أكثر – أين تقعون على الطيف اللونى الملائم، وأين يقع الناس الذين تتحدثون إليهم على هذا الطيف اللونى الملائم. وحينئذٍ، ارتفعوا فوق أسلوب تفكيركم الخاص وابدأوا التفكير والحديث من القيم التقدمية المشتركة.

**عاشرًا، كونوا استباقيين proactive لا استجابيين reactive. والعبوا بأسلوب هجومى وليس بأسلوب دفاعي.** مارسوا إعادة التأطير كل يوم على كل قضية من القضايا. لا تقولوا فحسب ما تعتقدونه. بل استخدموا أطركم، لا أطرهم. استخدموها؛ لأنها توافق القيم التى تؤمنون بها.

**أخيرًا، تحدثوا إلى القواعد التقدمية لكى تفعِّلوا النموذج الراعى "للناخبين المتأرجحين" لئلا ينتقلوا إلى اليمين.** فالحركة اليمنية تؤذى بطريقتين. إنها تغرِّب القواعد التقدمية وتساعد المحافظين بتحفيز نموذجهم فى الناخبين المتأرجحين.

# (٢)

# ادخل التيرميناتور

**١٣ أكتوبر، ٢٠٠٣.**

إن المخبرين الصحفيين فى الجرائد والتلفاز يحتاجون قصة. وكل قصة تتطلب إطارًا. كيف تم تأطير انتخابات أرنولد شوارزنيجر؟ وهاهى عينة:

**ثورة الناخبين:** لقد كان جراى دفيز حاكمًا سيئًا جدًا إلى حد أن الناخبين قد خلعوه بشكل مبرَّر وصوَّتوا فى المجلس النيابى للحزب الآخر.

**اللا متواصل الأعظم:** لقد حكم جراى دفيز بقدر الممكن فى ظل الظروف الكائنة، إلا أنه كان بالغ السوء فى التواصل مع جمهور الناخبين بحيث لم يستطع أن يوصِّل إنجازاته الحقيقية، كما لم يستطع أن يوصِّل الدور الذى لعبه الجمهوريون فى مشكلات الولاية. وتصور الجمهور أن دفيز كان أسوأ مما كان فعلاً، ورغبوا فى شخص متواصل، ولذا فقد صوَّتوا على خلعه واختاروا ممثلاً.

**أولئك الكاليفورنيون المهاويس:** إن الناس فى كاليفورنيا غريبو الأطوار إلى حد أنهم انتخبوا ممثلاً من لاعبى كمال الأجسام بلا خبرة سياسية ليحل محل الحاكم الذى انتخبوه من عام واحد فحسب.

**الجماهير تهزم الساسة:** حين تفوز الجماهير، فإن السياسة كالعادة لا بد من أن تخسر (خطاب قبول الترشيح لشوارزنيجر).

**مجرَّد شهرة:** إن الجماهير لا تفهم السياسة ويصوِّتون فحسب للشهرة.

**صعد بمجهوده:** لقد جاء أرنى إلى أمريكا كمهاجر، وعمل وكافح ليصبح بطل كمال أجسام ثم ممثلاً مليونيرًا وأخيرًا حقَّق حلمه وأصبح حاكمًا.

لقد كان التأطير عنيفًا فى التقارير الإعلامية فى هذه الانتخابات. إن الأطر تأتى باستدلالات، وهكذا فإن كل إطار يتضمن شيئًا مختلفًا.

إن إطار **ثورة الناخبين** يُشرعِن العزل والدعوة إلى الانتخاب. فهو يفترض أن دافيز كان غير كفوء أو فاسدًا، إلى حد أن الناخبين أدركوا بشكل صحيح هذا، وإلى حد أنه استفزهم؛ مما جعلهم يثورون تلقائيًا وبشكل مبرَّر وعلى نحو ساحق ويعزلونه، مستبدلين به شخصًا يعرفون أنه أكثر كفاءة. وقد كان هذا تحقيقًا للديموقراطية وكل شيء بخير وينبغى أن نكون سعداء بالنتيجة، وسوف تتحسن الأمور.

يتضمن إطار **اللا متواصل الأعظم** أن المشكل الوحيد والأوحد كان يتمثل فى عدم قدرة جراى دافيز على التواصل. وهو يفترض أنه كان حاكمًا كفؤًا وإداريًا مسئولاً عدا هذا العيب الوحيد القاتل، وأن الجماهير كانت تريد التواصل بقوة شديدة مما جعلهم يقيلون دافيز من خلال تصويت شعبي؛ لأنه لم يستطع أن يوصِّل إليهم إنجازاته. والمتضمن فى هذا هو أن الإقالة وانتخاب شوارزنيجر لا علاقة لهما بأى شيء خارج نطاق كاليفورنيا أو أى شيء أوسع من ذلك وأن المشكل كان يتمثل فى دافيز ليس إلا.

إن إطار **الكاليفورنيين المهاويس** يقول إن العزل كان لاعقلانيًا، بحيث إن الكاليىفورنيين لا يمكنهم أن يميِّزوا الأفلام من الواقع وأن بطل أفلام الحركة لا يمكنه أن يحكم ولاية كبيرة تواجه مشاكل، وأن أرنى غير كفوء سياسيًا وأن الفوضى ستنشأ عن هذا.

إن إطار **الجماهير تهزم الساسة** هو عبارة عن محاولة من شوارزنيجر لفرض إطاره الخاص. والسياق هو أن أرنولد سيتوجب عليه أن يتعامل مع أغلبية ديموقراطية فى المجلس التشريعي. إن هذا الإطار يقدِّمه ويقدِّم الساسة الجمهوريين بوصفهم

"الجماهير" والديموقراطيين بوصفهم يمثلون "السياسة كما هى معتادة" التى صوَّتت "الجماهير" ضدها.

إن إطار **مجرَّد شهرة** يتضمن أنه لم تكن هناك سياسة متحيزة فى هذه الانتخابات وأن أية شهرة على الإطلاق كان بوسعها أن تفوز تمامًا كذلك.

إن إطار **صعد بمجهوده** يُسنِد انتخاب شوارزنيجر أساسًا إلى أرنولد نفسه، خصوصًا إلى عمله الشاق وطموحه. لقد أصبح أرنولد حاكمًا لأنه استحق ذلك. وقد استحقها لأنه عمل بجد فى كمال الأجسام وفى التمثيل وفى حملته الانتخابية.

وإذا كانت ستوجد قصة خبرية فإنها ستكون إطارًا، وكل إطار ستكون له استدلالات مختلفة .

# الوقائع والتأطير

إنها لنتيجة عامة فيما يتعلق بالأطر أنه إذا ما كان هناك إطار معتنق بقوة لا يطابق الوقائع **the facts**، فإنه يتم تجاهل الوقائع ويتم الاحتفاظ بالإطار. فالأطر المرصودة فيما سلف لا تطابق الوقائع مطابقة دقيقة – على الرغم من أن كلاً منها يتضمن جزءًا من الحقيقة. ودعونا نعاين الوقائع التي يخفيها كل إطار من هذه الأطر.

إن إطار **ثورة الناخبين** يخفي جهود الجمهوريين على مدار سنوات عديدة لجعل دافيز يبدو في صورة سيئة لإضراره باقتصاد كاليفورنيا. فهو يخفي حقيقة أن تخلي الحكومة عن السيطرة على الطاقة تم على يد الحاكم الجمهوري بيت ولسن **pete Wilson** وهو يتجاهل حقيقة أنه لم تكن هناك أزمة طاقة حقيقية. بل إنها نتجت عن سرقة إنرون **Enron** وشركاء بوش الكبار الآخرين، السرقة التي كانت تحميها اللجنة الفيدرالية المنظِّمة للطاقة، والمدارة من قبل أناس عيَّنهم بوش. فإدارة بوش نظرت في الاتجاه الآخر، بينما كانت تخدع كاليفورنيا وتقطع أشواطًا كبيرة في ألا تساعد كاليفورنيا ماليًا بأية صورة من الصور العديدة التي يمكن للحكومة بها أن تساعد. وقد التقى شوارزنيجر مع كين لاي **Ken Lay** ومع بعض التنفذيين المسئولين عن الطاقة في ربيع ٢٠٠١ حين كان لاي يروّج لتخلي الحكومة عن السيطرة على الطاقة، في الوقت الذي كان ينكر فيه أي تواطؤ في السرقة.

والآن يروّج شوارزنيجر لتخلي الحكومة عن السيطرة على الطاقة مرة أخرى.

وهو أيضًا يتجاهل حقيقة أن الهيئة التشريعية الجمهورية لكاليفورنيا خرجت عن مسارها لتجعل دافيز يبدو سيئًا، ورافضًا لدعم إجراءات صائبة للتعامل مع مشكلات الموازنة كما يتجاهل (أي إطار ثورة الناخبين) حقيقة أن عريضة دعوى الخلع قد تحمَّل

نفاقاتها أحد المشرِّعين المحافظين الأثرياء، وأنه قد دُفع لجامعي التوقيعات بسخاء وأن بعض التوقيعات جُمعت من خارج الولاية، وهو أمر غير قانوني. وهو يتجاهل كم الأموال المهول ومقدار التنظيم المبذولين من قبل الجمهوريين فى حملة شوارزنيجر. إذ لم تكن هذه ثورة جماهيرية بسيطة. والأهم من كل ذلك أن إطار ثورة الناخبين لا يفسّر لماذا توجب أن يكون شوارزنيجر هو المرشَّح المختار.

إن إطار **اللا متواصل الأعظم** به الكثير من الحقيقة، إلا أنه أيضًا يُخفى كل الجهود الجمهورية الداعمة، ويخفى أمرًا آخر، وهو أنه ليس فقط جراى دافيز هو من لا يستطيع أن يتواصل تواصلاً فعالاً بل الديموقراطيون عمومًا.

كما أن إطار **الكاليفورنيين المهاويس (غريبى الأطوار)** The kooky Californians لا يفسّر أى شيء مما ذُكر. بل إن حملة الجمهوريين المبنية بعناية لمناهضة دافيز على المدى الطويل مخفية بواسطة هذا الإطار. إذ يبدو الأمر كما لو لم يكن للسياسة دخل فى هذا على الإطلاق. وكذلك يُخفى إطار **الجماهير تهزم الساسة** حقيقة أن الجمهوريين كانوا يتلاعبون بالسياسة من خلال الموارد المالية للولاية لسنوات فى محاولة منهم لهزيمة دافيز، وهو يُخفى أيضًا حقيقة أن فريق شوارزنيجر الذى كان يديره الحاكم الأسبق بيت ولسن، سيكون تمامًا بقدر ماهى عليه "السياسة كالعادة" وأن النواب الديموقراطيين في المجلس التشريعى يمثّلون عددًا من "الجماهير" أكثر من العدد الذى يمثله الجمهوريون.

كما أن إطار **مجرَّد شهرة** يتجاهل كل العوامل السياسية المذكورة، وكذلك لا يمكنه أن يفسِّر لماذا فازت هذه الشهرة المحدَّدة، إن جاى لينو jay Leno دعم شوارزنيجر. ولينو على القدر ذاته من الشهرة إلا أنه ما كان يمكنه قط أن يُنتخَب كحاكم.

وكذلك يتجاهل أيضًا إطار **صعد بمجهوده** كل السياسة المتضمنة ولا يفسِّر لماذا لم يخض الانتخابات ولم يفز بها ممثلون آخرون صعدوا بمجهودهم.

إن هذه التأطيرات تُخفى حقائق أخرى مهمة كذلك. فهى لا تفسِّر لماذا كثيرون من أعضاء الاتحادات الشعبية العامة تجاهلوا دعم اتحاداتهم لدافيز وصوَّتوا لصالح

شوارزنيجر ضد مصلحتهم الخاصة. وهى لا تفسِّر لماذا صوَّت كثيرون من ذوى الأصول الأمريكية اللاتينية لصالح شوارزنيجر على الرغم من كروز بوستامانت Cruz Bustamante كما أنها لا تفسِّر شعبية شوارزنيجر لدى النساء على الرغم من مظاهر سلوكه التمييزى ضد المرأة.

## تحليل السياسة الأخلاقية

سوف أعرض تفسيرًا مختلفًا جدًا لفوز شوارزنيجر، وهو تفسير مبنى على كتابى السياسة الأخلاقية.

ونظرًا لكون الكتاب قد كُتِب عام ١٩٩٦ وتم تحديثه فى عام ٢٠٠٢، فإن التفسير الذى سأقدِّمه هو تفسير عام، مبنى على فهم عام للسياسة الأمريكية، وليس على الوقائع الخاصة بهذا الانتخاب. ودعواى المترتبة على ذلك هى أن الكثير مما حدث فى انتخابات الإبدال مثله مثل ما يحدث لبعض الوقت فى السياسة الأمريكية. إذ افترض أن انتخابات شوارزنيجر لا ينبغى أن يُنظر إليها بوصفها حدثًا فريدًا تمامًا، وهى وإن كانت تتضمن عناصر فريدة إلا أنها جزء من المشهد السياسى الإجمالى.

فى كتاب السياسة الأخلاقية أشرتُ إلى أن الناخبين يصوِّتون لصالح هويتهم – على أساس من هم، وما القيم التى لديهم وبمن وبماذا يُعجَبون. وإن كان هناك عدد معين من الناخبين يتماهون مع مصلحتهم الذاتية ويصوِّتون طبقًا لها، إلا أن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة. كما أن هناك أشكالاً أخرى من التماهى الشخصى – مع إثنية الشخص، ومع قيم الشخص، ومع الصور النمطية الثقافية، ومع الأبطال الثقافيين. وبقدر ما يخص الانتخابات، تكون أشكال التماهى الأقوى مع القيم والصور النمطية الثقافية المماثلة لها. وقد اكتشف هذا الجمهوريون، وهو سبب رئيسى يفسِّر لماذا يكسبون الانتخابات – على الرغم من كونهم ضمن أقلية. فى حين لم يكتشف الديموقراطيون هذا حتى الآن.

إن اكتشاف السياسة الأخلاقية تمثَّل فى أن نماذج بنية الأسرة المثالية تقع فى القلب من سياستنا – بصورة استعارية أكثر منها حرفية. فالمفهوم ذاته الخاص بالآباء المؤسسين **the founding fathers** يستخدم استعارة الأمة بوصفها أسرة **the nation as family**، لا بوصفها شيئًا نفكِّر فيه تفكيرًا فعليًا بل بوصفها أسلوبًا لتشكيل فهمنا لمجموعة اجتماعية مهولة من الصعب مفهمتها، وهى الأمة، انطلاقًا من شيء أقرب إلى البيت، الأسرة. وهو شيء نفعله بشكل آلي، وعادة بدون التفكير فيه بشكل واعٍ.

إن سياستنا منظَّمة حول نموذجين متعارضين ومُنمذِجين للأسرة: نموذجا الأب الصارم والوالدية الراعية.

وتفترض أسرة الوالدية الراعية أن العالم، على الرغم من أخطاره وصعوباته، خيِّر بالأساس، ويمكن أن يصبح أفضل مما هو عليه، وأن مسئولية المرء أن يعمل من أجل تحقيق ذلك، وبناء على ذلك، فإن الأطفال مولودون أخيارًا والآباء يستطيعون أن يجعلوهم أفضل. وكلا الوالدين يشتركان فى المسئولية عن تربية الأطفال.

ووظيفتهما هى أن يرعيا أطفالهما ويُنشِّئا أطفالهما على أن يصبحوا راعين. إن الرعاية **nurturing** لها جانبان: المشاركة الوجدانية **empathy** (الشعور بكيف يشعر الآخرون والمراعاة لكيف يشعرون)، والمسئولية (عن رعاية المرء لنفسه وللآخرين الذين نكون مسئولين عنهم). ويتضمن هذان الجانبان من الرعاية قيم الأسرة التى يمكننا أن ندركها بوصفها قيمًا سياسية تقدمية: نريد من التقمص العاطفى حماية الآخرين من الأذى، والتحقق فى الحياة، والإنصاف والحرية (المتوافقة مع المسئولية)، والتواصل المفتوح الثنائى الاتجاه. ومن المسئولية تنبع الكفاءة **competence** والثقة **trust** والالتزام **commitment** وبناء المجتمع وما إلى ذلك.

ومن هذه القيم تنبع سياسات محدَّدة: الحماية الحكومية فى شكل شبكة ضمان اجتماعى وتنظيم الحكومة وكذلك الجيش والشرطة ( من الحماية)، والتعليم العالمى (من الكفاءة، والإنصاف)، والحريات المدنية والمعاملة المتساوية (من الإنصاف والحرية)، والمحاسبة **accountability** (من الأمانة **trust**)، والخدمة العامة (من المسئولية)،

والحكومة المفتوحة (من التواصل المفتوح)، والترويج الاقتصادى الذى يفيد الجميع (من الإنصاف) والعمل على ترويج هذه القيم (من المسئولية).

إن دور الحكومة هو أن توفِّر البنية التحتية والخدمات لتحقُّق هذه القيم، والضرائب هى ديون عليك أن تدفعها لتحيا فى مجتمع متحضر. وفى السياسة الخارجية ينبغى أن يكون دور الأمة هو أن تعزِّز التعاون وتمد العالم بهذه القيم. فهذه هى القيم التقدمية التقليدية فى السياسة الأمريكية. هذا فى حين أن رؤية العالم المحافظة تشكِّلها قيم أسرية مختلفة جدًا.

إذ يفترض نموذج الأب الصارم أن العالم خطير وصعب، ودائمًا سيكون خطيرًا وصعبًا، وأن الأطفال يولدون أشرارًا ويجب أن يتم تحويلهم إلى أخيار. إن الأب الصارم هو السلطة الأخلاقية الذى يجب عليه أن يدعم العائلة ويدافع عنها، ويخبر زوجته بما عليها أن تفعل، ويعلِّم أطفاله الصواب والخطأ. والسبيل الوحيد لفعل ذلك يكون عبر العقاب المؤلم painful punishment – الانضباط الجسدى physical discipline الذى سيتطور مع بلوغ الرشد إلى انضباط داخلي. إن الأخلاق والاستمرار فى الحياة المرتبطين ببعضهما البعض ينشآن من مثل هذا الانضباط – الانضباط فى اتباع المبادئ الأخلاقية، والانضباط فى متابعة المصلحة الذاتية ليصبح معتمدًا على ذاته. ذلك أن الأشخاص الأخيار هم الأشخاص المنضبطون.

وما أن ينضج الأطفال المنضبطون المعتمدون على أنفسهم حتى يمضوا فى سبلهم الخاصة، ولا يعود الأب يتدخل فى حيواتهم. أما أولئك الأطفال الذين يبقون اعتماديين (والذين كانوا مدلَّلين أو معاندين أو متمردين) فينبغى أن يُجبروا على المزيد من الانضباط، أو أن يتركوا دون دعم ليواجهوا انضباط العالم الخارجي.

ولتُسْقط هذا على الأمة وسوف تجد سياسة الجناح اليمينى الراديكالى الذى سُمِّى خطأ "محافظًا" "conservative". فالمواطنون الأخيار هم المواطنون المنضبطون – أولئك الذين أصبحوا فعلاً أثرياء أو على الأقل معتمدين على أنفسهم – وأولئك الذين فى سبيلهم إلى تحقيق ذلك. ولذا؛ فإن البرامج الاجتماعية "تفسد" (تدلِّل) "spoil"

الناس بإعطائهم أشياء لم يكسبوها بأنفسهم وبإبقائهم اعتماديين. ولذلك فهم أشرار evil وينبغي استئصالهم. فالحكومة توجد فقط لتحمي الأمة وتحافظ على النظام، وتدير العدالة (العقاب) ولتوفّر المسار المنظم للأعمال business وتعزيزها. فالأعمال (السوق) هي الآلية التي بواسطتها يصبح الأشخاص المنضبطون معتمدين على أنفسهم، والثراء هو معيار الانضباط. ومن ثم فإن الضرائب المجاوزة للحد الأدنى المطلوب لمثل هذه الحكومة هي عقوبات تأخذ من الأشخاص الصالحين المنضبطين مكاسب rewards كسبوها وتنفقها على أولئك الذين لم يكسبوها.

وفي الشئون الخارجية يجب على الحكومة أن تحافظ على سيادتها وأن تفرض سلطتها الأخلاقية في كل مكان تستطيع أن تفرضها فيه، وهي تبحث عن مصلحتها الذاتية (المصلحة الذاتية الاقتصادية للشركات والقوة العسكرية).

## كيف نصوّت

في ظل هذه الفروق، توجد تعقيدات البشر الفعليين الطبيعية. ومثل هذه النماذج توجد في المشتبكات العصبية لأمخاخنا. وحين نصوّت على أساس القيم والصور النمطية الثقافية، فإن ما يحدّد كيف نصوّت يتمثل في أي نموذج يكون فاعلاً لفهم السياسة في ذلك الوقت.

إن لدينا جميعًا كلا النموذجين – إما بصورة فعلية أو سلبية. فالتقدميون الذين يمكنهم أن يفهموا فيلمًا لأرنولد شوارزنيجر لديهم على الأقل نسخة سالبة من نموذج الأب الصارم إلى جانب نموذج الرعاية الفاعل الذي يحدّد سياستهم. كما أن المحافظين الذين يستطيعون أن يفهموا حلقات كوزبي The cosby show لديهم على الأقل نسخة سالبة من نموذج الرعاية.

إلا أن أناسًا كثيرين – غالبًا يكفون لحسم الانتخابات – لديهم نسخ فاعلة لكلا النموذجين يستخدمونها في جوانب مختلفة من حيواتهم. إذ هناك آباء صارمون في

قاعات الدراسة ممن يعتنقون سياسات تقدمية. وهناك آباء صارمون فى العمل ممن هم آباء راعون فى المنزل. فالكثير من العمال من ذوى الياقات الزرقاء آباء صارمون فى المنزل، لكنهم راعون تجاه زملائهم. كما أن موظفى النقابات يميلون إلى أن يكونوا صارمين تجاه موظَّفيهم، وراعين تجاه أعضاء النقابات.

أما النساء فيميلون إلى أن يعتنقوا نماذج الوالدية الراعية، إلا أن عددًا كبيرًا منهن ممن يقبلن سلطة الأب الصارم هن أمهات صارمات، أو قد يكون لديهن خوف كبير. إن الخوف يُطلق نموذج الأب الصارم؛ وهو ينحو إلى أن يجعل النموذج ناشطًا فى مخ المرء.

إن ما تعلَّمه المحافظون فيما يتعلق بالفوز بالانتخابات هو أنه يجب عليهم أن يفعِّلوا نموذج الأب الصارم لدى أكثر من نصف الناخبين — إما بالخوف أو بوسيلة أخرى. لقد منحت هجمات ١١ سبتمبر إدارة بوش آلية مثالية لكسب الانتخابات: لقد أعلنوا حربًا لا نهائية على الإرهاب. إن إطار "الحرب على الإرهاب" يفترض سلفًا أن الجماهير مذعورون، ويحذِّر الضوء البرتقالى (بما يعنيه من رفع درجة الاستعداد) وتحافظ التدابير الأخرى للإدارة مع البلاغة على إطار الإرهاب ناشطًا. إن الخوف والريبة إذًا يفعِّلان طبيعيًا إطار الأب الصارم فى أغلبية الناس، مما يقود الناخبين إلى أن يروا السياسة بلغة محافظة.

## ادخل التيرمينتور

ادخل التيرمينتور: إنه الأقصى فى الصرامة **strictness**، الرجل الصلب **the tough guy** الاستثنائى **extraordinaire**. حيث بطل العالم فى كمال الأجسام هى الكلمة الفصل فى الانضباط. ما الذى يعَزز الصورة النمطية لأخلاقيات الأب الصارم؟ إن ذلك هو السبب فى أنه كان شوارزنيجر — وليس مجرَّد أية شهرة مثل جاى لينو **Jay leno** أو روب لوى **Rob Lowe** أو باربرا سترزياند **Barbra Streisand** ممن يستطيعون أن يفعّلوا صورة نمطية صارمة ويفعّلوا معها القيم الجمهورية المحافظة.

إن ما هو مُميَّز بالنسبة لكالفورنيا هو أرنولد وثقافة الأفلام. إلا أن الآلية ذاتها تكمن وراء الانتصارات الجمهورية فى انتخابات ٢٠٠٢، وفى الانتخابات بطول البلاد وعرضها منذ أيام رونالد ريجان، لكن خصوصًا فى العقد الأخير، حين أحكم الجمهوريون الشكل الفنى لتفعيل صورة الأب الصارم فى عقول الناخبين. وشعبية شوارزنيجر لدى الكاليفورنيين لها نفس المصدر الذى لشعبية بوش مع آباء الطبقة العاملة الحريصين على المعايير الأخلاقية the NASCAR dads: التماهى مع قيم الأب الصارم وصورها النمطية. بالإضافة إلى هذا، فإن دافيز اقترف خطأ سيئًا بقبوله استعارة مجلس القيادة الديموقراطية للحملة الانتخابية بوصفها تسويقًا.

وتبحث فى نموذج مجلس القيادة الديموقراطية عن قائمة القضايا الخاصة التى تؤيدها أغلبية الناس، بما فى ذلك أولئك الذين فى اليسار. وقد كانت فى انتخابات الكونجرس الأخيرة تتمثل فى الوصفات العلاجية (روشتات الأدوية **prescription drugs**)، والضمان الاجتماعي، وحق المرأة فى الاختيار. إنك "تتحرك إلى اليمين" – لتتبنى بعض قيم الجناح اليمينى على أمل كسب الناخبين "الواقعين فى الوسط" إذا كانت هناك ضرورة تقتضى ذلك. إلا أن دافيز، على سبيل المثال، فضَّل عقوبة الإعدام والأحكام القضائية المشدَّدة ودعَّم نقابة (اتحاد) حراس السجون. وقد كانت استراتيجية مهزومة ذاتيًا. بينما فاز المحافظون فى الانتخابات دون أن يتحركوا إلى اليسار وبتقديمهم قائمةعشوائية **laundry list** من القضايا فشل دافيز وديموقراطيون آخرون فى أن يقدِّموا رؤية أخلاقية – هوية متسقة **a coherent identity** مع صورة نمطية ثقافية قوية – تحدِّد الهوية ذاتها الخاصة بالناخبين الذين يحاولون أن يصلوا إليهم. وإن كانت قائمة القضايا لا تشكِّل رؤية أخلاقية. وبالفعل فقد كان ديموقراطيون كثيرون مبهوتين من أن شوارزنيجر لم يمضِ وفق قضايا. فهو لم يحتجْ إلى أن يفعل ذلك، لأنه فعَّل نموذج الأب الصارم – الذى يمثِّل قلب الرؤية الأخلاقية للجمهوريين المحافظين، والاستجابة الأكثر شيوعًا تجاه الخوف والريبة. واختصارًا، فإن نصر شوارزنيجر يمضى فى نفس الخط الذى مضت فيه انتصارات جمهورية أخرى محافظة. مثلما أن هزيمة دافيز تمضى فى نفس الخط الذى مضت فيه هزائم ديموقراطية أخرى. وما لم يدرك الديموقراطيون هذا، فإنهم لن يتعلموا درس هذه الانتخابات.

فى الواقع، إن المحافظين مشغولون بمحاولة منع الديموقراطيين من تعلم هذا الدرس. وهناك إطار مهم لم نذكره حتى الآن: وهو إطار اغتصاب الجناح اليمينى للسلطة. لقد استخدم دافيز هذا الإطار فى بداية حملته، وكذلك كلينتون، وقد ردَّد صدى هذا الإطار المرشحون الرئاسيون الديموقراطيون الذين دعموا دافيز. وقد شخَّص هذا الإطار بدقة العديد من الحقائق على نحو ما ناقشناها. إلا أن دافيز لم يكن قادرًا على أن يوصِّل هذا الإطار توصيلاً فعَّالاً، وقد أفلت من رؤية الجماهير. وقد كان واحدًا من الأطر القليلة التى لم يذكرها التيار السائد فى وسائل الإعلام فى اليوم التالى للانتخابات.

لقد أغفله الديموقراطيون بينما أبقاه حيًا المحافظون الذين كانوا يستخدمونه ليتهكموا على الديموقراطيين ويجرِّدوهم من شرعيتهم. وقد استخدموا إطار ثورة الناخبين ليدلِّلوا على أن إطار اغتصاب الجناح اليمينى ليس دقيقًا.

وها هى الكيفية التى يمضى بها الحِجَاج: إن إطار اغتصاب الجناح اليمينى للسلطة يتهم ضمنيًا حملة شوارزنيجر بالخداع وبالفشل فى الاعتراف بالصلات مع كارل روف karl Rove والجهاز الجمهورى الوطنى وبإساءة عرض الحقائق – التى نوقش العديد منها فيما سبق. إن "اغتصاب السلطة" غير شرعي، لأنه يستخدم إما وسيلة غير قانونية أو غير أخلاقية للوصول إلى السلطة. وقد تلاعب الجمهوريون بوسائل الإعلام، مستخدمين بعض الأطر التى ناقشناها، ليخفوا الحقائق ويخلقوا انطباعات زائفة.

ومن منظور الحقائق المعروضة سلفًا، يبدو أن هذه الانتخابات تطابق إطار اغتصاب الجناح اليمينى للسلطة. وفى أعقاب الانتخابات اغتصب الجمهوريون استخدام الديموقراطيين السابق لإطار اغتصاب الجناح اليمينى للسلطة، مجادلين انطلاقًا من تفسير الانتخابات بثورة الناخبين ليزعموا أنه لم يكن هناك اغتصاب للسلطة على الإطلاق.

وأن الانتخابات عبَّرت ببساطة عن إرادة الناخبين. وقد تم استخدام حقيقة أن شوارزنيجر قد حصل على أغلبية كاسحة – تقريبًا الغالبية العظمى – فى الانتخابات كدليل دامغ على أن إطار ثورة الناخبين هو السبيل الصحيح لتفسير الانتخابات.

لكن كما رأينا، فإن هذا الإطار يُخفى الحقائق التى يضيئها إطار اغتصاب الجناح اليمينى للسلطة.

أما الديموقراطيون فيتجاهلون قوة التأطير **the power of framing**؛ مما يعرِّضهم للخطر.

## (٣)

# ماذا فى كلمة؟ الكثير، إن كانت الزواج

**١٨ فبراير ٢٠٠٤**

ماذا فى كلمة؟ الكثير إذا كانت الكلمة هى الزواج. إن الزواج يمثّل موضوعًا مركزيًا فى ثقافتنا.

إن الزواج يتيح بشكله القانونى مئات الفوائد، إلا أن هذا لا يمثّل سوى جانبه المادى فقط، فالزواج مؤسَّسة، وهو التعبير العام عن التزام قائم على الحب مستمر على مدى الحياة. إنه التتويج لحقبة البحث عن شريك، وهو بالنسبة لكثيرين تحقيق لهدف رئيسي، وغالبًا ما يكون مصحوبًا بتشييد أحلام، ومواعيد غرامية، ونميمة، وقلق، وخطوبة، واستحمام، وترتيبات للزفاف، وطقوس، ودعوات، وثوب العروس، وأشابين، وأسر تتجمع معًا، وتعهدات، وشهر عسل. إن الزواج هو بداية حياة أسرية، وعادة مع توقع أطفال وأحفاد، وتجمعات أسرية، وأصهار، واتحادات ألعاب الأطفال والخريجيين وكل البقية.

إن الزواج يُفهم أيضًا انطلاقًا من عشرات الاستعارات العميقة والدائمة: رحلة من خلال العيش معًا، شراكة **a partnership**، اتحاد **union** ، رابطة **bond**، كيان واحد ذو أجزاء متكاملة **a single object of complementry parts**، جنة **a haven**، وسيلة للنماء **a means for growth**، سر مقدس **a sacrament** سكن **a home** – كما أن الزواج يمنح مكانة – حيث تصبح للطرفين المتزوجين أدوار اجتماعية جديدة. وبالنسبة لعدد كبير من الناس، فإن الزواج يُشرعِن الجنس. باختصار، إن الزواج يعنى الكثير.

إن المحافظين يستخدمون، فى حجاجهم ضد الزواج المِثْلي، فكرتين قويتين: هما تعريف الزواج والقدسية sanctity. ويجب علينا أن نستردهما. يجب علينا أن نواجه التعريف بتعريف، والقدسية بقدسية. إذ كما تُظهر الدراسات الأنثروبولوجية عن الزواج الأمريكي، فإنهم وضعوا تعريفًا خاطئًا. ذلك أن الزواج، نموذجيًا، محدَّد بوصفه "التحقق للحب من خلال التزام عام مدى الحياة" والحب مقدس sacred فى أمريكا. وذلك هو الالتزام. ثمة قداسة فى الزواج إنها قداسة الحب والالتزام.

ومثل معظم المفاهيم، فإن الزواج أيضًا يأتى بتشكيلة من حالات الأنماط الأولية: الزواج المثالى سعيد، دائم، مزدهر prosperous، وفيه أطفال، ومنزل لطيف، وصداقات مع متزوجين آخرين. والزواج النمطى له لحظات صعوده وهبوطه، أفراحه وأتراحه، والمشكلات النمطية مع الأطفال والأصهار. أمَّا الزواج الكابوسى فينتهى بالطلاق، ربما العائد إلى عدم التوافق، أو الإساءة، أو الخيانة. فهو مفهوم ثري.

ولا يقتضى أى مكون من مكونات الثراء التى ناقشناها للتو من الزواج أن يكون بين ذكر وأنثى (أى أن يكون قائمًا على التغاير الجنسي) heterosexual – فلا تعريفه، ولا قداسته، ولا طقوسه، ولا حياته الأسرية، ولا آماله وأحلامه تقتضى هذا. ويتمثَّل جوهر فكرة أن الزواج متغاير جنسيًا فى صورة نمطية ثقافية واسعة الانتشار.

إن اللغة مهمة فى استثارة هذه الصورة النمطية. واليمين الراديكالى يستخدم زواج اللوطيين gay marriage. وتُظهر استطلاعات الرأى أن معظم الأمريكيين مناهضون للتمييز ضد اللوطيين بشكل ساحق، إلا أنهم بالقدر ذاته ضد زواج اللوطيين. وأحد الأسباب، فيما أعتقد، هو أن الزواج يستدعى الجنس، ومعظم الأمريكيين لا يفضلّون الجنس اللواطي. وهناك سبب آخر يتمثل فى أن الصورة النمطية للزواج مبنية على المغايرة الجنسية heterosexual، وتوحى كلمة لوطى بدلالات ضمنية بالنسبة لليمين: أسلوب حياة وحشى wild، منحرف deviant، غير مسئول جنسيًا. وذلك هو السبب فى لماذا يفضّل اليمين تعبير زواج اللوطيين gay marriage على تعبير زواج الجنس الواحد (زواج المثليين) same-sex marriage.

إلا أن زواج اللوطيين gay marriage سلاح ذو حدين. فقد اختار الرئيس بوش ألا يستخدم عبارة (كلمتي) زواج اللوطيين فى خطابه عن حالة الاتحاد. وظننت أن الإسقاط حدث لسبب طيب. إلا أن موقفه يتمثل فى أن الزواج معرَّف (محدَّد) بوصفه بين رجل وامرأة، ومن ثم فإن مصطلح زواج اللوطيين gay marriage ينبغى أن يُعد تنافيًا دلاليًا an oxymoron، بوصفه لا معنى له بقدر ما أنه لا معنى لـ تفاحة اللوطى gay apple أو تليفون اللوطي. إذ بقدر ما يُستخدم مصطلح زواج اللوطيين بقدر ما تصبح فكرة الزواج المثلى (الزواج من نفس الجنس) اعتيادية، وكلما أصبح ذلك الزواج أوضح فإنه لن يتم تعريفه ليستبعد الإمكانية ذاتها. وهذا تحديدًا هو السبب فى أن الناشطين اللوطيين gay activists يريدون أن يستخدموا الزواج المثلى (الزواج من نفس الجنس) أو حتى زواج اللوطيين.

ولأن الزواج مركزى بالنسبة للحياة الأسرية، فإن له بعدًا سياسيًا. وكما أناقش فى كتابى السياسة الأخلاقية، فإن السياسة المحافظة والتقدمية منظَّمة حول نموذجين مختلفين جدًا للحياة الزوجية: أسرة الأب الصارم وأسرة الوالدية الراعية.

إن الأب الصارم سلطة أخلاقية، وهو سيد المنزل، والمهيمن على الأم والأطفال والفارض للانضباط المطلوب. إن السياسة المحافظة المعاصرة تقلب هذه القيم الأسرية إلى قيم سياسية: السلطة الهيراركية، الانضباط الفردي، القوة العسكرية. فالزواج فى أسرة الأب الصارم يجب أن يكون زواجًا متغاير جنسيًا: الأب رجل بحق manly، قوى strong، حاسم decisive، مهيمن dominating — قدوة a role model للأبناء والبنات، نموذج لرجل يُحترَم. أمَّا نموذج الوالدية الراعية فيتضمن والدين متساويين، وظيفتهما هى رعاية أطفالهما وأن يعلِّما أطفالهما أن يرعوا الآخرين. وللرعاية بعدان، هما: المشاركة الوجدانية empathy والمسئولية responsibility مسئولية المرء عن نفسه وعن الآخرين. والمسئولية تتطلب الصلابة والكفاءة، إن الوالد الراعى القوى هو الحامي، والمعتني، من يبنى الثقة والارتباط، من يزيد سعادة الأسرة، وتحققها، وإنصافها، وحريتها، وانفتاحها، وتعاونها، وتنمية المجتمع. إن هذه هى قيم السياسة التقدمية القوية.

ومع أن الصورة النمطية تتمثل ثانية فى الاختلاف الجنسى heterosexual، فإنه لا يوجد على الإطلاق فى نموذج الأسرة الراعية ما يستبعد الزواج المثلى same-sex marriage ونستطيع أن نرى، فى ظل مجتمع يتقاسمه هذان النموذجان الأسريان بسياستيهما، لماذا تعد قضية الزواج المثلى قضية متفجرة. إن القضية المطروحة أكبر من الفوائد المادية للزواج واستخدام الكلمة. إن المعرَّض للخطر هو هوية المرء والقيم الأكثر مركزية. إذ لا يتعلق هذا بثنائيات مثلية same-sex couples. وإنما يتعلق بأى قيم هى التى ستسود فى مجتمعنا.

فحين يتحدث المحافظون عن "الدفاع عن الزواج" "defense of marriage" يرتبك الليبراليون. وفوق كل ذلك، فإنه لا يوجد تهديد لزواج أى فرد. وإنما فقط أن المزيد من الزواج صار متاحًا. إلا أن المحافظين يرون أن أسرة الأب الصارم، ومعها قيمها السياسية معرَّضة للهجوم. وهم محقون. ذلك أن هذا موضوع خطير بالنسبة لقيمهم الأخلاقية ككل. بل إن حتى الزيجات المدنية civil unions تُهدّد، لأنها تنتج أسرًا لا يمكن لها أن تكون أسر الأب الصارم التقليدية.

إن التقدميين لهما عقلان. فالليبراليون البراجماتيون يرون القضية بوصفها قضية مكاسب – ميراث، ورعاية صحية، وتبنٍّ وما إلى ذلك. وإذا كان ذلك هو كل ما ينطوى عليه الموضوع، فإن الزيجات المدنية ينبغى أن تكون وافية بالغرض – ذلك أنها بالتأكيد تمثّل خطوة إلى الأمام؛ إذ ستوفِّر الزيجات المدنية حماية مادية متساوية فى ظل القانون. فلماذا لا تُترَك الزيجات المدنية للدولة والزواج للكنائس، كما هو فى فيرمونت؟ أما التقدميون المثاليون فيرون أن الأمر يتجاوز المكاسب المادية، وإن كانت تظل مع ذلك مهمة. إذ يرغب معظم الناشطين اللواطيين gay activists فيما هو أكثر من الزيجات المدنية. إنهم يريدون زواجًا كاملاً، بكل معانيه الثقافية – بالتزام علنى قائم على الحب، بكل استعاراته، وشعائره، ومسراته، وآلامه، وخبراته الأسرية – وبإحساس بالطبيعية (بالسواء) a sense of normality على قدم المساواة مع كل البشر الآخرين. إن القضية قضية حرية شخصية: إذ لا ينبغى للدولة أن تفرض من ينبغى أن يتزوج من. وهى أيضًا قضية إنصاف وكرامة إنسانية؛ ذلك أن المساواة فى ظل القانون تتضمن المكاسب الاجتماعية والثقافية وكذلك المادية. والشعار هنا هو "حرية الزواج" "freedom to marry".

إن مرشّحى الرئاسة الديموقراطيين يحاولون التملص من القضية. فجون كيري، وهاورد دين يزعمان أن الزواج مسألة تخص الكنيسة، فى حين أن الدور الخاص بالدولة يختص بالزواج المدنى وضمان المكاسب المادية. إلا أن هذا الحِجَاج يبدو قاصرًا بالنسبة إليَّ؛ إذ إن صلاحية القساوسة والكهنة والحاخامات فى أداء شعائر الزواج تمنحها لهم الحكومات وليس الأديان. والزواج المدنى طبيعى **normal** وواسع الانتشار. وإلى جانب ذلك، فإنه سيرضى الليبراليين البراجماتيين. كما أن المحافظين المثاليين سيرون الزيجات المدنية بوصفها مساوية للزواج، فى حين سيراها التقدميون المثاليون قاصرة جدًا عن تحقيق الحماية المساوية لتلك التى فى الزواج. إذ يمكن أن تصلح فى فيرمونت، إلا أنه يظل يُنظر إليها انطلاقًا مما إذا كانت محاولة الالتفاف حول القضية ستنجح فى معظم البلاد. لكن ماذا عن التعديل الدستورى الذى يحدِّد الزواج قانونيًا بوصفه يقع بين رجل وامرأة؟ إن المحافظين سيكونون مؤيدين له، ويمكن أن يؤيده آخرون كثيرون ممن لا يتصورون سوى الصورة النمطية للزواج القائمة على التغاير الجنسي. إلا أنه من غير المحتمل أن تجد ما يكفى من التقدميين يدعمون تمريره. كما أن السؤال الحقيقى هو، هل سيساعد اقتراح تعديل من هذا النوع فى احتفاظ جورج بوش بالبقاء فى البيت الأبيض؟

من الصعب الجواب الآن.

إلا أن التقدميين ممن لا يتنافسون على مكتب الرئاسة يمكنهم فعل الكثير. فالتقدميون يحتاجون إلى أن يصلحوا الأسس الأخلاقية العليا – من التراث الأمريكى العظيم للحرية، والإنصاف، والكرامة الإنسانية، والمساواة التامة فى ظل القانون. فإذا كانوا ليبراليين براجماتيين يمكنهم أن يتحدثوا بهذه الكيفية عن الزيجات المدنية والمكاسب المادية. وإذا كانوا تقدميين مثاليين، فإنه يمكنهم أن يستخدموا اللغة ذاتها للحديث عن مكاسب الزواج الاجتماعية، والثقافية، والمادية. وسواء فى هذه الحالة أو فى تلك، فإن وظيفتنا كمواطنين عاديين هى أن نعيد تأطير الجدال فى كل شيء نقوله ونكتبه، طبقًا لمبادئنا الأخلاقية.

إن القدسية **sanctity** تمثّل قيمة أعلى من قيمة العدالة الاقتصادية. ومن ثم فإن الحديث عن المكاسب يقع خارج نطاق الموضوع حين تكون قدسية الزواج هى موضع النقاش.

تحدث عن القدسية أولاً. إذ مع الحب والالتزام يكون لديك التعريف الخاص بالمثال الزواجي the marital ideal – بما يدور حوله الزواج بشكل أساسي.

إننا جميعًا يجب علينا أن ننشر أفكارنا للعلن بحيث يستطيع المرشّحون أن يحيلوا عليها بسهولة ويسر. على سبيل المثال، حين ينشب نقاش في مكتبك حول هل الكنيسة أم جهة أخرى هي التي يفترض أن تتولى الزواج فإن ثمة جوابًا بسيطًا للشخص الذي يقول "لا أعتقد أنه من حق اللواطيين أن يتزوجوا. ألستَ معي؟ والجواب هو: "إنني لا أعتقد أنه ينبغي للدولة أن تتدخل في شأن من قبيل أن تقول للناس من الذين يمكنهم أو لا يمكنهم أن يتزوجوهم. وأن الزواج يتعلق بالحب والالتزام، وإنكار حق العاشقين في الزواج انتهاك للكرامة الإنسانية".

ولا يجب على وسائل الإعلام أن تقبل أطر الجناح اليميني. فإذا ما سأل صحفي إضافة إلى ذلك قائلاً "هل تؤيدَ زواج اللواطيين؟" جرِّب الرد عليه بـ "هل تعتقد أنه ينبغي للحكومة أن تقول للناس من الذين يمكنهم أو لا يمكنهم أن يتزوجوهم؟" أو "ألا تعتقد أن الحرية في الزواج ممن ترغب أن تتزوج منه مسألة خاصة بالحقوق المتساوية في ظل القانون؟" أو "ألا ترى الزواج بوصفه تحقق الحب عبر التزام المرء على مدى الحياة؟" أو "ألا يستفيد المجتمع حين يرغب شخصان في علاقة حب أن يلتزم كل منهما بالآخر التزامًا علنيًا مدى الحياة؟" إن إعادة التأطير مهمة كل شخص خصوصًا الصحفيين.

لقد ظلت استراتيجية الجناح اليميني تعيد مرارًا وتكرارًا عبارات تستدعي أطرهم وتحدّد القضايا بطريقتهم. ومثل ذلك التكرار يجعل لغتهم مألوفة، يجعلها لغة يومية؛ ومن ثم يجعل أطرهم مألوفة، يجعلها أساليب يومية للتفكير في القضايا.

إن على الصحفيين واجب ملاحظة محاولات خداعهمْ وينبغي عليهم أن يرفضوا المسايرة. ومن واجب الصحفيين ألا يقبلوا هذا الموقف ويستخدموا ببساطة تلك الأطر الخاصة بالجناح اليميني التي يتأتى لها أن تبدو طبيعية natural. وهو الواجب الخاص بالصحفيين أن يدرسوا التأطير ويتعلموا أن يروا من خلال الأطر المحفَّزة سياسيًا، حتى وإن توافق لها أن تصبح مقبولة بوصفها يومية ومألوفة.

# (٤)

# استعارات الرعب

**١٦ سبتمبر ٢٠٠١ (نُقِّحَت فى أغسطس ٢٠٠٤)**

**ـ يجب تغيير أمخاخنا ـ**

إن كل شيء نعرفه ممثَّل فيزيقيًا فى الأجهزة العصبية لأمخاخنا.

إن ماعرفناه قبل ١١ سبتمبر حول أمريكا، ومانهاتن، ومركز التجارة العالمي، والرحلات الجوية، والبنتاجون كان مرتبطًا ارتباطًا حميمًا بهوياتنا وبقدر كبير مما نسلم به بخصوص حياتنا اليومية. لقد كان كل هذا موجودًا فى مشتبكاتنا العصبية **our neural synapses**.

إن منهاتن: بوابة أمريكا لأجيال من المهاجرين — الفرصة في عيش حياة خالية من الحرب، والمذابح، والاضطهاد الدينى والسياسي! إن آفاق منهاتن لها معنى فى حياتي، أكثر حتى مما كنتُ أعرف. إذ حين أفكرّ فيها أجدنى أفكِّر فى أمي. لقد وُلِدَت فى بولندا، إلا أنها أتت وهى رضيعة، وترعرعت فى منهاتن، وعملت فى المصانع لخمس وعشرين سنة، وأصبح لها أسرة وأصدقاء وحياة وطفل. فلم تمت فى معسكرات الاعتقال، ولم تخشَ على حياتها. ولم تكن أمريكا بالنسبة إليها تمثّل كل ما كانت ترغب فيه فحسب، بل إنها تربو على ذلك بكثير.

وقد نشأتُ فى بيونى **Bayonne**، بنيوجرسى على امتداد الخليج من ذلك الأفق. ولم يكن مركز التجارة العالمى هناك حينئذٍ لكن عبر السنين أصبح، بوصفه الملمح الرئيسى للأفق، يمثّل لي، كما يمثّل للآخرين رمز نيويورك — ليس فقط المركز التجارى لأمريكا، بل

أيضًا المركز الثقافى ومركز الاتصالات. وبما هو كذلك، أصبح رمزًا لأمريكا ذاتها، رمزًا لما يعنيه أن تكون قادرًا على أن تحيا حياة خالية من الاضطهاد، وأن تكون قادرًا تمامًا على أن تعيش وتؤدى عملك، سواء كسكرتير، أو فنان، أو مدير، أو جندى إطفاء، أو بائع، أو مُدرِّس، أو نجم تليفزيوني. إننى لم أكن منتبهًا بشكل واعٍ لهذا، إلا أن تلك الصور كانت مرتبطة بهويتى ارتباطًا حميمًا، سواء كفرد أو كأمريكي. وقد كان كل ذلك وأكثر منه بكثير جدًا حاضرًا حضورًا فيزيقيًا كجزء من مخي صباح ١١ سبتمبر.

إن الدمار الذى أصاب هذين البرجين فى ذلك الصباح أصابني. فالمبانى استعاريًا أشخاص. إذ نرى ملامح — عيونًا، وأنفًا، وفمًا — فى نوافذها. وأدرك الآن أن صورة الطائرة المخترقة للبرج الجنوبى كانت بالنسبة لى صورة طلقة تخترق رأس شخص ما، كما كانت ألسنة اللهب المندلعة من الجهة الآخرى أشبه ما تكون بالدم المنبجس. لقد كان اغتيالاً. لقد كان تداعى البرج جسدًا يتداعى.

وقد كانت الأجساد المتساقطة هى أنا، أقارب، أصدقاء. أما الغرباء الذين كانوا يبتسمون وهم يمرون بجانبى فى الشارع فقد كانوا يصرخون وهم يتساقطون بعيدًا عني. لقد صارت الصورة بعد ذلك جحيمًا: رمادًا، دخانًا، أبخرة متصاعدة، هيكل المبنى، ظلامًا، معاناة، موتًا.

إن الأشخاص الذين هاجموا البرجين اخترقوا مخي، على الرغم من ثلاثة آلاف ميل بيني وبينهم. إن كل تلك الرموز كانت مرتبطة بهويتى أكثر مما كان يمكننى أن أدرك. ولكى يغدو هذا مفهومًا، فقد كان على مخى نفسه أن يتغير.

وقد تغير بشكل مؤلم ليلاً ونهارًا. بالنهار تتوالى العواقب متدفقة، وبالليل تثقل الصورة أنفاسي، كوابيس تحرمنى النعاس.

لقد انغرست تلك الرموز حية فى المراكز الانفعالية لمخي. وكلما أخذت معانيها تتغير أشعر بالألم العاطفي.

ولم أكن وحدى من يشعر بذلك، بل شعر به كل شخص فى هذا البلد وكثيرون آخرون فى بلدان أخرى. لقد نجح القتلة ليس فقط فى قتل آلاف الأشخاص، بل أيضًا فى أن يصلوا إلى أمخاخ الناس ويغيِّروها على امتداد أمريكا كلها.

ومما يستأهل الملاحظة أن تعرف أن مائتى مليون فى بلدى يشعرون أنهم قد انخلعوا من جذورهم مثلما أشعر.

## قوة الصور

وبوصفى محلِّلاً للاستعارات، فإننى أريد أن أبدأ بقوة الصور ومن أين تنبع تلك القوة.

ثمة عدد من الاستعارات الخاصة بالمباني.

وإحدى هذه الاستعارات البصرية الشائعة هى أن المبانى رؤوس ونوافذها بمثابة العيون. إن الاستعارة غافية **dormant**، كائنة فى أمخاخنا، تنتظر ما يوقظها. وقد أتت صورة الطائرة المخترقة للبرج الجنوبى من مركز التجارة العالمى لتستثيرها. لقد أصبح البرج رأسًا والنوافذ عيونًا، وحافة البرج خدًا **a temple**. وأصبحت الطائرة المخترقة له رصاصة تخترق رأس شخص ما. وألسنة اللهب المندلعة من الجانب الآخر هى الدم المنبجس.

إن المبانى الشاهقة هي، استعاريًا، أشخاص يقفون منتصبين، ولذا حين تساقط البرج أصبح جسدًا يتساقط. إننا لا نكون منتبهين بشكل واعٍ للصور الاستعارية **metaphorical images**، إلا أنها تشكِّل جزءًا من القوة والرعب اللذين نعايشهما حين نراها.

إن لدى كلٍّ منا، فى القشرة الأمامية الحركية **premotor cortex** لأمخاخنا، ما يُدعى بالخلايا العصبية العاكسة **mirror neurons**.

وتلك الخلايا العصبية تنطلق عندما نؤدى فعلاً ما أو عندما نرى الفعل ذاته وشخص آخر يؤدِّيه. كما توجد وصلات من ذلك الجزء من المخ مع المراكز الانفعالية. ويُعتقد أن تلك الدوائر العصبية تمثل الأساس للتقمص الوجداني.

ويحدث هذا حرفيًا – عندما نرى طائرة قادمة نحو المبنى ونتخيل الأشخاص الذين فى المبنى، إذ نشعر أن الطائرة قادمة نحونا نحن، حين نرى المبنى يتساقط على الآخرين. إننا نشعر أن المبنى يتساقط علينا نحن. وهو ما يحدث أيضًا استعاريًا: إذ لو كنا نرى الطائرة تخترق المبنى واستدعينا بشكل لا واعٍ استعارة المبنى بوصفه رأسًا تخترق الطائرة واجهته، فإننا سنشعر حينئذٍ – بشكل لا واعٍ لكن بشكل قوى – أنه قد أُطلق الرصاص على وجهنا. وإذا استدعينا استعارة المبنى بوصفه شخصًا ورأينا المبنى يتساقط على الأرض قطعًا، فإننا حينئذ سنشعر – ثانية بشكل لا واعٍ لكن قوى – أننا نتساقط أيضًا على الأرض قطعًا. إن أنساق تفكيرنا الاستعاري، المتفاعلة مع أجهزتنا العصبية العاكسة، تقلب الارتعابات الحرفية الخارجية إلى ارتعابات استعارية محسوسة felt metaphorical horrors.

وها هى بعض الحالات الأخرى:

١ . **السيطرة أعلى**: إن لديك السيطرة على الموقف؛ إنك على قمة الأشياء. لقد كان هذا دائمًا أساسًا مهمًا للبرجين بوصفهما رمزين للقوة. وفى هذه الحالة، يعنى سقوط البرجين فقدان السيطرة وفقدان القوة.

٢ . **التصوير القضيبى** phallic imagery:

إن الأبراج رموز للقوة القضيبية، وانهيارها يعزِّز فكرة فقد القوة. وهناك نوع آخر من التصوير القضيبى أكثر مركزية هنا: إنه الطائرات المخترقة للبرجين وللبنتاجون بألسنة اللهب، إنها صورة مهبلية a viginal image من الفضاء تفتض فيها الطائرات البنايات كالصواريخ. إن هذه التأويلات القضيبية أتت من نساء شعرن أنهن انْتُهِكن مرتين مرة بالهجمات ومرة أخرى بعرض صورها على التلفزيون.

٣. **إن المجتمع بناء:** إن للمجتمع "أساسات" يمكن أن تكون أو لا تكون صلبة، ويمكن أن تكون "هشة" و"تسقط". وقد كان مركز التجارة العالمى رمزًا للمجتمع. وحين انهار وسقط، أصبح التهديد يتجاوز المبنى.

٤. **الرسوخ Standing:** إننا نفكِّر استعاريًا فى الأشياء التى تدوم عبر الزمنى بوصفها "راسخة" "standing" وقد ظل اتش دبلو. جورج بوش يقول أثناء حرب الخليج "إن هذا لن يدوم" "this will not stand" قاصدًا أن الموقف لن يدوم عبر الزمن. لقد تم بناء مركز التجارة العالمى ليبقى عشرة آلاف سنة. ولذا: فإنه حين انهار أثار استعاريًا السؤال عما إذا كانت القوة الأمريكية والمجتمع الأمريكى سيدومان.

٥. **المبنى بوصفه معبدًا (جبهة) temple:**

ولدينا هنا دمار معبد التجارة الرأسمالية، الذى يقع فى قلب مجتمعنا.

٦. **عقولنا تتحايل علينا:**

إن صورة منطقة مانهاتن لم تعد متوازنة unbalanced الآن. لقد كنا معتادين على رؤيتها والبرجان فيها. ومن ثم، فإن عقولنا تفرض علينا صورة البرجين القديمة، فى حين تصيبنا رؤيتهما وقد تلاشيا بوهم عدم التوازن، كما لو أن ما نهاتن تغرق. وفى ظل رمزية مانهاتن بوصفها وعد أمريكا، فإنه يبدو استعاريًا، كما لو كان ذلك الوعد يغرق.

٧. **الجحيم:** ثم هناك الصورة المتواصلة، يومًا بعد الآخر، للبقايا المتفحمة المنبعث منها الدخان: إنه الجحيم.

لقد كان مركز التجارة العالمى رمزًا خصبًا a potent symbol، وقد ارتبط بفهمنا لبلدنا وأنفسنا بآلاف الطرائق. وكما نعرف فإن كل ما نعرفه مجسَّد فيزيقيًا فى أمخاخنا، ولذلك فلكى نستدمج المعرفة الجديدة فإن هذا يتطلب تغييرًا فيزيقيًا فى المشتبكات العصبية لأمخاخنا، إعادة تشكيل فيزيقى لجهازنا العصبي.

إن العنف الفيزيقي لم يقع فقط في نيويورك وواشنطن، بل إن التغيرات الفيزيقية – التغيرات العنيفة – أصابت أمخاخ كل الأمريكيين.

## كيف تؤطِّر الإدارة الحدث

ينبغي ملاحظة تأطيرات الإدارة، وإعادات تأطيرها، وبحثها عن الاستعارات. لقد كان التأطير الابتدائي لما حدث أنه جريمة نتج عنها ضحايا واقترفها جناة يجب "مثولهم أمام العدالة"، و"عقابهم". إن إطار الجريمة يلزم عنه القانون، محاكم، محامون، محاكمات، حكم، استئنافات، وما إلى ذلك. لقد كان هذا قبل أن يتغير إطار الجريمة إلى إطار الحرب بخسائرها، وأعدائها، وفعلها العسكري، وقوى الحرب، وما إليها، بساعات.

وقد أوضح دونالد رامسفيلد، ومسئولون آخرون من الإدارة، أن هذا الموقف لا يطابق فهمنا للحرب. هناك أعداء وخسائر صحيح، لكن لا يوجد جيش للعدو، ولا حشود عسكرية، ولا دبابات، ولا سفن، ولا قوات جوية، ولا ميادين قتال، ولا أهداف استراتيجية، ولا نصر حاسم.

إن إطار الحرب لا ينطبق تمامًا. وقد جادل كولن باول دائمًا أنه لا ينبغي تكريس قوات بدون أهداف محدَّدة، وتحديد واضح للنصر وقابل للتحقيق، ولا بدون استراتيجية واضحة للخروج، وأنه لا ينبغي أن تستخدم تعهدات مفتوحة النهاية. بل إنه ذكر أنه ما من شيء من هذا حاضر في هذه "الحرب".

ولأن مفهوم الحرب لا ينطبق، فقد كان هناك بحث مسعور عن الاستعارات. أولاً، نعت بوش الإرهابيين بالجبناء – إلا أن هذا لا ينطبق جيدًا على شهداء ضحوا بحياتهم بمحض إرادتهم من أجل مُثلهم الأخلاقية والدينية. وقد قال مؤخرًا إنه "سيخرجهم من جحورهم" كما لو كانوا من القوارض، كما تحدث رامسفيلد عن "تجفيف المستنقع الذي يحيون فيه" كما لو كانوا أفاعي أو كائنات مستنقعات حقيرة.

إن الاستعارات التصورية هنا هى الأخلاقى أعلى واللا أخلاقى أدنى (إنهم وضعاء)، والأشخاص اللا أخلاقيون حيوانات (تحيا على مقربة من الأرض).

إن استخدام كلمة الشر evil فى خطاب الإدارة يعمل بالكيفية التالية. إن الشر فى أخلاقيات الأب الصارم المحافظة هو شيء ملموس a palpable thing، قوة فى العالم.

(see Moral politics, chapter ٥، انظر السياسة الأخلاقية، الفصل رقم ٥).

ولكى تواجه الشر يجب عليك أن تكون قويًا أخلاقيًا. أما إذا ما كنتَ ضعيفًا، فإنك ستدع الشر ينتصر؛ بما أن الضعف فى حد ذاته شكل من أشكال الشر، لكونه يدعم الضعف. إن الشر متأصل inherent، إنه خاصية أساسية تحدّد كيف ستسلك فى العالم. والبشر الأشْرار يقترفون أشياء شريرة.

ولا حاجة إلى المزيد من التفسير. ويمكن ألا تكون هناك أسباب اجتماعية للشر، أو منطق دينى للشر، أو أسباب أو حجج للشر. إن عدو الشر هو الخير. وإذا كان عدونا هو الشر، فإننا نكون بشكل متأصل أخيارًا. إن الخير طبيعتنا الأساسية وما نصنعه فى المعركة ضد الشر هو الخير. فالخير والشر محصوران فى معركة مُمَفْهَمة استعاريًا بوصفها قتالاً فيزيقيًا ينتصر فيه الأقوى. إذ فقط القوة الأعلى يمكنها أن تهزم الشر، وإظهار القوة فقط هو ما يمكنه أن يكبح الشر. ومن ثم؛ فإن عدم إظهار القوة الساحقة يعد لا أخلاقيًا immoral، لكونه يتضمن أن أن يقترف الأشرار المزيد من الشرور؛ لأنهم سيعتقدون أنهم يستطيعون أن ينجوا من العقاب. ولذلك تعد معارضة إظهار القوة الأعلى لا أخلاقية. وما من شيء أهم من ذلك فى معركة الخير ضد الشر، وإذا وقع بعض المسالمين الأبرياء فى الطريق وأصابهم الأذى، فإنه عار a shame، إلا أنه ينبغى توقع ذلك، وما من شيء يمكن فعله إزاءه.

وبالتأكيد فإن اقتراف "أهون الشرور" "lesser evils" باسم الخير مبرَّر – "أهون الشرور" مثل تقليص الحريات الفردية، وإجازة الاغتيالات السياسية، والإطاحة بالحكومات، والتعذيب، واستئجار القتلة، وإحداث "أضرار مباشرة".

وفى ظل هذا توجد استعارة الأمن الأساسية، الأمن بوصفه احتواء containment – منع الأشرار. فلنحم حدودنا ولنبعدهم، هم وأسلحتهم، عن مطاراتنا، ولنضع عسكريين على الطائرات. إن معظم الخبراء الأمنيين يقولون إنه لا توجد طريقة مضمونة لمنع الإرهابيين أو حرمانهم من استخدام سلاح ما أو آخر، إذ يمكن لأى تنظيم إرهابى لديه التصميم والتمويل الجيد أن يخترق أى نظام أمني. أو أنهم يستطيعون أن يختاروا أهدافًا أخرى، مثل ناقلات البترول.

ومع ذلك فإن استعارة الأمن بوصفه احتواء فعَّالة بقوة. وهى التى تكمن وراء مشروع الدرع الصاروخى The missile shield. إن العقلانية تقتضى القول إن هجمات ١١ سبتمبر أظهرت أن الدرع الصاروخى عديم الجدوى. إلا أنها عزَّزت استخدام استعارة الأمن بوصفه احتواء. إذ بمجرَّد ما أن تقول الأمن القومى national security، حتى تنشط استعارة الأمن بوصفه احتواء ومعها الدرع الصاروخي.

## أفضلية المحافظين

إن رد فعل إدارة جورج بوش مطابق تمامًا لما يمكن أن تتوقع أن يكون عليه رد فعل محافظ: إنها أخلاقية الأب الصارم الخالصة، فالشر طليق فى العالم، ولذلك يجب أن نظهر بأسنا ونكتسحه. وهنا يُستدعى القصاص retribution والثأر vengeance. وحتى إذا كان هناك قتلى أو خسائر مباشرة، فليكن.

أما رد فعل الليبراليين والتقدميين فقد كان مختلفًا اختلافًا بعيدًا: ذلك أن ما طُلِب هو العدالة justice وليس الثأر vengeance. إن الفهم وضبط النفس هما المطلوبان. وينبغى أن يكون النموذج لأفعالنا هو عمال الإنقاذ والأطباء – المعالجون – وليس المفجِّرين. إذ لا ينبغى لنا أن نكون مثلهم. لا ينبغى أن نحصد حياة الأبرياء لكى نقدّم الجناة إلى العدالة. ذلك أن التفجيرات الهائلة التى تقتل الأبرياء فى أفغانستان ستظهر أننا لسنا أفضل منهم.

إلا أنّ الرسالة المحافظة للإدارة هى التى سادت وسائل الإعلام. وتم تأطير الحدث بلغتهم. وكما صاغها نويت جينجرتش **Newt Gingrich** على شبكة فوكس "الانتقام (القصاص) هو العدالة" **"Retribution is justice"** . إننا يجب أن نعيد تأطير النقاش. وقد وجدتنى أتذكر كلمات غاندى "لتكن أنت التغيير الذى تريده"

**"Be the change you want"** إن هذه الكلمات تنطبق على الحكومات مثلما تنطبق على الأفراد.

# الأسباب

توجد (على الأقل) ثلاثة أنواع من الأسباب للإرهاب الإسلامى الأصولي:

رؤية العالم: المنطق الديني

الظروف الاجتماعية والسياسية: ثقافات اليأس

الوسائل: الشروط المتيحة للفعل

إن إدارة بوش لم تناقش إلا النوع الثالث فقط: الوسائل التى أتاحت تنفيذ الهجمات. وهى تشمل القيادة (على سبيل المثال، بن لادن)، البلدان المُضيفة، والتسهيلات، وقواعد التدريب، والدعم المالي، وتنظيم الخلايا، وشبكات المعلومات، وما إليها، وكل هذه الأمور لا تتضمن النوعين الأول والثانى فى القائمة.

## رؤية العالم : المنطق الديني

إن السؤال الذى ظل يُطرح فى وسائل الإعلام هو، لماذا يكرهوننا كل هذه الكراهية؟

ومن المهم من البداية أن يُفصَل الإسلام المعتدل والليبرالى عن الإسلاميين الأصوليين الراديكاليين الذين لا يمثّلون معظم المسلمين. إن الإسلاميين الأصوليين

الراديكاليين يكرهون ثقافتنا. كما أن رؤيتهم للعالم متضاربة مع أسلوب الحياة الذى يحيا به الأمريكان والغربيون الآخرون حيواتهم.

• والجانب الأول من هذه الرؤية للعالم يتعلق بالنساء، اللائى عليهن أن يُخفين أجسادهن، واللائى لا ينبغى أن يكون لهن حق فى الملكية، وما إلى ذلك. كما أن كلاً من الحياة الجنسية الغربية، والعادات الغربية، والموسيقى الغربية، ومساواة النساء، كل ذلك ينتهك قيمهم، وكذلك فإن كلية وجود المنتجات الثقافية الأمريكية، مثل الأفلام والموسيقى المنتشرة على امتداد العالم تنتهك مشاعرهم. وهناك جانب ثانٍ يتعلق بالحكم الدينى theocracy: إذ يعتقدون أن الحكومات ينبغى أن تدار من قبل رجال الدين طبقًا للشريعة الإسلامية الصارمة.

وثمة جانب ثالث يتعلق بالأماكن المقدَّسة مثل تلك التى فى القدس، والتى يعتقدون أنها ينبغى أن تكون تحت سيطرة سياسية وعسكرية إسلامية.

وكذلك جانب رابع يتعلق بالغزوات التجارية والعسكرية التى يشنها الغربيون على الأراضى الإسلامية، والتى يشبِّهونها باجتياح الحملات الصليبية الكريهة. والكيفية التى يرونها بها هى أن ثقافتنا تبصق فى وجه ثقافتهم.

كما أن هناك بعدًا خامسًا يتعلق بالجهاد – حرب مقدَّسة لحماية الإيمان والدفاع عنه.

وأخيرًا، هناك بعد سادس يتمثل فى فكرة الشهيد المتمثلة فى رجل مستعد للتضحية بنفسه من أجل القضية التى يؤمن بها، وثوابه هو المجد الأبدى – الخلود فى الجنة محاطًا بحور العين الراغبات. كما أنه فى بعض الحالات يكون هناك وعد برعاية أسرته من قبل الجماعة.

إن معظم الشهداء الإسلاميين المحتملين لا يشتركون فحسب فى هذه المعتقدات، بل إنهم أيضًا نشأوا ضمن ثقافة يأس a culture of despair، حيث ليس لديهم ما يخسرونه. ولذلك، استأصِلوا ذلك الفقر وستجدون أنكم بذلك تستأصلون التربة المنبتة لمعظم الإرهابيين – هذا على الرغم من أن إرهابيّ ١١ سبتمبر كانوا نسبيًا موسرين. لكن لم يبدُ أن جورج بوش حين كان يتحدث عن استئصال الإرهاب كان يتحدث عن استئصال ثقافات اليأس cultures of despair، والظروف الاجتماعية التى تدفع إنسانًا إلى أن يرغب فى أن يُنهى حياته من أجل الشهادة.

وقد قدَّم ليمان برنستون من معهد أسبن اقتراحًا مهمًا – يرى أن التحالف العالمى المناهض للإرهاب وقد تشكَّل كان ينبغى أيضًا أن يخاطب الظروف العالمية الفعلية المتسبِّبة فى الإرهاب. فالظروف (المادية والسياسة معًا) التى تقود فى كل بلد إلى اليأس تحتاج أن يتم تناوُلها، فى ظل التزام عالمى بإنهائها. وينبغى فعل هذا لأنه جزء ضرورى من تناول أسباب الإرهاب – ولأن هذا صحيح! وبما أن هذا التحالف قد تشكَّل، فإنه ينبغى أن يتحول إلى مؤسسة عالمية بعيدة الأمد لهذا الغرض.

لكن ماذا عن السبب الأول – أى رؤية العالم الإسلامية الراديكالية ذاتها؟

إن الفعل العسكرى لن يغيِّر هذه الرؤية، والفعل الاجتماعى أيضًا لن يغيِّرها. ذلك أن رؤى العالم تحيا فى عقول الناس. فكيف يمكن لأحد أن يغيِّر تلك العقول - وإن لم يكن التغيير للعقول الراهنة، فليكن إذًا لعقول المستقبل؟ إن الغرب لا يمكنه تحقيق ذلك! ولا يمكن لتلك العقول أن تتغير إلا عن طريق المسلمين المعتدلين والليبراليين – من رجال الدين والمعلِّمين، والكبار، وشخصيات المجتمع المحترمة. ولا يوجد نقص فى هؤلاء. وإن كنت أشك أنهم منظَّمون تنظيمًا جيدًا، إلا أن العالم يحتاج منهم أن ينظِّموا أنفسهم تنظيمًا جيدًا، وأن يصبحوا فعَّالين. إذ من الحيوى أن يشكِّل المسلمون المعتدلون والليبراليون صوتًا موحَّدًا ضد الكراهية وضد الإرهاب. ولنتذكر أن طالبان تعنى "الطالب" "student" ولذا لا بد من أن يتم استبدال أولئك الذين يُدرِّسون الكراهية فى المدارس الإسلامية –

وبالطبع لا يمكننا نحن فى الغرب أن نستبدلهم. وإنما هذا يمكن أن يتم فقط من خلال إسلام معتدل منظَّم وغير عنيف. إن الغرب يستطيع أن يقدِّم الاقتراح ويقدِّم موارد واسعة؛ إلا أننا عاجزون بمفردنا عن تحقيقه.

إننا نعتمد على النوايا الحسنة للقادة الإسلاميين المعتدلين وعلى شجاعتهم. ولكى نحقِّق هذا يجب علينا أن نظهر نوايانا الحسنة من خلال البدء بمعالجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية التى تقود إلى اليأس معالجة جادة.

إلا أن حكومة محافظة، لا تفكِّر فى العدو إلا بوصفه الشر، لن تأخذ الأسباب الأساسية مأخذ الجد، بل إنهم سيتبعون الأسباب المُمَكِّنة the enabling causes، لكن ما لم يتم تناول الأسباب الأساسية سيستمر الإرهابيون فى التفريخ.

## الخطاب الجماهيرى

إن ما قالته المحترمة باربارا لى (نائبة كاليفورنيا) التى أفخر بذكر أنها ممثِّلتى فى الكونجرس، فى إطلاقها للصوت الوحيد ضد إعطاء موافقة الكونجرس الكاملة للرئيس بوش على خوض حربه على الإرهاب بالكيفية التى يراها مناسبة، هو مايلي:

إننى مقتنعة أن الفعل العسكرى لن يحول دون المزيد من عمليات الإرهاب العالمى ضد الولايات المتحدة. وهذه مسألة مركبَّة ومعقَّدة جدًا.

..... ومهما بدا هذا التصويت صعبًا، فإنه يجب على بعضنا أن يحثُّوا على استخدام ضبط النفس. إن بلدنا في حالة حداد. ويجب على بعضنا أن يقول، دعونا نتراجع للحظة. دعونا نتوقف للحظة ونفكِّر فى تداعيات أفعالنا اليوم بحيث لا يخرج هذا عن نطاق السيطرة.

إننى أتعذَّب عبر هذا التصويت، لكننى أتيتُ اليوم لأتوافق معه اليوم،

ولأتوافق مع معارضة هذا القرار خلال هذا التأبين المؤلم جدًا، ومع ذلك الجميل جدًا. وكما قال أحد رجال الدين ببلاغة "دعونا، ونحن نسلك، ألا نصبح الأشرار الذين نستنكرهم".

إننى أوافق. إلا أن ما يستلفتنى كلغوى هو استخدام صيغ النفى فى الكلمة "لن يحول دون" "not prevent"، "ضبط النفس" "restraint" (وهو نفى ضمني) "لا يخرج عن نطاق السيطرة" "not spiral out of control" "ألا نصبح الأشرار الذين نستنكرهم" "not become the evil that we deplore"

الأصدقاء يوزِّعون عريضة تطالب بالعدالة بدون ثأر" إن بدون

Without تحوى نفيًا ضمنيًا آخر. ولا يعنى هذا أن هذه العبارات المنفية خاطئة. وإنما يعنى أن المطلوب هو أن تكون صيغة الخطاب إثباتية positive وذلك نموذج لها:

إن المفهوم المركزى هو مفهوم المسئولية الحاضر فى قلب الأخلاقيات التقدمية / الليبرالية (أنظر السياسة الأخلاقية Moral Politics) إن الأخلاقيات التقدمية / الليبرالية تبدأ بالتقمص الوجدانى empathy، القدرة على أن تفهم الآخرين وتشعر بالكيفية التى يشعرون بها. ويمثِّل هذا فرضًا مسبقًا فى المسئولية – مسئولية الفرد عن نفسه، وعن حماية ورعاية أولئك الذين يحتاجون الرعاية، وعن المجتمع.

وقد كانت تلك القيم هى القيم التى رأيناها بصورة عملية بين فرق الإنقاذ فى نيويورك بعد الهجمات مباشرة.

إن المسئولية تتطلب القدرة competence والفعالية effectivene. وإذا كنتَ ستتعامل مع الإرهاب بمسئولية، فلا بد من أن تتعامل مع كل أسبابه بفعالية: أسبابه الدينية والاجتماعية والتمكينية. ويجب أن يتم التعامل مع الأسباب المُمَكِّنة بفعالية. إن تفجير المدنيين الأبرياء وتخريب وتدمير البنى الأساسية لبلدهم ستكون ناتجًا عكسيًا – الرعاية بدلاً من التخبط blundering والقوة الطاغية.

أما القصف المكثَّف فسيكون فعلاً غير مسئول irresponsible. والفشل فى معالجة الأسباب الدينية والاجتماعية سيكون أيضًا فعلاً غير مسئول. إن الاستجابة المسئولة تبدأ بتوحيد الجهود العالمية لمعالجة الأسباب الثلاثة معًا: الأوضاع الاجتماعية والسياسية، ورؤية العالم، والوسائط الدينية، بكل العناية المستحقة.

# السياسة الخارجية

فى زمن تأتى فيه التهديدات الإرهابية من جماعات من الأفراد وليس من دول، وفى زمن تقع فيه الحروب داخل الأمم، وفى زمن توجد فيه "الأسواق الحرة" بدون حرية، وفى زمن يهدّد فيه الانفجار السكانى الاستقرار، وفى زمن تقيِّد فيه الثقافات اللامتسامحة الحريات وتروِّج للعنف، وفى زمن تسلك فيه الشركات العابرة للقوميات **transnational corporations** مثل الحكومات الجائرة، وفى زمن يهدِّد فيه اقتصاد البترول **oil economy** مستقبل الكوكب – لا يمكن أن تحل المشاكل المركزية فى عالم اليوم من خلال مقاربات على مستوى الدول:

إن الجانب الخاص بمستوى الدول من الجواب يتمثل فى إدراك الاعتماد العالمى المتبادل، وفى أن تركِّز السياسة الخارجية على الدبلوماسية والتحالفات والمؤسسات الدولية وقوات دفاعية قوية وحافظة للسلام، مع خيار الحرب كملجأ أخير.

بل إن المطلوب حتى بصورة أكثر من ذلك هو نوع جديد من السياسة الخارجية الأخلاقية، سياسة خارجية تدرك أن أمريكا يمكنها فقط أن تصبح أفضل، إذا أصبح العالم أفضل.

ويجب أن تصبح أمريكا قائدًا أخلاقيًا مستخدمة القيم الإنسانية الأساسية: الرعاية والمسئولية الممارستين بقوة فى الاستجابة تجاه مشكلات العالم.

وفى ظل سياسة خارجية مبنية على القيم تصبح القضايا التى لم تكن تُرى من قبل بوصفها جزءًا من السياسة الخارجية مركزية.

ولعل تعليم المرأة هو أفضل سبيل للتخفيف من الزيادة السكانية وتشجيع التنمية. كما يمكن للطاقة المتجدّدة **renewable energy** أن تجعل العالم عالمًا لا يعتمد على النفط. إن قضايا الطعام والماء والصحة والبيئة والإصلاح الشامل هى قضايا خاصة بالسياسة الخارجية، مثلها مثل الحقوق: حقوق النساء، والأطفال، والعمال، والمساجين، واللاجئين، والأقليات السياسية.

إلا أن هذه القضايا قد تُركت لجماعات الدفاع الدولية، والعديد منها يؤدى عملاً ممتازًا. لكن مع ذلك، فإن هذه القضايا تحتاج مقاربة متكاملة تقتضى سياسة خارجية تكون جادة فى معالجتها. لكن لماذا ظلت هذه القضايا محدَّدة على نطاق واسع بوصفها تقع خارج نطاق السياسة الخارجية؟

إن الاستعارات التى ظل يستخدمها خبراء السياسة الدولية ليحدِّدوا ما تعنيه السياسة الخارجية تستبعد هذه الأمور المهمة. وتتضمن هذه الاستعارات المصلحة الذاتية **self – interest** (على سبيل المثال، نموذج الفاعل العقلانى **the rational actor model**)، الاستقرار **stability** (استعارة من الفيزياء)، التصنيع (الأمم غير الصناعية أمم "متخلفة" **"underdeveloped"**، والتجارة (الحرية هى التجارة الحرة).

إلا أن ثمة طريقة بديلة للتفكير فى السياسة الخارجية تصبح معها كل هذه القضايا جزءًا طبيعيًا مما تدور حوله السياسة الخارجية. وتتمثَّل الفرضية فى أنه حين تعمل العلاقات الدولية بنعومة، فإن هذا يحدث لأنه يكون قد تم اتباع معايير أخلاقية معينة من قبل المجتمع الدولي. إلا أن هذا يمضى فى معظم الأحوال دون أن يُلاحظ؛ نظرًا لأن تلك المعايير عادة ما تُتَّبع. لكننا نلاحظ المشكلات حين يتم انتهاك تلك المعايير. وفى ظل هذا، يصبح مفهومًا أن السياسة الخارجية ينبغى أن تتمركز حول تلك المعايير.

إن المعايير الأخلاقية التى أقترحها تنبع، مما أطلقت عليه فى السياسة الأخلاقية **Moral Politics** الأخلاقية الراعية **nurturant morality**، وهى رؤية للسلوك الأخلاقى الذى يرتكز على التقمص الوجدانى والمسئولية (عن نفسك وعن الآخرين المحتاجين لمساعدتك).

وهناك أشياء عديدة تنبع من هذه المبادئ المركزية: الإنصاف، أدنى حد من العنف (على سبيل المثال، العدالة بدون ثأر)، خلق الرعاية، وحماية أولئك المحتاجين إليها، وإقرار الاعتماد المتبادل، والتعاون من أجل الخير العام، وبناء المجتمع، والاحترام المتبادل وما إلى ذلك.

وحين تُطبَّق المعايير الأخلاقية الراعية على السياسة الخارجية؛ فإنها ستقود الحكومة الأمريكية إلى تأييد معاهدة مناهضة انتشار الصواريخ البلاستية، وإلى توقيع اتفاقيات كيوتو، وستدخل فى شكل من أشكال العولمة تحكمه أخلاقية الرعاية — وهو ما يجعل أوتوماتيكيًا كل الأمور المنصوص عليها أعلاه (مثل البيئة وحقوق المرأة) جزءًا من سياستنا الخارجية.

وهذا، بالطبع، يتضمن (١) نظرة متعددة الجوانب multilateralism، و(٢) الاعتماد المتبادل، و(٣) التعاون الدولي. إلا أن هذه المبادئ الثلاثة، بدون المعايير الراعية، يمكنها أن تُطبَّق جيدًا بالقدر ذاته على سياسة خارجية محافظة بصورة جذرية. إن سياسة بوش الخارجية كما أعلنها فى حملته الانتخابية عام ٢٠٠٠، كانت سياسة خارجية قائمة على المصلحة الذاتية ("ماذا فى المصلحة الأفضل للولايات المتحدة") — إن لم تكن الهيمنة الكلية (موقف تشينى / رامسفيلد). وقد انتقد القادة الديموقراطيون بشكل خاطئ بوش على أنه انعزالى وأحادى النظرة فيما يتعلق بقضايا مثل اتفاقيات كيوتو ومعاهدة الحد من الصورايخ البلاستية.

إلا أنه لم يكن انعزاليًا ولا أحادى النظرة وإنما كان فقط يتبع سياسته المعلنة فى المصلحة الذاتية، مستخدمًا أخلاقيات الأب الصارم كدليل له.

ولنتخيل لو أن بوش كان قد تلقى الدعم الكامل من فرنسا وألمانيا والأمم المتحدة حين أعلن سياسته. لقد كان حينها سيوصف بأنه دولى وصاحب نظرة متعددة الجوانب. وحين يكون فى مصلحة أمريكا (كما يراها)، فإنه سيعمل مع تلك الأمم الراغبة فى أن تتعاون، "تحالف الراغبين" ويعتمد إذا ما كان بوش سيبدو صاحب نظرة متعددة الجوانب على من هو الراغب. إن المصلحة الذاتية تعبر الحدود بين أحادية النظرة وتعددية النظرة، وسياسة بوش الخارجية سياسة مصلحة ذاتية لا تتزحزح.

وهناك تداخل واضح، بشكل مثير، بين سياسة المعايير الراعية والرؤية المثالية للحرب الجديدة لإدارة بوش. ويتمثل التداخل ببساطة فى أن ثمة معيارًا أخلاقيًا لرفض التورط فى الإرهاب أو دعمه. وانطلاقًا من هذا المنظور، يبدو كما لو كان اليسار واليمين متحدين. إلا أنه ليس سوى وهم.

إن مناهضة الإرهاب تنشأ، في سياسة المعايير الراعية، من معيار أخلاقي آخر، وهو أن: العنف ضد الأطراف البريئة لا أخلاقي. إلا أن حرب بوش الجديدة لن تتبع بالتأكيد ذلك المعيار الأخلاقي. ذلك أن مستشاري بوش العسكريين، فيما يبدو، يخططون لشن تفجيرات مكثفة ولتدمير البنية التحتية؛ مما سيتسبب بالتأكيد في حصد حيوات أعداد كبيرة من المدنيين الأبرياء.

وقد أفادت تقارير المخابرات المركزية الأمريكية أنه، خلال عام واحد من انتهاء حرب الخليج، مات حوالي مليون مدني عراقي من آثار الحرب والحظر التجاري – كثيرون منهم ماتوا من الأمراض وسوء التغذية الناتج عن تدمير الولايات المتحدة لمحطات تنقية المياه، وتدمير المستشفيات ومحطات توليد الكهرباء وما إليها، بالإضافة إلى العجز عن توفير الطعام واللوازم الطبية. ومازالت هناك أعداد أكبر بكثير من الأبرياء تموت من آثار الحرب. فهل نتصور أن الولايات المتحدة ستضع في حساباتها حماية الأفغانيين الأبرياء، وهي تمطر البنية التحتية الأفغانية بوابل من الأهوال؟ إننا فيما يُفترض نقاتلهم لأنهم قتلوا بشكل لا أخلاقي مدنيين أبرياء. وهو ما جعلهم أشرارًا. فهل نكون أقل أخلاقية منهم بأي صورة من الصور إذا ما فعلنا الشيء ذاته؟

لقد كانت هذه الحجة ستُصدَّق لو كانت "حرب بوش على الإرهاب" حقًا حربًا خاصة بالأخلاق بالكيفية المفهومة بها الأخلاق من قبل التقدميين / الليبراليين إلا أنها ليست كذلك. إذ إن المطروح، داخل الأخلاقيات المحافظة، هو قتال بين الخير والشر، يُتسامح فيه مع "الشرور الأهون" وتُرى حتى بوصفها ضرورية ومتوقعة. إلا أن الحجة القائلة إن قتل المدنيين الأبريا من أجل الثأر ستجعلنا أشرارًا مثلهم تمامًا لن تعمل إلا بالنسبة لليبراليين، وليس بالنسبة للمحافظين.

إن الدعوى المثالية لإدارة بوش تتمثَّل في أنهم يعتزمون أن يمحقوا الإرهاب في كل أنحاء العالم. إلا أن ما لم يُذكر هو أن الولايات المتحدة نشرت إرهابها الخاص بها ودرَّبت إرهابيين، من المناهضين إلى المجاهدين، وفرق الموت الهندوراسية، والقوات العسكرية الأندونسية. فهل ستوقف حكومة الولايات المتحدة تدريب الإرهاربيين؟ بالطبع لا. بل إنها

تُنكر أنها تفعل ذلك. فهل هذا خداع؟ إن الجواب، بناءً على الأخلاقيات المحافظة ورؤيتها للخير فى مواجهة الشر و "أهون الشرور" هو لا.

وإذا كان خطاب الإدارة يسيء إلينا، فإن علينا التزامًا أخلاقيًا أن نغيّر الخطاب الجماهيري!

لتكن أنت التغيير الذى تريده! فإذا كانت الولايات المتحدة تريد للإرهاب أن ينتهي، فإنه يجب على الولايات المتحدة أن تنهى هى ذاتها مساهمتها الخاصة فى الإرهاب. ويجب علينا أيضًا أن نُنهى ليس فقط الإرهاب الموجَّه ضد الغرب بل أيضًا الموجَّه ضد الآخرين. لقد عقدنا صفقة مع باكستان لكى تساعدنا فى أفغانستان. فهل جزء من هذه الصفقة أن تتخلى باكستان عن إرهابها فى كشمير ضد الهند؟ إننى سأصاب بالصدمة لو كان الأمر هكذا.

إن سياسة بوش الخارجية القائمة على المصلحة الخاصة لا تتطلب هذا.

إلا أنه لا بد من طرح السؤال. فإن لم يكن هذا جزءًا من الصفقة، إذا فإن حكومتنا تكون قد انتهكت مُثلها الخاصة المعلنة، إنها ستصبح مرائية hypocrite. فإذا كان الإرهاب الذى لا نمانعه – أو ربما حتى نحبه – مستمرًا، فإن الإرهاب لن ينتهى وسينقلب فى النهاية علينا، تمامًا مثلما حدث مع دعمنا للمجاهدين.

إننا يجب أن نكون التغيير الذى نريده!

إن السياسة الخارجية القائمة على المعايير الأخلاقية هى السياسة الخارجية الوحيدة العاقلة. وهى تظل عملية، فى ظل فكرة مسئولية المرء عن نفسه. بل إنها ستقود عبر التقمص الوجدانى ومعايير المسئولية الأخرى (الحماية، الرعاية، القدرة، الفعالية، تنمية المجتمع)، إلى التعاون الدولى وإقرار الاعتماد المتبادل.

## السياسة الداخلية

إن لدى تخوفًا مشروعًا، تخوفًا من أن هجمات ١١ سبتمبر قد منحت إدارة بوش يدًا حرة فى تنفيذ أجندة داخلية محافظة. إنه لم يتم التصريح بهذا حتى الآن فى وسائل الإعلام إلا أنه ينبغى أن يقال، خشية أن يحدث بشكل قاطع.

من أين تأتى الأربعون بليون دولار؟

ليس من تحصيل الضرائب. إن التضحيات لن يقدّمها الأثرياء. من أين إذًا؟

إن المصدر الوحيد المتاح الذى أستطيع أن أتصوره هو صندوق الضمان الاجتماعى المفتوح الآن على مصراعيه. لقد ظل المحافظون يحاولون السطو على صندوق الضمان الاجتماعى لفترة من الزمن ومازال الديموقراطيون يقاومونهم حتى الآن. ومنذ أسبوع، كان اقتراح أن تُقتطَع الأربعون بليون دولار من "فائض" الضمان الاجتماعى غير قابل للدفاع عنه؛ فهل أصبح الآن قابلاً للدفاع عنه -- بعد أن صوَّت له كل سيناتور ديموقراطي، وصوّت له الجميع عدا صوتًا واحدًا من الديموقراطيين فى الكونجرس؟

فكِّر فيها: إن مدخرات تقاعدك ومدخراتى ذاهبة لتقاتل فى "حرب" بوش. لكن لا أحد يجرؤ أن يطرح الأمر بهذه الكيفية.

إنها مجرَّد أربعين بليون دولار، كما لو أنها قد أتت من الهواء. ولا أحد يذكر أن الأربعين بليون دولار تأتى من مدخرات تقاعدك. لا أحد يتحدث عن زيادة الضرائب. ولذلك ينبغى علينا على الأقل فحسب أن نسأل من أين يأتى المال.

وإذا كان المال يأتى من الضمان الاجتماعي، فإن بوش حينئذٍ يكون قد حقَّق هدفًا رئيسيًا من أجندة مناصريه المُحافِظة – بدون جعجعة وبدون ملاحظة وبدعم كل الديموقراطيين بصورة فعلية.

إن الدعوة للحرب، بدلاً من الدعوة للعدالة وحسب، منحت المحافظين السيطرة المطلقة.

وأخشى ألا تكون المسألة سوى مسألة وقت فقط قبل أن يبدأوا يدَّعون أننا نحتاج أن ننقِّب عن النفط في المناطق البرية من آلاسكا لدواعٍ أمنية قومية. وإذا سقط هذا المكان الشديد البدائية، فإنهم سيستخدمون مبرر الأمن القومي لينقِّبوا عن الفحم ويعدِّنوه على امتداد البلاد. كما سيتم تمرير برنامج الطاقة بوصفه مسألة أمن قومي. في حين سيتم صرف النظر عن كل البرامج الاجتماعية لعجز الميزانيات، التي حُوِّلت إلى الأمن القومي.

لقد قال ديك تشيني إن هذه الحرب قد لا تنتهي أبدًا. وقد قدَّر لها نيوت جينجرش على الأقل أربع أو خمس سنوات بالتأكيد بعد انتخابات ٢٠٠٤. وبدون تحديد لما يعنيه النصر في هذه الحرب وبدون وجود استراتيجية للخروج منها، فإننا يمكن أن نكون داخلين في حالة حرب دائمة **a state of perpetual war** وسيكون هذا مريحًا جدًا للأجندة الداخلية المُحافِظة: إن آلة الحرب ستحدِّد الأجندة الداخلية، وهو ما سيسمح للمحافظين أن يفعلوا أي شيء يرغبون في فعله داخليًا باسم الأمن القومي. إن الكساد الذي أخذنا نعانيه تم بالفعل إلقاء اللوم فيه على الهجمات، وليس على سياسات بوش الاقتصادية. وعلينا أن نتوقع تقليصًا خطيرًا في الحريات المدنية. ولنتوقع أن أي معترضين على منظمة التجارة العالمية سينعتون بأنهم إرهابيون و / أو خونة. ولنتوقع أن أية معارضة لسياسات بوش ستُنعَت بالخيانة. من لديه الشجاعة أن يناقش في هذا الوقت السياسة الداخلية بصراحة؟

وبما أن هذا قد كتب ، فإن إحدى افتتاحيات النيويورك تايمز تقر أن المال يأتي من "صندوق الضمان الاجتماعي". كما أن إحدى افتتاحيات الوول ستريت جورنال تدعو الرئيس أن ينتهز اللحظة ليمرِّر أجندته بالكامل.

وقد قدَّم السناتور فرانك موركوويسكي ملحقًا على فاتورة مخصَّصات الحرب، لإجازة التنقيب في المحميات البرية القومية في القطب الشمالي. وهكذا تصبح الأربعون بليون دولار مائتي بليون دولار.

## (٥)
# الاستعارات التى تقتل

- ١٨ مارس ٢٠٠٣ -

الاستعارات يمكنها أن تقتل.

هكذا بدأتُ مقالاً عن حرب الخليج فى عام ١٩٩٠، قبل أن تبدأ الحرب مباشرة.

(النظر / http://philosophy.uoregon.edumetaphorllakoff-ı.htm).

إن العديد من تلك الأفكار الاستعارية تعود، لكن ضمن سياق مختلف جدًا وأكثر خطورة. وبما أن حرب العراق على وشك أن تندلع فى أى يوم، ربما حتى غدًا، فقد يكون مفيدًا أن نلقى نظرة قبل أن تبدأ العمليات العسكرية على الأفكار الاستعارية المستخدمة لتبرير حرب العراق.

إن إحدى الاستعارات المركزية فى سياستنا الخارجية هى أن الأمة شخص. وهى تُستخدَم مئات المرات يوميًا، وفى كل مرة تُمفهَم الأمة العراقية بأنها شخص مفرد، هو صدام حسين. وما يقال لنا هو أن الحرب لن تُشَن على الشعب العراقي، وإنما فقط على هذا الشخص. إن المواطنين الأمريكيين يستخدمون هذه الاستعارة بشكل اعتيادى حين يقولون تعبيرات مثل "صدام مستبد. إنه يجب أن يُوقف." إن ما تخفيه الاستعارة، بالطبع، هو أن الثلاثة آلاف قذيفة التى ستُلقَى فى اليومين الأولين لن يتم إلقاؤها على ذلك الشخص الواحد. بل إنها ستقتل عدة آلاف من البشر الذين تخفيهم الاستعارة، البشر الذين، طبقًا للاستعارة لن ندخل الحرب ضدهم.

إن استعارة الأمة بوصفها شخصًا the nations as a person هى استعارة متغلغلة pervasive وقوية وتشكِّل جزءًا من نسق استعارى معقَّد. إنها جزء من استعارة المجتمع الدولي، التى توجد فيها أمم صديقة وأمم عدوة، ودول مارقة وما شابه. وترتبط هذه الاستعارة بمفهوم المصلحة القومية: تمامًا مثلما أنه من مصلحة الشخص أن يكون عفيًا وقويًا، كذلك من مصلحة الأمة – الشخص أن تكون عفية اقتصاديًا وقوية عسكريًا. وذلك هو المقصود بـ "المصلحة القومية". وفى المجتمع الدولي، المأهول بالأشخاص ـ الأمم nation-persons، توجد أمم راشدة nation-adults وأمم طفلة nation-children، مع فهم النضج maturity استعاريًا بوصفه التصنيع industrialization والأطفال هم الأمم "النامية" the "developing" من العالم الثالث، الذين يحتاجون، ضمن سيرورة التصنيع، أن يُعلَّموا كيف ينمون نموًا سليمًا ويجب أن يتم ضبطهم (لنقل من قبل صندوق النقد الدولي) حيث يخفقوا فى أن يتبعوا التعليمات. أما الأمم "المتخلفة" "backward" nations فهى تلك الأمم "غير المتطورة" "underdeveloped" والعراق، على الرغم من كونها مهد الحضارة، مرئية بواسطة هذه الاستعارة بوصفها فى صورة سفَّاح مراهق مسلَّح ومتحدٍّ، ويرفض الالتزام بالقواعد ويجب أن يُلقَّن درسًا.

ويضيف مجتمع العلاقات الدولية إلى استعارة الأمة بوصفها شخصًا ما يُسمَّى نموذج الفاعل العقلاني. والفكرة هنا تتمثَّل فى أنه من اللا عقلانى أن تسلك ضد مصالحك، وأن الأمم تسلك كما لو كانت فاعلين عقلاء rational actors – أشخاصًا مستقلين يحاولون أن يزيدوا مكاسبهم وأصولهم إلى أقصى حد، ويخفِّضوا نفقاتهم وخسائرهم إلى أقصى حد.

وقد طُبِّقت الاستعارة فى حرب الخليج بحيث شملت "أصول" البلد، جنوده وعتاده وأمواله. وبما أن الولايات المتحدة لم تخسر إلا القليل جدًا من تلك "الأصول" فى حرب الخليج، فقد وُصِفت الحرب فى بعض التقارير الصحفية، بعد الحرب مباشرة فى قسم المال والأعمال فى النيويورك تايمز، بوصفها "صفقة رابحة" a "bargain" ولأن المدنيين العراقيين ليسوا جزءًا من أصولنا our assets فإنهم لا يمكن أن يعدوا ضمن "الخسائر"، ولذا لم يكن هناك حساب جماهيرى دقيق لأرواح المدنيين المفقودة، والأشخاص الذين

شُوِّهوا والأطفال الذين تضوروا جوعًا أو أصابتهم أمراض خطيرة بسبب الحرب أو العقوبات التى أعقبتها. إن التقديرات تتراوح من نصف مليون إلى مليون أو أكثر. ومع ذلك فقد نُظر إلى العلاقات العامة على أنها أصل من أصول الولايات المتحدة: ولذا فإن التقارير الصحفية حول المذابح المفرطة تُشكِّل علاقات عامة سيئة، خسارة محتملة. إن هذه الاستعارات معنا مرة أخرى. حرب قصيرة بخسائر قليلة للولايات المتحدة ستخفِّض التكاليف إلى أقصى حد. لكن كلما طالت الحرب زادت المقاومة العراقية وأصبحت خسائر الولايات المتحدة أكثر وبدت الولايات المتحدة أقل مناعة وبدت الحرب بوصفها حربًا ضد الشعب العراقي. وستكون تلك "تكلفة" عالية.

وطبقًا لنموذج الفاعل العقلاني، فإن البلدان تسلك بشكل طبيعى من أجل تحقيق مصالحها على أفضل وجه – مُحافِظةً على أصولها، أى سكانها وبناها التحتية وثرواتها وأسلحتها، وما شابه. إن ذلك هو ما فعلته الولايات المتحدة فى حرب الخليج وتفعله الآن. فى حين لم يطابق صدام حسين فى حرب الخليج نموذج الفاعل العقلانى الخاص بحكومتنا. لقد كانت لديه أهداف من قبيل الحفاظ على سلطته فى العراق وأن يصبح بطلاً عربيًا لمجرَّد وقوفه فى وجه الشيطان الأعظم. وعلى الرغم من أنه قد تكون لمثل هذه الأهداف معقوليتها الخاصة، فإنها "لا عقلانية" من منظور النموذج.

ويأتى أحد أكثر استخدامات استعارة الأمة بوصفها شخصًا ضمن المحاولات اليومية تقريبًا لتبرير الحرب استعاريًا بوصفها "حربًا عادلة" a "just war".

إن الفكرة الأساسية للحرب العادلة تستخدم استعارة الأمة بوصفها شخصًا بالإضافة إلى سرديتين لهما بنية الحكايات الخرافية الكلاسيكية: قصة الدفاع عن النفس the self – defense story وقصة الإنقاذ the rescue story.

وفى كل قصة من القصتين يوجد بطل وجريمة وضحية ووغد a villain . إلا أن البطل فى قصة الدفاع عن النفس يكون هو ذاته الضحية. وفى كلا القصتين يكون الوغد the villain شريرًا evil ولا عقلانيًا بالفطرة : إذ لا يستطيع البطل أن يتفاهم مع الوغد، ويجب عليه أن يحاربه ويهزمه أو يقتله – كما يجب، فى كلا القصتين، أن يكون الضحية بريئًا

وفوق مستوى التوبيخ وفى كل من القصتين توجد جريمة ابتدائية يقترفها الوغد ويعيد البطل التوازن الأخلاقى the moral books بهزيمته. وإذا كانت كل الأطراف هى أشخاص – أمم nation-persons، إذًا فإن قصتى الدفاع عن النفس والإنقاذ تصبحان شكلين من أشكال الحرب العادلة من أجل الأمة – البطل the hero-nation.

وقد حاول جورج بوش الأب فى حرب الخليج أن يجرِّب قصة الدفاع عن النفس حيث قال: إن صدام "يهدِّد حبل نجاتنا النفطي" "threatening our oil lifeline" .

إلا أن الشعب الأمريكى لم يقبلها. وحينها عثر على قصة رابحة، وهى قصة الإنقاذ: "اغتصاب" الكويت. وقد باعت جيدًا ولا تزال هى التفسير الأشهر لتلك الحرب.

وفى حرب العراق، يدمج جورج دبليو بوش الابن نسخًا مختلفة من نفس نمط القصتين، وهذا يفسِّر الكثير مما يدور فى الصحافة الأمريكية ويرد فى خطب بوش وباول. إذ لو أنهم استطاعوا أن يظهروا أن صدام حسين يعادل القاعدة – لأنه يساعد أو يأوى القاعدة – فإنهم حينئذٍ يستطيعون أن يصوغوا مبررات الدفاع عن النفس، ومن ثم أن يصوغوا مبررات الحرب العادلة. أو لو أنه تم العثور على أسلحة الدمار الشامل الجاهزة للانطلاق، فإنه يمكن أن يتم تبرير سيناريو الدفاع عن النفس بطريقة أخرى.

وفعليًا، وعلى الرغم من عدم وجود أى دليل إثبات وحقيقة أن صدام حسين العلمانى وبن لادن الأصولى يحتقر كل منهما الآخر، تنجح إدارة بوش فى أن تقنع ٤٠ فى المائة من الجماهير الأمريكية بوجود الارتباط فقط من خلال التأكيد عليه. وقد قالت الإدارة الشيء ذاته لجنودها، وهكذا ترى القوات العسكرية أنفسها بوصفها ذاهبة إلى العراق دفاعًا عن وطنها. وفى سيناريو الإنقاذ، الضحايا هم (١) الشعب العراقى و(٢) جيران صدام الذين لم يهاجمهم لكنه يُرى بوصفه مهدِّدًا لهم. وذلك هو السبب فى إلحاح بوش وباول على تعداد جرائم صدام ضد الشعب العراقى وعلى الأسلحة التى بمقدوره أن يستخدمها ضد جيرانه. ومرة أخرى يقبل معظم الشعب الأمريكى فكرة أن حرب العراق هى إنقاذ للشعب العراقى وحماية للبلدان المجاورة. وفى الواقع، فإن الحرب تهدِّد سلامة ورخاء الشعب العراقي.

ولماذا مثل هذه العداوة تجاه فرنسا وألمانيا؟ إذًا طبقًا لاستعارة الأمة بوصفها شخصًا، يفترض أن يكونا "صديقين" لنا، ويفترض فى الأصدقاء أن يكونوا داعمين وأن يسارعوا إلينا ويساعدونا حين نحتاج المساعدة. ويفترض فى الأصدقاء أن يكونوا أوفياء. وذلك يجعل فرنسا وألمانيا صديقين مخلصين في السراء فقط! وليس حين تحتاج إليهما.

إن هذه هى الكيفية التى تم بها تأطير الحرب للشعب الأمريكى من قبل الإدارة ووسائل الإعلام. فى حينَ يمكن لملايين من البشر حول العالم أن يروا أن الاستعارات والحكايات الخرافية المشار إليها لا تطابق الموقف الراهن، لأن حرب العراق لا تملك أهلية أن تكون حربًا عادلة – حربًا "شرعية". لكن إذا قبلت كل هذه الاستعارات، على نحو ما دفعت الإدارة والصحافة وغياب المعارضة الديموقراطية الفعَّالة أمريكيين كثيرين إلى أن يقبلوها ستبدو حينئذٍ حرب العراق فعليًا كحرب عادلة. لكن من المؤكَّد أن معظم الأمريكيين كُشفت لهم الحقائق – انعدام ارتباط معقول بين صدام والقاعدة، وعدم العثور على أسلحة دمار شامل، وفكرة أن أعدادًا كبيرة من المدنيين العراقيين الأبرياء سيقتلون أو يفقدون بعض أعضائهم بسبب قذائفنا. فلماذا لم يتوصلوا إلى النتيجة المنطقية؟.

إن إحدى الاكتشافات الأساسية للعلم المعرفى هى أن البشر يفكِّرون بناءً على أطرٍ **frames** واستعارات – أى بناءً على بنى تصورية **conceptual structures** مثل تلك التى نصفها. وتوجد هذه الأطر فى المشتبكات العصبية **synapses** لأمخاخنا، وتكون حاضرة فيزيقيًا فى شكل دوائر كهربية عصبية **neural circuitry**. وحين لا توافق الوقائع **facts** الأطر **frames** يتم الاحتفاظ بالأطر ويتم تجاهل الوقائع. وهناك نظرية شعبية شائعة لدى التقدميين وهى أن "الوقائع ستحرِّرك" لو استطعت فقط أن تضع كل الحقائق أمام أعين الجماهير، حينئذٍ سيصل كل شخص عاقل إلى الاستنتاج السليم. إلا أنه أمل بلا طائل. ذلك أن الأمخاخ البشرية لا تعمل بهذه الطريقة. فالتأطير يؤثِّر كثيرًا. وما أن تترسخ الأطر حتى يصعب التخلص منها.

لقد بدأ كولن باوول الشهادة أمام الكونجرس في حرب الخليج. وشرح نموذج الفاعل العقلاني للكونجرس، وقدَّم شرحًا موجزًا لرؤى الجنرال

البروسي كلوزيفتز حول الحرب: وهي أن الحرب عمل تجاري **business** والسياسات تُنفَّذ بوسائل أخرى. إن الأمم تسعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة، وهي تستخدم حين يكون ضروريًا القوة العسكرية في خدمة مصالحها الخاصة. وهذا طبيعي وشرعي في آن واحد. وبالنسبة لإدارة بوش، فإن هذه الحرب تُعزِّز مصلحتنا الخاصة في السيطرة على تدفق إمدادات النفط من ثاني أكبر احتياطي عالمي معروف وأن نكون في موقع السيطرة على تدفق النفط من وسط آسيا.

وهذا يضمن الهيمنة على الطاقة على امتداد منطقة مهمة من العالم. وتستطيع الولايات المتحدة بذلك أن تتحكم في مبيعات النفط حول العالم. وفي ظل غياب تطوير وقود بديل، فإن أي طرف يسيطر على توزيع النفط في العالم يسيطر على السياسة والاقتصاد.

إن مقالي في عام ١٩٩٠ لم يمنع حرب الخليج. كما أن هذا المقال لن يوقف حرب العراق. فلماذا إذًا هذا الإزعاج؟ أعتقد أنه من المهم أهمية حاسمة أن يتم فهم الأبعاد المعرفية للسياسة – خصوصًا حين يكون معظم تأطيرنا التصوري لا واعيًا ويمكن ألا نكون مدركين لتفكيرنا الاستعاري. لقد ظل يشار إليَّ بوصفي "ناشطًا معرفيًا"، وأتصور أنه وصف يوافقني تمامًا. وبوصفي أستاذًا فإنني أمارس تحليل القضايا اللغوية والتصورية في السياسة، وأحللها بقدر ما أستطيع من دقة. إلا أن ذلك الفعل التحليلي هو فعل سياسي. والوعي يعني الكثير. إذ إن القدرة على مفصلة ما يجري يمكنها أن تغير ما يجري – على الأقل على المدى البعيد.

إن هذه الحرب ليست إلا عرضًا لمرض أوسع انتشارًا. فالحرب ستنشب سريعًا. وسيتجدَّد القتال قريبًا. فأين ستكون الحركة المناهضة للحرب آنذاك؟

١. أولاً، إن الحركة المناهضة للحرب، كما ينبغي لها أن تُفهَم، ليست فقط، أو حتى بالأساس، حركة ضد الحرب. بل إنها حركة ضد الاتجاه الشامل الذي تتحرك فيه إدارة بوش.

٢. ثانيًا، لكيما تكون حركة من هذا النوع فعَّالة فإنها تحتاج أن تقول بوضوح ما تؤمن به وليس فقط ما هي ضده.

٣. ثالثًا، يجب أن تكون لديها رؤية أخلاقية معبَّر عنها بوضوح، مصحوبة بالقيم التي تحدِّد توجهها السياسي وليس مجرَّد مصالح.

٤. وعندما تنشب الحرب، ينبغي علينا أن نتطلع إلى تحويل الحركة المناهضة للحرب إلى حركة تعبِّر بقوة عن القيم التقدمية وتدفع أمتنا نحو تحقيق تلك القيم. لقد أطلقت الحرب النقاش حول القيم. فدعونا نواصله.

# (٦)

# خيانة الأمانة: مجاوزة الكذب

**١٥ سبتمبر ٢٠٠٣**

إن السؤال حول الكذب مازال يطرح نفسه. هل الرئيس وكبار مستشاريه يكذبون؟ إلا أننى أعتقد أنه من الخطأ أن يُطرح هذا السؤال. ذلك أن القضية الحقيقية هى خيانة الثقة betrayal of trust.

لقد انْتُقِد الرئيس على التبريرات التالية التى قدَّمها لحرب الخليج. لقد ذهبنا إلى الحرب في العراق لأن صدام حسين امتلك أسلحة دمار شامل تهدِّدنا. وقد كان يعيد بناء برامج أسلحته النووية (أنابيب الألومنيوم، واليورانيوم المجلوب من أفريقيا). كما أن لديه مخزونات هائلة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية التى يمكن إطلاقها بشكل سريع بوسائل نقل جوية والتى تهدِّد الولايات المتحدة.

وقد كان صدام يعمل مع القاعدة. لقد "درَّب العراقيون أعضاء القاعدة على صنع القنابل والمواد السامة والغازات القاتلة". ويتضح أن كل هذه الاتهامات ليست سوى أكاذيب falsehoods. إذ لم تكن هناك إمكانية لاستخدام الأنابيب لتخصيب اليورانيوم، ولم يتم العثور على يورانيوم فى أى مكان، ولم تكن هناك برامج أسلحة نووية أعيد بناؤها. كما أن المخزونات الضخمة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية لم يتم العثور عليها، وحتى لو وجدت الآن فقد فات تمامًا أوان استخدامها.

وكذلك فإن وسائل النقل الجوى لا يمكنها أن تمضى أكثر من بضع مئات من الأميال ولا يمكنها أن تهدِّد الولايات المتحدة. فضلاً عن أنه لم يوجد أى دليل على وجود أية

صلة بين صدام وهجوم القاعدة على الولايات المتحدة، أو أنه كان هناك أى تعاون بين صدام والقاعدة، على الرغم من أن ٧٠٪ من الأمريكيين يصدّقون ذلك، طبقًا لما كشف عنه استطلاع رأى أخير للواشطن بوست، وربما أن هناك نسبة أعلى من الرجال والنساء فى الجيش تعتقد ذلك.

لقد استخدمت خطبة الرئيس بوش فى ٧ سبتمبر ٢٠٠٣ لغة تحوى نفس التضمينات. "لقد عملنا أولاً فى أفغانستان، على تدمير معسكرات تدريب الإرهاب، واستئصال النظام الذى أوى القاعدة ... وقد عملنا فى العراق، حيث كان يرعى النظام السابق الإرهاب ويملك ويستخدم أسلحة الدمار الشامل... لقد أخبرتُ الكونجرس وأمريكا منذ عامين أن الحرب على الإرهاب ستكون حربًا ممتدة فى طولها، نوعًا مختلفًا من الحرب، حربًا تُخاض على جبهات عديدة وفى أماكن عديدة. والعراق الآن هى الجبهة المحورية".

وها هو الانطباع الذى يتخلف على أثر هذا لدى الكثرة العريضة من الأمريكيين، خصوصًا لدى رجالنا ونسائنا فى الجيش ولدى عائلاتهم: لقد ذهبنا إلى الحرب فى العراق، أولاً لندافع عن بلدنا ضد الإرهابيين، ثانيًا لنحرّر ذلك البلد (العراق) بإيثار، وبتضحيات عظيمة، وليس بسبب المصلحة الذاتية.

إن هذه الانطباعات انطباعات زائفة، والرئيس يستمر فى خلقها وتعزيزها.

هل هى أكاذيب أم أنها مجرّد مبالغات **exaggerations**، عبارات مضللة **misleading statements**، أخطاء **mistakes**، تزيدات بلاغية **rhetorical excesses** وما إلى ذلك؟ إن اللغويين يدرسون مثل هذه الأمور إلا أن الاكتشاف الأكثر إدهاشًا هو أن الاعتبار الأقل أهمية لدى معظم الناس فى معاينة إذا ما كانت عبارة ما هى كذبة **a lie** هو هل هى صادقة أم لا! إذ إن الاعتبارات الأكثر أهمية هى : هل يصدق ما يقوله؟ **Did he believe it** هل يتعمد الخداع؟ هل كان يحاول أن يحقّق منفعة ما أو أن يؤذى أحدًا آخر؟ هل الموضوع خطير أم تافه؟ هل هو مجرّد مسألة بلاغة سياسية؟ وسيسلّم معظم الناس أنه حتى لو حدث أن العبارة كانت كاذبة، وقائلها يصدّقها ولم يكن يحاول أن يخدع، ولم يكن يحاول أن يحقّق منفعة أو يؤذى أى شخص، فإنه حينئذٍ لا يكون هناك كذب.

وإذا كانت هناك كذبة فى خدمة قضية خيرة، إذًا فإنها كذبة بيضاء **a white lie** . وإذا كانت مبنية على معلومات خاطئة، إذًا فقد كانت خطأ صادقًا **an honest mistake** . وإذا كانت موجودة فحسب من أجل التشديد، إذًا فإنها مبالغة **an exaggeration**.

وقد كانت هذه التبريرات من بين دفاعات الإدارة. إن القضية الخيرة **the good cause**: تحرير العراق. والمعلومات الخاطئة: من وكالة المخابرات المركزية. والتشديد: حماس للقضية الخيرة. حتى على الرغم من أنه توجد أدلة على أن الرئيس ومستشاريه كانوا يعرفون أن المعلومات كاذبة، فإنهم يستطيعون أن يحرفوا استخدام الكلام الكاذب.

وقد تم كشف الأكاذيب، وهي، فى ذاتها، لا تعنى الكثير لمعظم الناس.

إلا أن الكذب فى ذاته ليس هو القضية ولا ينبغى أن يكون هو القضية. بل إن القضية الحقيقية هى خيانة الثقه (الأمانة) **trust** . فمؤسساتنا الديموقراطية تتطلب الثقة. إذ حين يطلب الرئيس من الكونجرس أن يوافق على الحرب، وهو أصعب قرار أخلاقى يمكن أن يتخذه، لا بد من أن يكون الكونجرس قادرًا على أن يثق فى المعلومات المقدَّمة إليه من الإدارة. وحين يطلب الرئيس من رجالنا ونسائنا أن يضعوا أرواحهم على خط النار لسبب ما، فإنهم لا بد من أن يكونوا قادرين على أن يثقوا فى أن السبب الذى قدَّمه صادق. إنها خيانة من الرئيس للثقة أن يطلب من جنودنا أن يخاطروا بحيواتهم تحت إدعاءات كاذبة. وحين يطلب الرئيس من الأمريكيين أن يضعوا أبناءهم وبناتهم فى طريق الأذى وأن ينفق أموالاً كان يمكن أن تُنفَق لصالح المدارس والرعاية الصحية ولمساعدة المحتاجين، ولإعادة بناء البنية التحتية المتآكلة، ولتنشيط الاقتصاد فى الأوقات الصعبة، فإنها خيانة للثقة من الرئيس أن يعطى انطباعات كاذبة.

إن ما لم يقل فى خطبة الرئيس فى ٧ سبتمبر دال. لقد طلب المساعدة من الدول الأخرى، إلا أنه رفض أن يتخلى عن السيطرة على تشكيل مستقبل العراق العسكرى والسياسى والاقتصادي. وقد كانت القضية الخاصة بتلك السيطرة إلى حد كبير هى ما دفع إلى رفض مجلس الأمن للمشاركة فى الهجوم والاحتلال الأمريكي.

وقد نبع السبب فى الاستياء من الولايات المتحدة، سواء فى أوروبا أو أماكن أخرى، من الإدراك الممتد على نطاق واسع أن المصالح الأمريكية تكمن بلا ريب وراء غزو العراق. وتتمثَّل تلك المصالح فى سيطرة الشركات الأمريكية على الاقتصاد العراقي، والتشكيل السياسي للعراق على النحو الذى يوافق المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للولايات المتحدة، والقواعد العسكرية لتعزيز قوة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، واقتلاع عدو مهم من أعداء اسرائيل، وإعادة هيكلة أرباح شركات الولايات المتحدة، والسيطرة على مستقبل ثانى أكبر احتياطى عالمى من النفط، وتعزيز وتسويق الأرباح بالنسبة لشركات النفط الأمريكية والبريطانية. أما الشعب العراقى فلن يجنى أرباحًا إلا من بيع النفط الخام لتذهب تلك الأرباح فى جانبها الأساس إلى شركات أمريكية مثل هاليبرتون **Halliburton** لسداد فاتورة إعادة الإعمار. بعبارة أخرى، يبدو كأن الحرب كانت من أجل سيطرة طويلة الأمد للولايات المتحدة على الشرق الأوسط، ومن أجل المصلحة الخاصة للشركات الأمريكية، وليست حرب تحرير إيثارية **a selfless war of liberation**. إننا نرى هذا فى حِجَاجات الإدارة المتمثلة فى أنه بما أن الولايات المتحدة تريق دماء جنودها وتنفق البلايين فإن من حقها تلك الغنائم الخاصة بالحرب. وليس هذا حِجَاجًا ناتجًا عن الإيثار **selflessness**. بل إنه حِجَاج استثماري: لقد كانت الحرب استثمارًا باهظ التكلفة **an expensive investment**، والولايات المتحدة تستحق عوائد استثمار الحيوات والأموال. إن مثل هذه النوعية من الحُجَج تجعل الحرب تبدو مثل مشروع تجارى لتحقيق مكاسب ذاتية أكثر جدًا مما تبدو حرب دفاع عن النفس وإيثارٍ للتحرير خالصة.

وإذا كان المنطق الحقيقى الحاكم لحرب العراق هو سيطرة المصلحة الذاتية — على منابع النفط والاقتصاد الإقليمي، والنفوذ السياسى والقواعد العسكرية — إذا لم تكن دفاعًا عن الذات ولم تكن تحريرًا إيثاريًا، إذًا فإن الرئيس بوش قد خان ثقة جنودنا والكونجرس والشعب الأمريكي. إن الكذب الخالص مسألة ثانوية حين تكون الخيانة هى القضية.

# القسم الثانى

# من النظرية إلى الفعل

# (٧)
# ماذا يريد اليمين

يوجد عدد من التنويعات الأساسية على أيديولوجيا الجناح اليميني. وكل واحدة من هذه التنويعات هى نسخة من نسخ أخلاقيات الأب الصارم. وبعض النسخ محدَّدة بمجال معين. إن أخلاقيات الأب الصارم المطبَّقة فى مجالات الدين والاستثمار والحياة الاجتماعية اليومية تميِّز المحافظين دينيًا وماليًا واجتماعيًا. ويحدِّد التركيز على متابعة المصلحة الذاتية التى لا يعوقها شيء – ومعها الحدود القصوى على قوة الدولة على الفرد – الموروث التحررى لفكر الجناح اليميني. وماذا عن المحافظين الجدد؟ بقدر ما يمكننى أن أرى، فإن المحافظين الجدد يؤمنون باستخدام القوة المطلقة العنان the unbridled use of power (بما فى ذلك قوة الدولة) ليوسِّعوا نطاق سيطرة قيم وأفكار الأب الصارم فى كل مجال من المجالات، المحلية والدولية. ويهتم المحافظون الجدد اهتمامًا شديدًا بالأفكار، ويميلون إلى أن يكون لديهم موروث ذهنى an intellectual strain. وهم أحيانًا يتصدون لأصحاب النزعة التحررية الذين يعترضون على استخدام السلطة الحكومية. وأخيرًا، يوجد محافظون محاربون يعرِّفون أنفسهم بوصفهم محاربين على كل جبهة من جبهات الحرب الثقافية ضد الليبراليين والتقدميين وإجمالاً، فإن الجناح اليمينى يحاول فرض أيديولوجيا الأب الصارم على أمريكا و، فى النهاية، على بقية العالم. وعلى الرغم من أن التفاصيل تختلف بعض الاختلاف طبقًا لكل نمط من أنماط المحافظين، إلا أنه توجد توجهات عامة. وإن كان الكثير من التقدميين يستخفون تمامًا بإلى أى مدى تعد هذه الأيديولوجية أيديولوجية راديكالية. وها هو استعراض لما يبدو أن الجناح اليمين يضعه فى ذهنه.

**اللـــــه**. يبدأ العديد من المحافظين برؤية للـه تجعل الأيديولوجية المحافظة تبدو طبيعية **natural** وخيرة فى آن واحد. إن اللـه هو الخير المطلق وقوى قوة مطلقة، وعلى قمة تراتبية طبيعية ترتبط فيها الأخلاق بالقوة. واللـه يريد أن يكون البشر الأخيار هم القائمون على الأمور. وتتم مكافأة الفضيلة بالقوة. ولذلك فإن اللـه يريد مجتمعًا تراتبيًا توجد فيه سلطات أخلاقية ينبغى أن تطاع.

كما أن اللـه يضع القوانين – الأوامر – المحدِّدة للصواب والخطأ. ويجب على المرء أن يتحلى بالانضباط ليتبع أوامر اللـه. واللـه شديد العقاب: إنه يعاقب أولئك الذين لا يتبعون أوامره، ويكافئ أولئك الذين يتبعونها. واتباع قوانين اللـه يتطلب الانضباط. وأولئك الذين يكونون منضبطين الانضباط الكافى لأن يكونوا أخلاقيين يكونون منضبطين أيضًا بما يكفى لأن يصبحوا راغدين **Prosperous** وأقوياء **powerful** إن اللـه هو الأب الصارم الأصلى **the original strict father**.

والمسيح، بوصفه المخلِّص، يمنح الخطاة فرصة ثانية – فرصة أن يولدوا من جديد وأن يصبحوا مطيعين لأوامر اللـه هذه المرة.

**النظام الأخلاقي**. إن علاقات القوة التقليدية يُنظَر إليها بوصفها هى المحدِّدة لأى نظام أخلاقي: اللـه فوق الإنسان، والإنسان فوق الطبيعة، والراشدون فوق الأطفال، والثقافة الغربية فوق الثقافة غير الغربية، وأمريكا فوق الأمم الأخرى. ويمتد النظام الأخلاقى فى معظم الأحيان ليصبح الرجال فوق النساء، والبيض فوق غير البيض والمسيحيون فوق غير المسيحيين والأسوياء **straights** فوق اللوطيين **gays**.

**الأخلاقية**. إن الحفاظ على النسق الأخلاقى المحافظ وتمديده (أخلاقية الأب الصارم) هو الأولوية الأعلى.

وتأتى الأخلاقية فى شكل قواعد أو أوامر تضعها سلطة أخلاقية. وأن تكون أخلاقيًا يعنى أن تكون مُطيعًا لتلك السلطة. وهو ما يتطلب انضباطًا داخليًا للسيطرة على رغبات المرء الطبيعية وأن يتبعوا بدلاً من ذلك سلطة أخلاقية.

إن الانضباط يتم تعلمه فى الطفولة بشكل أساس من خلال العقاب على السلوك الخاطئ. ولا يمكن الحفاظ على الأخلاق إلا من خلال منظومة المكافآت والعقوبات.

**الاقتصاد.** إن التنافس على الموارد النادرة يفرض أيضًا الانضباط؛ ومن ثم فإنه يخدم الأخلاقية. والانضباط المطلوب لتكون أخلاقيًا هو ذاته الانضباط المطلوب لكى تكسب المنافسات وتزدهر. كما أن الأشخاص الأثرياء يميلون إلى أن يكونوا أشخاصًا أخيارًا، صفوة طبيعية a natural elite – أما الفقراء فيظلون فقراء لأنهم يفتقرون للانضباط

المطلوب لكي يزدهروا. ولذلك، فإن الفقراء يستحقون أن يكونوا فقراء وأن يخدموا الأثرياء. والأثرياء يحتاجون ويستحقون أن يخدمهم أولئك الأشخاص الفقراء. ولذا، فإن الفجوة الشاسعة والمتزايدة بين الأثرياء والفقراء تُرَى بوصفها فى آن واحد طبيعية ونافعة.

وبقدر ما تكون الأسواق "منفتحة" "free"، بقدر ما تشكّل آلية للأشخاص المنضبطين (الأخيار طبقًا للصورة النمطية) أن يوظّفوا انضباطهم ليراكموا الثروة. فالأسواق المفتوحة free markets أخلاقية: إذ لو أن كل شخص تتبّع منفعته الخاصة، لبلغت منفعة الجميع حدها الأقصى. إن التنافس جيد: إنه ينتج الاستخدام الأمثل للموارد، والبشر المنضبطين ومن ثم يخدم الأخلاق. أما التنظيم فسيّء؛ لأنه يقف فى طريق التتبّع الحر للمنفعة. فى حين أن الأشخاص الأثرياء يخدمون المجتمع باستثمارهم وتوفير وظائف للأشخاص الأفقر. ومثل هذا التقسيم للثروة يخدم فى النهاية الخير العام، لأنه يكافئ المنضبطين ويجعل غير المنضطين مجبرين إما أن يتعلموا الانضباط أو أن يكابدوا.

**الحكومة.** إن البرامج الاجتماعية لا أخلاقية. ذلك أن البرامج الاجتماعية بمنحها الناس أشياء لم يكسبوها بأنفسهم تزيل الحافز لديهم في الانضباط الذى هو ضرورى لكل من الأخلاقية والازدهار. ولذلك ينبغى أن يتم إلغاء البرامج الاجتماعية. وأى شيء يمكن فعله عن طريق المحيط الخاص ينبغى القيام به. إن للحكومة أدوارًا معينة خاصة بها، وهي: أن تحمى أرواح الأمريكيين وملكياتهم الخاصة، وأن تجعل السعى إلى تحقيق

المنفعة من أسهل ما يمكن بالنسبة للأمريكيين الأثرياء (الأمريكيين المنضبطين)، وأن تنشر الأخلاقيات المحافظة (أخلاقيات الأب الصارم) والدين.

**التعليم**. بما أن الحفاظ على الأخلاقيات المحافظة وتمديدها هو الهدف الأسمى، فإن التعليم ينبغي أن يخدم هذا الهدف – ويجب على المدارس أن تعلِّم القيم المحافظة. وينبغي أن يسيطر المحافظون على إدارات المدارس ليضمنوا هذا. كما يجب على المدرسين أن يكونوا صارمين، وليسوا راعين nurturant، في المثل الذى يضربونه للطلاب وفى المحتوى الذى يدرِّسونه. ولذلك ينبغى على التعليم أن يعزِّز الانضباط، وينبغى أن تتم معاقبة الطلاب غير المنضبطين. كما ينبغى معاقبة الطلاب الجامحين عقابًا جسديًا (على سبيل المثال، الضرب بالعصا paddling)، ولا ينبغى تدليل الطلاب غير المنضبطين فكريًا، بل ينبغى إخجالهم وعقابهم بعدم تشجيعهم على التمادي. وينبغى أن يقيس التفتيش على الزى الموحَّد مستوى الانضباط. وهناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة وينبغى أن يُمتحنوا فيها. والامتحان يظهر الإنصاف: من ينجحون تتم مكافأتهم، وغير المنضبطين بما يكفى لكى ينجحوا يتم عقابهم. ولأن الأطفال غير المنضبطين، اللا أخلاقيين يمكنهم أن يفسدوا الأطفال المنضطين الأخلاقيين، يجب على الآباء أن يكونوا قادرين على أن يختاروا المدرسة التى يرسلون إليها أطفالهم. وينبغى أن تحول ميزانية المدارس الحكومية إلى الآباء فى صور قسائم مالية vouchers إذ سيساعد هذا المواطنين الأكثر ثراء (الأكثر انضباطًا وخُلقًا) أن يرسلوا أطفالهم إلى مدارس خاصة ودينية تعلِّم القيم المحافظة وتفرض الانضباط الواجب. فى حين أن القسائم المعطاة للعائلات الأفقر (الأقل انضباطًا والأقل جدارة) لن تكون كافية أن تسمح لهم أن يرسلوا أطفالهم إلى المدارس الخاصة والدينية الأفضل. وهكذا سيتاح للمدارس أن تعكس التوزيعات الطبيعية للثروة فى المجتمع. وبالطبع، ينبغى أن يمنح الطلاب الذين يظهرون انضباطًا وموهبة استثنائيين منحًا للالتحاق بالمدارس الأفضل. وسيساعد هذا أن تبقى الصفوة الاجتماعية بوصفها صفوة طبيعية.

**الرعاية الصحية**. إن مسئولية الآباء هى أن يرعوا أطفالهم. وحين لا يستطيعون فإنهم لا يضطلعون بمسئوليتهم الفردية ولا تقع مسئولية أداء واجبات الأشخاص الآخرين

على عاتق أحد. وهكذا فإن رعاية ما قبل وما بعد الولادة، والرعاية الصحية للأطفال ورعاية المسنين والعاجزين كلها أمور خاصة بالمسئولية الفردية. فهي ليست مسئولية دافعي الضرائب.

**الزواج المثلي والإجهاض.** إن الزواج المثلي لا يوافق نموذج أسرة الأب الصارم، بل إنه يصطدم به مباشرة. فزواج السحاقيات لا أب فيه. وزواج اللوطيين فيه "آباء" دون مستوى الرجال الحقيقيين. وبما أن الحفاظ على نموذج الأب الصارم وتمديده هو القيمة الأخلاقية الأسمى للمحافظين، فإن الزواج المثلي يشكل هجومًا على النسق القيمي المحافظ ككل، وعلى أولئك الذين تعتمد هويتهم الذاتية على امتلاكهم لقيم الأب الصارم.

كما يعمل الإجهاض بشكل مشابه. إذ توجد حالتان نمطيتان تحتاج فيهما بعض النساء الإجهاض: مراهقات غير متزوجات مارسن جنسًا "غير شرعي"، ونساء أكبر يردن أن يؤجِّلن تربية الأطفال ليواصلن مسارهن المهني. وكلا هاتين الحالتين تتحدى نموذج الأب الصارم. فالمراهقات الحوامل ينتهكن أوامر الأب الصارم. كما أن النساء المفضِّلات لمسارهن المهني يتحدين قوة وسلطة الأب الصارم. وينبغي عقاب كلا النوعين من النساء بالإبقاء على حمل الطفل: ولا ينبغي أن يكن قادرات على التنصل من عواقب أفعالهن، وهو ما سينتهك فكرة نموذج الأب الصارم الخاصة بأن الأخلاق تعتمد على العقاب.

وبما أن القيم المحافظة بعامة هي نسخ من قيم الأب الصارم، فإن الإجهاض يمثِّل بوصفه تهديدًا للقيم المحافظة ولهوية الشخص المحافظ كشخص محافظ.

إن المحافظين "المناهضين للإجهاض" "pro-life" يقفون في معظمهم، كما رأينا، ضد رعاية ما قبل وما بعد الولادة وضد الرعاية الصحية للأطفال، والتي لكل منها تأثيرات سببية خطيرة على حياة الطفل. ولهذا، فإنهم ليسوا حقًا من أنصار الحياة بأي معنى من المعاني. إن المحافظين في معظمهم يستخدمون فكرة التخلص من الحمل كجزء من استراتيجية حرب ثقافية لينالوا المزيد من القوة السياسية ويحافظوا عليها.

إن الزواج المثلي والإجهاض ليس سوى مجرَّد عاكسين لقيم الأب الصارم العامة التي تحدِّد بالنسبة لملايين البشر هوياتهم كمحافظين. وذلك هو السبب في لماذا تُعد مثل هذه القضايا قضايا مثيرة للمشاعر بالنسبة للمحافظين.

ولكى نفهم هذا علينا ألا نتجاهل الألم الحقيقى والمشقة الحقيقية المتضمنين فى القرارات التى تتخذها نساء بأعيانهن للتخلص من الحمل. وبالنسبة لأولئك المهتمين حقًا بحياة وصحة الأطفال، فإن قرار إنهاء الحمل لأى سبب من الأسباب دائمًا ما يكون مؤلمًا ويمكن أن يوصف بأى وصف عدا أنه بسيط. وهذا الألم تحديدًا هو ما يستغله المحافظون حين يستخدمون إنهاء الحمل بوصفه قضية إسفينية فى الحرب الأهلية الثقافية التى يروّجون لها.

وإن كان هناك أيضًا أولئك الذين يناصرون الحياة ويناهضون الإجهاض بصدق، ويعتقدون أن الحياة تبدأ بالحمل، وأن الحياة هى القيمة المطلقة، والذين يؤيدون رعاية ما قبل وما بعد الولادة والتأمين الصحى للأطفال الفقراء، وتعليم الأطفال فى المراحل المبكّرة، ويعارضون عقوبة الإعدام والحرب وما شابه.

وهم أيضًا يدركون أن أية امرأة تختار إنهاء الحمل تتخذ قرارًا مؤلمًا، ويتعاطفون مع مثل هؤلاء النساء ويعاملونهن دون حكم سلبي. وهؤلاء عبارة عن تقدميين مناهضين للإجهاض – غالبًا من الكاثوليكيين الليبراليين. وهم ليسوا من المحافظين الذين يستخدمون مسأله إنهاء الحمل بوصفها إسفينًا سياسيًا لكسب التأييد لأجندة أخلاقية وسياسية أوسع.

**الطبيعة.** لقد منح الله الإنسان السيادة على الطبيعة. والطبيعة هى منبع الرخاء. وهى كائنة لتستخدم من أجل المنفعة الإنسانية.

**الشركات.** إن الشركات توجد لتوفّر للناس السلع والخدمات ولتحقّق أرباحًا للمستثمرين. وهى تعمل بكفاءة شديدة حين تحقّق أقصى حد من الفوائد. حين تكسب الشركات ويكسب المجتمع.

**اللوائح المنظمة.** إن اللوائح المنظّمة regulation التى تضعها الحكومة تقف فى طريق المشاريع الحرة، وينبغى تقليصها إلى أقصى حد.

**الحقوق.** إن الحقوق يجب أن تكون متوافقة مع الأخلاقيات وتعيِّن أخلاقيات الأب الصارم حدود ما يُنظر إليه بوصفه "حقّاً" a "right"

وبالتالي، لا يوجد حق فى الإجهاض، ولا حق فى الزواج المثلي، ولا حق فى الرعاية الصحية (أو أى مساعدة حكومية أخرى)، ولا حق فى أن تعرف كيف تقرِّر الإدارة السياسة، ولا حق فى إعانات الحياة وما شابه.

**الديموقراطية.** إن ديموقراطية الأب الصارم a strict father democracy ديموقراطية مؤسَّسية تعمل تحت مظلة قيم الأب الصارم. وهى تُعد ديموقراطية لأنها تُجرى انتخابات، ولديها حكومة ثلاثية

A tripartite government، وسيطرة مدنية على الجيش، وأسواق مفتوحة، وحريات مدنية أساسية، ووسائل إعلام متاحة على نطاق واسع. إلا أنه يُنظَر إلى قيم الأب الصارم بوصفها مركزية بالنسبة للديموقراطية – لتمكين الأفراد من تغيير حيواتهم ومجتمعهم من خلال تعقبهم لمصالحهم الفردية.

**السياسة الخارجية.** إن أمريكا هى السلطة الأخلاقية للعالم. وهى قوة عظمى لأنها تستحق أن تكون كذلك. وتتحدّد قيمها – القيم الحقة – بأخلاقيات الأب الصارم. إذ لو كان للعالم أن يوجد فيه نظام أخلاقي، فلا بد للسيادة الأمريكية والثروة والقوة والهيمنة الأمريكية أن تستمر، ولا بد للقيم الأمريكية ـ القيم الأسرية المحافظة، والسوق المفتوحة، والخصخصة، وإلغاء البرامج الاجتماعية، وهيمنة الإنسان على الطبيعة وما شابه ـ أن تنتشر فى جميع أرجاء العالم.

**الحرب الثقافية.** إن أخلاقيات الأب الصارم تحدِّد ما هو المجتمع الصالح. إلا أن المجتمع الصالح مهدَّد بالأفكار والبرامج الليبرالية والتقدمية. ولا بد من مواجهة هذا التهديد مهما كلَّف الأمر. إذ إن نسيج المجتمع نفسه معرَّض للخطر.

إن تلك هى المبادئ الأساسية. تلك هى الأفكار والقيم التى يريد الجناح.

اليمينى أن يرسيها، فلا أقل من ثورة راديكالية فى الكيفية التى تعمل بها أمريكا وبقية العالم. واشتعال الحرب الثقافية المثارة والمستمرة من قبل المحافظين ليس صدفة. إذ من أجل أن تحرز أخلاقيات الأب الصارم القوة السياسية وتحتفظ بها، فإن الشقاق disunity مطلوب.

أولاً، هناك الشقاق الاقتصادي، اقتصاد ذو إطارين two-tire economy مع بقاء الفقراء "غير الجديرين" "unworthy" poor فقراء وخدمة الأثرياء "المستحقين" the deserving" rich. لكن لكى يبقى المحافظون فى السلطة؛ فإنهم يحتاجون دعم الكثيرين من الفقراء. أى أنهم يحتاجون نسبة مهمة من الفقراء والطبقة الوسطى أن يصوِّتوا ضد مصالحهم الاقتصادية.

ويتحقق هذا لهم من خلال إدراك أن الكثيرين من المواطنين العاملين والبروتستانتيين الإنجيليين يعتنقون أخلاقية من أخلاقيات الأب الصارم داخل أسرهم و/أو حيواتهم الدينية.

ويدرك المثقفون المحافظون أن هذه القيم هى نفس القيم التى تحرِّك المُحافَظة السياسية ويدركون أيضًا أن المواطنين يصوِّتون لقيمهم وهوياتهم أكثر مما يصوِّتون لمصالحهم الاقتصادية الخاصة. وما يفعلونه هو أنهم يخلقون، بواسطة التأطير واللغة، رابطًا بين أخلاقيات الأب الصارم فى الأسرة والدين من جهة والسياسة المُحافظة من جهة أخرى. إن الرابط التصورى يجب أن يكون عاطفيًا قويًا جدًا؛ إلى حد أنه يمكن أن يتفوق على المصلحة الاقتصادية الخاصة.

ويظل منهجهم فى تحقيق هذا هو الحرب الأهلية الثقافية – حرب أهلية تُستخدَم فيها كل الأسلحة عدا الذخيرة الحية – لتحرِّض الأمريكيين المعتنقين لأخلاقيات الأب الصارم (الموصوفين بالمحافظين) ضد الأمريكيين المعتنقين لأخلاقيات الوالدية الراعية (الليبراليين البغيضين) الذين يُصوَّرون بوصفهم يهدِّدون أسلوب حياة المحافظين وهوياتهم الثقافية والدينية والشخصية. إلا أن قادة المحافظين السياسيين والفكريين يواجهون تحديًا فى تنفيذ أهدافهم. إذ إنهم يمثِّلون صفوة اقتصادية وسياسية. لكنهم

يسعون فى الوقت نفسه إلى الحصول على أصوات جماهير الطبقة الوسطى والدنيا العاملة. ولذلك، فقد احتاجوا أن يمثِّلوا الأفكار المحافظة بوصفها شعبية والأفكار الليبرالية / التقدمية بوصفها نخبوية على الرغم من أن العكس هو الصحيح. لقد واجهوا مشكلاً هائلاً فى التأطير، مشكلاً اقتضى تغييرًا فى اللغة اليومية والفكر اليومي. إلا أن أخلاقيات الأب الصارم منحتهم ميزة مهمة: إذ إنها تفترض أن الأثرياء يكسبون ثروتهم؛ لأنهم أناس أخيار يستحقونها. ومن خلال مفكِّرى مجموعاتهم البحثية وخبرائهم اللغويين وكتابهم ووكالات الإعلان ومختصيهم الإعلاميين، أحدث المحافظون ثورة فى الفكرة واللغة خلال فترة تتراوح من ثلاثين إلى أربعين عامًا. وقد وصموا الليبراليين (مع أن سياساتهم شعبية) بأنهم نخبويون متخاذلون وسفهاء غير وطنيين، ليبراليو الليموزين، ليبراليو القهوة بالحليب، ليبراليو جباية الضرائب والتبديد، ليبراليو هوليود، ليبراليو الساحل الشرقي، النخبة الليبرالية، الليبراليون الخرعون **wishy-washy liberals** وما شابه، وفى الوقت ذاته كانوا ينعتون المحافظين (الذين تفضّل سياساتهم الصفوة الاقتصادية) بأنهم شعبيون مرة أخرى عبر اللغة، بما فى ذلك لغة الجسد بداية من افتعال رونالد ريجان لتمسكه بأصول البلد المنحدر منه وصولاً إلى استخدام جورج بوش الابن لأسلوب جون واين المميز باستخدام ألفاظ محصورة فى الجنوب، إذ ظلت اللغة واللهجات ولغة الجسد وأشكال السرد المستخدمة لديهم هى تلك الخاصة بالقرويين الشعبيين. كما تبنت معظم برامجهم الإذاعية بكل من فيها من المحاربين – أسلوب الواعظين المبشِّرين بالجحيم. وإن كانت الرسالة هى ذاتها: الليبراليون البغيضون، المتخاذلون، النخبويون، السفهاء غير الوطنيين، يهدِّدون الثقافة والقيم الأمريكية، ويجب أن يُحارَبوا بقوة وبشكل دائم على كل الجبهات. إنهم تهديد لأمن الأمة والأخلاق والدين والأسرة، وكل شيء يعتز به الأمريكيون الحقيقيون. ومواقفهم فى القضايا الإسفينية – ملكية الأسلحة، الأطفال، الضرائب الزواج المثلي، تحية العلم – تكشف "خيانة" الليبراليين. إن القضايا الإسفينية **the wedge issues** ليست مهمة فى ذاتها، لكنها حيوية فيما تمثِّله: سلوك الأب الصارم تجاه العالم. وبدون الحرب الأهلية الثقافية، لا يمكن للمحافظين أن يفوزوا.

## (٨)

# ما الذى يوحِّد التقدميين

لا بد لنا لكيما نقارب ما يوحِّد التقدميين من أن نتساءل أولاً عمَّا يفرِّقهم. وها هى بعض المحدِّدات العامة التى تفرِّق التقدميين عن بعضهم البعض.

١. الاهتمامات المحلية

٢. المثالية في مقابل البراجماتية

٣. التغيير الراديكالى فى مقابل التغيير الهادئ

٤. التأييد النضالى فى مقابل التأييد المعتدل

٥. أنماط عمليات التفكير: نمط اقتصادى اجتماعي، ونمط سياسات الهوية **Identity politics**، ونمط المدافعين عن البيئة، ونمط المدافعين عن الحريات المدنية، ونمط الروحانيين ونمط المناهضين للتسلط **antiauthoritarian** (لمزيد من التفاصيل، انظر السياسة الأخلاقية **Moral Politics**)

إن البرامج تمثِّل مشكلاً أساسيًا بالنسبة لمحاولات الوحدة. إذ بمجرَّد ما أن يتم تحديد برنامج، حتى يتم طرح الاختلافات. فالتقدميون يميلون إلى الحديث حول البرامج.

إلا أن البرامج ليست هي ما يريد معظم الأمريكيين أن يعرفوه. بل إن معظم الأمريكيين يريدون أن يعرفوا ما تدافع عنه، هل قيمك هى قيمهم، ما هي مبادئك، وما هو الاتجاه الذى تريد أن تأخذ البلاد إليه. ففي الخطاب الجماهيرى تتفوق القيم على البرامج، وتتفوق المبادئ على البرامج، وتتفوق اتجاهات السياسة على البرامج. وأعتقد أن القيم والمبادئ

واتجاهات السياسة هى تحديدًا الأشياء التي يمكنها أن توحِّد التقدميين، إذا كانوا مهرة بالقدر الكافي. والسبب فى أنها تستطيع أن توحّدنا هى أنها تفوق تصوريًا كل الأشياء التى تفرِّقنا.

## الأفكار التى تجعلنا تقدميين

فيما يلى نقدِّم بيانًا مفصَّلاً لكل فكرة من تلك الأفكار الموحِّدة:

١. أولاً، القيم النابعة من رؤية تقدمية أساسية.

٢. ثانيًا، المبادئ التى تجسِّد القيم التقدمية.

٣. ثالثًا، اتجاهات السياسة التى تناسب القيم والمبادئ.

٤. رابعًا، فلسفة موجزة فى عشر كلمات تلخِّص كل ما سبق.

### الرؤية التقدمية الأساسية

إن الرؤية التقدمية الأساسية هى رؤية للمجتمع – رؤية لأمريكا بوصفها أسرة، أسرة راعية مسئولة. إن أمريكا التى نتصورها أمريكا يعتنى فيها البشر ببعضهم البعض، وليس فقط بأنفسهم، ويسلكون بمسئولية وبعزم وفعالية تجاه بعضهم البعض.

إننا جميعًا فى مركب واحد، الولايات الحمراء **red states** والولايات الزرقاء **blue states** (الولايات الحمراء هى الولايات التى تصوِّت غالبيتها للجمهوريين، والولايات الزرقاء التى تصوِّت غالبيتها للديموقراطيين، المترجم)، التقدميين والمحافظين، الجمهوريين والديموقراطيين. موحَّدين كما كنا للحظة قصيرة بعد ١١ سبتمبر مباشرة وليس مفرَّقين بحرب ثقافية مقيتة.

### منطق القيم التقدمية

إن القيم التقدمية الجوهرية هى القيم الأسرية – قيم الأسرة الراعية المسئولة.

### الرعاية والمسئولية، الممارسان بقوة.

إن هذه القيم الجوهرية تتضمن التشكيلة الكاملة للقيم التقدمية. وها هى تلك القيم التقدمية، بالإضافة إلى المنطق الذى يربطها بالقيم الجوهرية.

**الحماية، التحقق فى الحياة، الإنصاف.** حين ترعى البعض، فإنك تريد حمايتهم من الأذى، وتريد أن تتحقق أحلامهم، وتريد أن يعاملوا معاملة منصفة.

**الحرية، الفرصة، الازدهار.** لا يوجد تحقق fulfillment بدون حرية، ولا حرية بدون فرصة، ولا فرصة بدون ازدهار.

**المجتمع المحلى community، الخدمة، التعاون.** إن الأطفال تشكّلهم مجتمعاتهم المحلية. والمسئولية تقتضى الخدمة والمساعدة لتشكيل مجتمعك. وهذا يقتضى التعاون.

**الثقة، الصدق، التواصل المفتوح** open communication. لا يوجد تعاون بدون ثقة trust، ولا ثقة بدون صدق honesty، ولا تعاون بدون تواصل مفتوح.

ومثلما تنبع هذه القيم من الرعاية caring والمسئولية responsibility، كذلك تنبع كل قيمة تقدمية أخرى من هذه القيم.

فالمساواة equality تنبع من التجرد fairness، والتقمص الوجدانى empathy جزء من الرعاية، والتنوع diversity جزء من التقمص الوجدانى والمساواة.

### المبادئ التقدمية

**الإنصاف** equity. هو ما يدين به المواطنون والأمة لبعضهم البعض. لو أنك تعمل بجد، العبْ طبقًا للقواعد، واخدمْ أسرتك ومجتمعك المحلى ووطنك، وحينئذٍ يجب على الوطن أن يوفِّر لك مستوى لائقًا من الحياة، وكذلك الحرية والأمن والفرصة.

**المساواة** Equality. افعلْ كل شيء ممكن لتضمن المساواة السياسية وتتجنب اختلالات توازن القوة السياسية.

**الديموقراطية**. وسِّعْ مشاركة المواطن إلى أقصى حد، وقلِّصْ تمركزات القوة السياسية والشركات والقوة الإعلامية إلى أقصى حد. وسِّعْ المعايير الصحفية إلى أقصى حد. أسِّسْ مبدأ أن يكون تمويل الانتخابات علنيًا. استثمرْ في التعليم العام. ضعْ الشركات تحت سيطرة المساهمين stakeholder control، وليس فقط سيطرة المالكين Stockholder control.

**حكومة من أجل مستقبل أفضل**. الحكومة تفعل ما يتطلبه مستقبل أمريكا ولا يستطيع أن يفعله القطاع الخاص – أو ما لا يفعله – بكفاءة أو أخلاقية أو بأي صورة من الصور. إنها وظيفة الحكومة أن تنشر وأن توفِّر بقدر ما يمكن الحماية الكافية والمزيد من الديموقراطية والمزيد من الحرية، وبيئة أفضل وازدهارًا أكبر، ورعاية صحية أرقى، وتحققًا أعظم في الحياة، وتحجيم العنف وبناء بنية تحتية عامة وصيانتها.

**الأعمال الاستثمارية الأخلاقية**. إن قيمنا تنطبق على الأعمال الاستثمارية. ولا ينبغي للمشاريع الاستثمارية، ضمن عملية كسب الأموال من خلال الإمداد بالسلع والخدمات أن تؤثِّر تأثيرًا عكسيًا على الخير العام، كما تحدِّده القيم السابقة المشار إليها.

**سياسة خارجية مبنية على القيم**. إن نفس القيم الحاكمة للسياسة الداخلية ينبغي أن تُطبَّق على السياسة الخارجية كلما أمكن. وها هي بعض الأمثلة القليلة التي تترجم فيها السياسة الداخلية التقدمية إلى السياسة الخارجية:

١. تُترجم الحماية إلى قوة عسكرية فعَّالة للدفاع وحفظ السلام.

٢. يُترجم بناء مجتمع محلي قوي والحفاظ عليه إلى بناء تحالفات قوية والحفاظ عليها والانخراط في دبلوماسية فعَّالة.

١

٣. تُترجم الرعاية والمسئولية إلى الرعاية والسلوك بمسئولية تجاه سكان العالم، والصحة العالمية، والجوع والفقر والبيئة وتنظيم النسل (المنهج الأفضل المتمثل فى تعليم المرأة)، وحقوق المرأة والأطفال والمساجين واللاجئين والأقليات الإثنية.

إن كل هذه الأمور تشكّل اهتمامات لسياسة خارجية مبنية على القيم.

## اتجاهات السياسة.

يستطيع التقدميون فى ظل القيم والمبادئ التقدمية أن يتفقوا على اتجاهات السياسة. إن اتجاهات السياسة فى مستوى أعلى من السياسات المحدَّدة. إذ بينما ينقسم التقدميون حول تفاصيل السياسة المحدَّدة فإنهم يتفقون على الاتجاهات. وها هى بعض اتجاهات السياسة العديدة التى يتفقون عليها.

**الاقتصاد**. اقتصاد قائم على الابتكار يخلق ملايين من الوظائف بأجور جيدة ويوفِّر لكل أمريكى فرصة عادلة للازدهار.

**الأمن**. من خلال القوة العسكرية والتحالفات السياسية القوية والسياسة الداخلية والخارجية الحكيمة، سيكون كل أمريكى آمنًا فى الوطن، وسيتعزَّز دور أمريكا فى العالم بمساعدة البشر فى كل أنحاء العالم أن يحيوا حيوات أفضل.

**الصحة**. ينبغى أن يكون لدى كل أمريكى سبيل للتمتع بنظام رعاية صحية محتمل التكاليف وعصري.

**التعليم**. توفير نظام تعليم عام حيوى وجيد التمويل وواسع الانتشار، يقدِّم أرقى المستويات لكل طفل ومدرسة، يرعى فيها المعلِّمون عقول الأطفال وغالبًا الأطفال أنفسهم ويُعلَّم فيها الأطفال الحقيقة truth الخاصة بأمتهم – عجائبها ومثالبها.

**الطفولة المبكِّرة**. إن مخ كل طفل تصوغه بشكل حاسم الخبرات المبكِّرة. ولذا فإننا ندعم أن يكون التعليم فى الطفولة المبكِّرة تعليمًا من نوعية رفعية.

**البيئة.** نريد بيئة نقية وصحية وآمنة لأنفسنا ولأطفالنا: مياهًا يمكنك أن تشربها، وهواء يمكنك أن تتنفسه. وعلى ملوِّثى البيئة أن يُغرَّموا مقابل ما يتسببون فيه من أضرار.

**الطبيعة.** إن المفاتن الطبيعية لبلادنا يجب أن يُحافَظ عليها للأجيال القادمة.

**الطاقة.** إننا نحتاج أن نستثمر استثمارًا كبيرًا في الطاقة المتجدِّدة، من أجل توفير ملايين الوظائف التى تدفع أجورًا جيدة، والاستقلال عن نفط الشرق الأوسط، ومن أجل إجراء تحسينات في الصحة العامة، والحفاظ على بيئتنا، وبذل الجهد من أجل إيقاف ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية.

**الانفتاح.** إننا نحتاج حكومة منفتحة وذات كفاءة، حكومة عادلة تقول الحقيقة لمواطنينا وتكسب ثقة كل أمريكي.

**الحقوق المتساوية.** إننا ندعم الحقوق المتساوية فى كل منطقة فيها عرقية وإثنية وجندرية **gender** وتفضيل جنسى **sexual orientation**.

**الحمايات.** إننا ندعم الحفاظ على أشكال الحماية المختلفة للمستهلكين والعاملين والمتقاعدين والمستثمرين ونعمل على توسيعها.

إن هذه التوجهات السياسية وتوجهات أخرى عديدة سواها تنبع من قيمنا ومبادئنا.

**فلسفات من عشر كلمات:**

لقد اكتشف المحافظون قيمهم ومبادئهم وتوجهاتهم الخاصة، ولفظوها داخل العقل الجماهيرى **the public mind** بشكل فعَّال جدًا على مدار ثلاثين عامًا بحيث يمكنهم أن يستدعوها جميعًا فى فلسفة من عشر كلمات : الدفاع القوي، الأسواق الحرة، الضرائب الأقل، الحكومة الأصغر، القيم الأسرية. أما نحن المحافظين فلدينا فلسفة أخرى مختلفة من عشر كلمات، إلا أنها لن تكون ذات معنى حتى الآن لأنها ستستغرق منا فترة لنبرز قيمنا ومبادئنا وتوجهاتنا للعلن. وتعيينى لفلسفتنا ذات الكلمات العشر فى مقابل فلسفتهم هو الآتي:

| المحافظون | التقدميون |
|---|---|
| دفاع قوى | أمريكا قوية |
| أسواق حرة | ازدهار واسع النطاق |
| ضرائب أقل | مستقبل أفضل |
| حكومة أصغر | حكومة فعالة |
| قيم أسرية | مسئولية متبادلة |

إن **أمريكا أقوى** لا تخص فحسب الدفاع ولكن تتعلق بكل بعد من أبعاد القوة: فعاليتنا فى العالم، واقتصادنا، ونظامنا التعليمى ونظام رعايتنا الصحية، وأسرنا، ومجتمعاتنا المحلية، وبيئتنا وما شابه.

**الازدهار الواسع النطاق** هو الناتج الذى يفترض أن تحدثه الأسواق. لكن كل الأسواق تُبنى من أجل فائدة شخص ما، ولا توجد أسواق حرة تمامًا. إذ ينبغى أن تكون الأسواق مبنية من أجل ازدهار على أوسع نطاق ممكن وهى ليست كذلك.

إن الأمريكيين يريدون ويستحقون **مستقبلاً أفضل** – اقتصاديًا، وتعليميًا وبيئيًا، وفى كل مجالات الحياة الأخرى – من أجل أنفسهم ومن أجل أطفالهم. هذا فى حين أن تخفيض الضرائب، المستفيدة منه بالأساس الصفوة الفائقة الثراء، يمارس تأثيرًا فى إفلاس الصناديق المالية الخاصة بالبرامج التى ستجعل المستقبل الأفضل ممكنًا فى كل هذه المجالات. فالهدف الأصلى هو مستقبل أفضل لكل الأمريكيين.

أما الحكومة الأصغر فيفترض فيها، وفق الرعاية المحافظة، أنها تستأصل الإسراف. إلا أن الهدف منها فى حقيقة الأمر هو استئصال البرامج الاجتماعية.

**الحكومة الفعَّالة** هو ما نحتاج أن تنجزه حكومتنا لتخلق مستقبلاً أفضل.

إن القيم الأسرية المحافظة هى تلك الخاصة بأسرة الأب الصارم – الاستبدادية، الهيراركية، المكرَّس فيها كل إنسان لنفسه، القائمة على الانضباط والعقاب. هذا فى حين يحيى التقدميون بأفضل قيم العائلات والمجتمعات المحلية: **المسئولية المتبادلة** **mutual responsibility**، التى هى مسئولية موثوق فيها **authoritative** ومتساوية وثنائية الاتجاه ومبنية على الرعاية (الفردية والاجتماعية معًا) وعلى التماسك.

إن الشيء اللافت بالذات هو مقدار ما يتفق عليه التقدميون. وهذه تحديدًا هى الأشياء التى ينزع الناخبون إلى الاهتمام بها اهتمامًا بعيدًا: قيمنا، ومبادئنا، والوجهة التى نريد أن نأخذ الأمة إليها.

إننى أعتقد أن القيم التقدمية هى القيم الأمريكية التقليدية، وأن المبادئ التقدمية هى المبادئ الأمريكية الأساسية، وأن اتجاهات السياسة التقدمية تحدِّد الطريق الذى يريد معظم الأمريكيين بالفعل أن تمضى إليه بلدنا. إن مهمة توحيد التقدميين هى بالفعل مهمة تجميع بلدنا حول قيمها التقليدية الأروع.

# (٩)
# أسئلة متكررة باستمرار

إن أى نقاش موجز للتأطير والسياسة الأخلاقية سيترك العديد من الأسئلة بلا جواب. وهاهى أكثر لأسئلة التى طُرِحَت عليَّ شيوعًا.

**ثمة عدم تساوق an asymmetry بين** الأب الصارم strict father والوالدية الراعية nurturant parent **فلماذا الأول (الأب الصارم) مذكَّر، والثانى (الوالدية الراعية) محايد من حيث النوع gender-neutral؟**

إن الأدوار الذكورية والأنثوية فى نموذج الأب الصارم مختلفة جدًا، والأب هو الشخصية المركزية. فالأب الصارم هو السلطة الأخلاقية للأسرة، والشخص المنوطة به الأسرة، بينما ينظر إلى الأمهات بوصفهن "ماموات" "mommies" – يمكنهن أن يكن مُحِبَّات، لكنهن غير قادرات أن يحمين ويدعَّمن الأسرة ولسن صارمات بما يكفى لعقاب أطفالهن حين يرتكبون الأخطاء. ولنتأمل تعبير "انتظر حتى يعود بابا إلى البيت" الذى يشير إلى أب صارم.

ويُفترَض فى هذا النموذج للأب الصارم أن تدعم "الماموات" سلطة الأب الصارم، لكنهن غير قادرات أن يؤدين الوظيفة بأنفسهن. أما فى نموذج الوالدية الراعية the nurturant parent model، فلا يوجد تمييز نوعى (أى جندري) من هذا النوع. إذ كلا الوالدين موجودان ليرعيا أطفالهما ويربياهما ليصبحوا هم أيضًا راعين. ولا يعنى هذا أنه لن تكون هناك تقسيمات عمل قائمة على النوع تخص المنزل فى الحياة الواقعية، إلا أنها ليست ضمن نموذج الوالدية الراعية. إن هذه النماذج بالطبع عبارة عن صور نمطية

stereotypes – نماذج ذهنية مُؤمْثَلة idealized وناقصة وشديدة التبسيط oversimplified. وتختلف بالضرورة النماذج الذهنية من هذا النوع عن حالات العالم الواقعية: الأمهات الصارمات strict mothers، البيوت القائمة على أحد الوالدين، الآباء اللوطيين وما شابه.

**إن معلقين محافظين مثل ديفيد بروكس يشيرون إلى الجمهوريين بوصفهم "حزب الأب" the "daddy party" وإلى الديموقراطيين بوصفهم "حزب الأم" "mommy party" فهل توافق على هذا؟**

إن بروكس وآخرين يسلِّمون هنا باستعارة الأمة بوصفها أسرة، ويسلِّمون بأن نموذج الأب الصارم هو الكامن وراء السياسة الجمهورية المحافظة. ومع ذلك، فإن مثل هذا التشخيص بـ "حزب الأم" مبنى على تصور "الأم" فى نموذجهم المحافظ للأب الصارم. فما يعنونه بـ "حزب الأم" هو أنه على الرغم من أن الديموقراطيين يمكن أن يرعوا وأن يكونوا أناسًا محبين، إلا أنهم ليسوا أشداء ولا واقعيين بما يتيح لهم أن يؤدُّوا المهمة.

وهذا، بالطبع، غير دقيق تمامًا من منظور الديموقراطيين الليبرالي / التقدمي. لأن كلا الوالدين في الأسرة الراعية لا يرعيان فقط بل إنهما أيضًا مسئولان وقويان بما يكفى للنهوض بتلك المسئوليات – وهذا بعيد عن الكيفية التحقيرية التى يستخدم بها المحافظون كلمة الأم. بل إن الديموقراطيين قادرون على أن يوفِّروا الحماية والازدهار للأمة بنجاح.

ويبدو أن المحافظين لا يفهمون ما تدور حوله الأخلاقيات الراعية فى الأسرة والأمة على السواء إذ يحكمون على أية رؤية غير صارمة على أنها "إباحية" "permissive" هذا فى حين أن الوالدية الراعية nurturant parenting يمكن، بالطبع، أن تكون أى شيء آخر عدا كونها إباحية، فى ظل تشديدها على تعليم الأطفال أن يكونوا مسئولين عن أنفسهم ومتعاطفين ومسئولين تجاه الآخرين، وفى ظل تنشئتهم على أن يكونوا أقوياء ومعلَّمين تعليمًا جيدًا يتيح لهم أن ينهضوا بمسئولياتهم. إن المحافظين يحاكون الليبراليين محاكاة ساخرة بوصفهم إباحيين، بوصفهم داعمين لأخلاقيات الراحة a feel-good morality –

فعل ما يريح أيًا كان. إلا أن المحافظين تحديدًا لا يدركون الأمر. إذ يبدو أنهم يجهلون الفارق بين المسئولية والإباحية.

**إلى أى فترة زمنية تعود أفكار الصرامة والرعاية؟**

يبدو أنها تمتد بعيدًا جدًا جدًا فى التاريخ إذ إننا نعرف، على سبيل المثال، أنه كانت توجد فى انجلترا قبل أن يأتى البريطانيون ليحتلوا أمريكا جماعات دينية مثل الكويكرز **Quakers** الذين كانت لديهم رؤية راعية لله **a nurturant view of god** وجماعات مثل البوريتانيين (المتطهرين) **the puritans** الذين كانت لديهم رؤية الأب الصارم لله. وقد كانت مستعمرات نيو إنجلند بوريتانية بالأساس، على الرغم من أن جون وينثروب كانت لديه رؤية راعية للمستعمرة التى كان يؤسِّسها، وقد تواجدت الرؤية الراعية لله جنبًا إلى جنب مع الرؤية الصارمة فى هذا البلد منذ ذلك الحين.

وقد كتب هوراس بوشنل، فى القرن التاسع عشر حول "الرعاية المسيحية" ومنذ حقبة المطالبين بإلغاء العبودية **the abolitionists** وصولاً إلى عشرينيات القرن العشرين كان هناك نقاش حيوى للرؤية الراعية لله. وعلاوة على ذلك، فإن دارسى الدين يدلِّلون على أنه توجد

رؤى صارمة وراعية للدين تعود إلى أزمنة الكتاب المقدَّس وما قبل أزمنة الكتاب المقدَّس.

**هل يتضمن نموذج الأب الصارم أن المحافظين لا يحبون أطفالهم وهل يتضمن نموذج الوالدية الراعية أن التقدميين لا يؤمنون بالانضباط؟** والجواب هو لا على الإطلاق. ذلك أنه فى نموذج الأب الصارم يعد ضبط الطفل المقترف لخطأ ما من خلال إلحاق قدر كافٍ من الألم به شكلاً من أشكال الحب – "الحب القاسي" **"tough love"** إذ فى ظل الوعى بواجب فرض "حب الانضباط" **"loving discipline"**، من المسموح بالكثير من الأحضان وسلوكيات أخرى تعبِّر عن الحب، وغالبًا ما يُوصَى بأن تكون لاحقة للانضباط فهى مجرَّد مسألة مراعاة للأولويات.

أما فى نموذج الوالدية الراعية، فإن الانضباط لا ينشأ من خلال العقاب الجسدى المؤلم، وإنما من خلال تعزيز السلوك المسئول عبر المشاركة الوجدانية، مثال السلوك المسئول الذى يقدِّمه الوالدان، والنقاش المفتوح لما يتوقعه الوالدان (ولماذا يتوقعانه!) وفى حالة عدم التعاون، يتم التجريد من تلك الامتيازات التى تتوافق مع التعاون ("العزل لفترة محدودة!" "time out!" و"المنع من الخروج" "you are grounded").

فالطفل المربَّى من خلال الرعاية هو طفل حقَّق انضباطًا داخليًا إيجابيًا بدون العقاب الجسدى المؤلم. وهو ما يتحقَّق من خلال الإشارة بالتعاون، والإرشادات الواضحة والنقاش المفتوح والقدوة المتمثلة فى الوالدين اللذين يمارسان قيمهما الراعية فى الحياة.

## ما هى تعقيدات النموذجين؟

إن النموذجين، كما هما مناقشان فى الفصل السابع عشر من السياسة الأخلاقية **Moral Politics**، ينطويان على تعقيدات ملازمة لهما.

أولاً، يكاد يكون كلا النموذجين حاضرين لدى كل شخص فى الثقافة الأمريكية، سواء بشكل موجب أو بشكل سالب. على سبيل المثال، لكى تفهم فيلم جون واين **John Wayne**، يجب أن يكون نموذج الأب الصارم ماثلاً فى مخك، على الأقل بشكل سلبي.

قد لا تمارس حياتك من خلال هذا النموذج، لكنك تستطيع أن تستخدمه لتفهم سرديات الأب الصارم التى تتخلل ثقافتنا، مثلما تتخلل السرديات الراعية ثقافتنا كذلك.

ثانيًا، إن الكثير من الناس يستخدمون كلا النموذجين لكن في جوانب مختلفة من حيواتهم. على سبيل المثال، فإن محامية ما قد تكون صارمة فى قاعة المحكمة مع أنها راعية فى المنزل.

ثالثًا، فإنك قد تكون رُبِّيت تربية سيئة وفقًا لأحد النموذجين؛ ومن ثم رفضته. بل إن الكثير من الليبراليين عانوا من تربيات تعسة وفقًا لنموذج الأب الصارم.

رابعًا، هناك ثلاثة أبعاد طبيعية للاختلاف لتطبيق نموذج معين: بعد أيديولوجى / براجماتي، وبعد راديكالى / معتدل، وبعد الوسيلة / الغاية. إن كلاً من الأيديولوجيين التقدميين والمحافظين يمكنهم أن يكونوا متصلبين أو براجماتيين – مستعدين أن يساوموا على أى مقترح، إما لأسباب خاصة بإمكانية تشغيله على مستوى العالم الواقعى أو لأسباب خاصة بالحيوية السياسية.

إضافة إلى ذلك، فإن كلاً من التقدميين والمحافظين يتفاوتون داخل النطاقين الراديكالى / والمعتدل: من حيث مقدار التغير وسرعة التغير؛ ومن ثم فإن الأيديولوجيين المحافظين الراديكاليين غير مستعدين للمساومة ويصرون على أن يكون التغيير على أسرع وأكمل وجه ممكن. وبالصدفة، فإن كلمة المحافظين لا تعنى بالضرورة المحافظة على أى شيء. بل إنها تدور حول أخلاقيات الأب الصارم. ولا يوجد أى تناقض فى الحديث عن "المحافظين الراديكاليين" "radical conservatives". وفى الحقيقة، فإن روبرت ريتش Robert Reich، يستخدم مصطلح المحافظين الراديكاليين radcon ، فى كتابه الأخير العقل Reason، للحديث عن المحافظين الراديكاليين" radical conservatives. وانطلاقًا من هذا المنظور، فإن وصف "معتدل" "moderate" يمكن أن يطلق سواء على تقدمى أو محافظ يكون براجماتيًا و / أو يريد تغييرًا بطيئًا، شيئًا فشيئًا. ويقال أحيانًا إنه يوجد نموذج ثالث معتدل، مختلف جدًا عن النموذجين الآخرين، إلا أننى لم أرَ حتى الآن مثل هذا النموذج المقترح بوضوح.

كما أن ثمة تنويعة أخرى شائعة تظهر فى تمييز الغايات الوسائل. إذ هناك أشخاص سياستهم تقدمية (غاياتهم راعية) (nurturant ends) ووسائلهم وسائل الأب الصارم. وهؤلاء هم التقدميون المقاتلون the militant progressives – والحالة الأكثر تطرفًا هى حالة المتسلطين المناهضين للمتسلطين the authoritarian antiauthoritarians: تلك المؤسسات ذات الغايات التقدمية المناهضة للتسلطية وإن كانت مؤسّسات متسلطة تسلط الأب الصارم.

وأخيرًا، توجد أنماط – هي حالات خاصة – من التقدميين والمحافظين الذين ناقشناها في الفصل الأول: نمط التقدميين الاقتصاديين الاجتماعيين، ونمط التقدميين المدافعين عن سياسات الهوية، ونمط التقدميين المدافعين عن البيئة، ونمط التقدميين المدافعين عن الحريات المدنية ونمط التقدميين المناهضين للتسلطية، ونمط التقدميين المدافعين عن القيم الروحية؛ والأنماط المالية والاجتماعية والتحررية من المحافظين الجدد (انظر الفصل السابع) والمحافظين الدينيين – وهي جميعًا أمثلة للنموذجين الراعي والصارم، إلا أن كلاً منهما يحدِّد شكل التفكير المُسْتَخدَم.

## فكرة أن إعادة التأطير تبدو تلاعبية manipulative. كيف يختلف التأطير عن الالتواء (التلفيق) spin أو الدعاية؟

إن التأطير Framing ظاهرة اعتيادية ذلك أن كل جملة نقولها مؤطَّرة بطريقة ما. إذ إننا نستخدم الأطر التي نتصور أنها دقيقة نسبيًا حين نتحدث عما نعتقده. فحين يستخدم أحد المحافظين إطار "تخفيف الضرائب" "tax relief"، فإن هناك احتمالات أنه يعتقد، أو أنها تعتقد، بالفعل أن فرض الضرائب بلاء an affliction ومع ذلك، فإن الأطر يمكن أيضًا أن تُسْتخدَم بشكل تلاعبي manipulatively. على سبيل المثال، فإن استخدام "قانون السموات الصافية" "Clear Skies Act" لتسمية قانون يزيد تلوث الهواء هو استخدام لإطار تلاعبي a manipulative frame وهو مستخدَم ليغطي ضعفًا لدى المحافظين، أعني أن الجماهير لا تحب تشريعًا يزيد تلوث الهواء، ولذلك فإنهم يمنحونه اسمًا يوصِّل الإطار النقيض. وذلك تلاعب خالص pure manipulation.

إن لَي الحقائق spin هو استخدام تلاعبي للإطار. ويتم استخدام لي الحقائق حين يحدث أو يقال شيء محرج، وتكون هناك محاولة لضع إطار برئ an innocent frame عليه – أي أن تجعل الحدث المحرج يبدو طبيعيًا أو حسنًا.

وتعد الدعاية propaganda استخدامًا تلاعبيًا آخر للتأطير والدعاية هي عبارة عن محاولة لجعل الجماهير تتبنى إطارًا ليس حقيقيًا ومعروفًا أنه ليس صادقًا، بهدف تحقيق سيطرة سياسية أو الحفاظ عليها. أما إعادة التأطير التي أقترحها فليست ليًا للحقائق spin

ولا دعاية. ذلك أن التقدميين يحتاجون أن يتعلموا أن يتواصلوا من خلال استخدام الأطر التي يؤمنون بها فعلاً، الأطر التي تعبّر عما هي رؤاهم الأخلاقية فعلاً. إنني أعترض بقوة على أي تأطير مخادع **any deceptive framing** وأتصور أنه ليس فقط مدانًا أخلاقيًا، بل إنه أيضًا غير عملي، لأن التأطير المخادع **deceptive framing** عادة ما ترتد نيرانه عاجلاً أو آجلاً على مطلقيه.

## لماذا لا يستفيد التقدميون من القضايا الاسفينية؟

إن المحافظين يفكّرون في الاستخدام الاستراتيجي للأفكار، بينما لا يفعل ذلك التقدميون، مع أننا نستطيع فعل ذلك. إذ يمكننا أن نستخدم القضايا الإسفينية **wedge issues** على أتم وجه ممكن. وهي تحيط بنا من كل جانب. ولنأخذ موضوعًا مثل الهواء النقي والمياه النقية.

إن المحافظين يريدون هواءً نقيًا ومياهًا نقية. وهذا يمكن تحويله إلى قضية إسفينية.

ولنتخيل حملة من أجل مجتمعات خالية من السموم **poison-free communities** تبدأ بالزئبق بوصفه السم الأمثل للاختيار، ثم يتم الانتقال إلى أنواع أخرى من السموم في هوائنا ومياهنا، والمحيطة بنا بأشكال متعددة. إذ يمكن تحويل ذلك إلى قضية إسفينية فعّالة، تفصل المحافظين الذين يكترثون بصحتهم وصحة أطفالهم عن أولئك الذين يقفون ببساطة ضد إجراء الحكومة. فالقضية ذاتها تخلق إطارًا يؤيد فيه إجراء بعينه الصحة ويكون ضد إجراء آخر يُعرِّض الصحة للخطر.

وهذه أيضًا قضية زلقة متدحرجة **a slippery slope issue**. إذ بمجرَّد ما أن تنجح في أن تجعل الناس ينتبهون إلى كيف ومن أين يدخل الزئبق إلى البيئة — على سبيل المثال، من معالجة الفحم ومعالجة أنواع أخرى عديدة من الكيماويات — وأن تجعل الناس يفكّرون في تنقية البيئة من الزئبق والتسميم الزئبقي، وكيف يؤثّر في البيئة، حتى يمكنك أن تتحول إلى أنواع السموم الأخرى الواحد بعد الآخر.

إن هذه ليست مجرَّد قضية خاصة فقط بالزئبق أو السموم المنتشرة في البيئة، بل إنها خاصة بالأخلاقيات الراعية بعامة. فالقضايا الإسفينية عبارة عن أمثلة على نسق أخلاقي كامل.

إذ تعمل قضية مثل قضية الإجهاض كمثال على التحكم في حيوات النساء وكمثال على تراتبية أخلاقية يريد المحافظون أن يفرضوها. فالإجهاض، كما رأينا، شاهد على أخلاقيات الأب الصارم بعامة. كما توجد، بصورة مماثلة، كل أنواع القضايا الإسفينية التي يمكن أن تكون شواهد للأخلاقيات التقدمية بعامة.

## هل الدين محافظ بالفطرة؟ وهل المثل التقدمية متعارضة مع المعتقدات الدينية؟

إن المحافظين يجعلوننا نعتقد أن الأديان محافظة، إلا أنها ليست كذلك.

إذ إن ملايين المسيحيين في هذا البلد هم مسيحيون ليبراليون. ومعظم اليهود يهود ليبراليون. وأظن أن معظم المسلمين في أمريكا تقدميون، مسلمون ليبراليون، وليسوا مسلمين محافظين بشكل راديكالي. ومع ذلك، فإن المجتمع الديني التقدمي في هذا البلد غير منظَّم تنظيمًا جيدًا، في حين أن المجتمع الديني المحافظ منظَّم على أمثل وجه ممكن. وتتمثل إحدى المشكلات في أن المجتمع الديني التقدمي، وبشكل خاص المسيحية التقدمية، لا يعرف فعليًا كيف يعبِّر عن لاهوته الخاص بطريقة تجعل سياسته واضحة، بينما يعرف المسيحيون المحافظون الرابط المباشر بين لاهوتهم وسياستهم. فالمسيحية المحافظة هي دين الأب الصارم وها هي الكيفية المرسَّمة بها رؤية الأب الصارم للعالم على المسيحية المحافظة.

أولاً، إن الله مفهوم بوصفه قصاصيًا (عقابيًا) punitive – بمعنى أنك إذا أذنبت ستمضي إلى الجحيم، وإذا لم تذنب ستُكَافأ. لكن بما أن البشر ينزعون إلى أن يذنبوا في أمر أو آخر من أمور حياتهم، فكيف يمكن لهم قط أن يدخلوا الجنة؟ والجواب طبقًا للمسيحية المحافظة هو المسيح. إذ إن ما فعله المسيح يتيح لهم سبيل الولوج إلى الجنة. وتتمثَّل الفكرة في: أن المسيح قد عانى معاناة قصوى على الصليب إلى حد أتاح له أن

يراكم رصيدًا أخلاقيًا يكفى كل البشر للأبد. ومن ثم، فإنه قد أتاح فرصة لدخول الجنة ـ أى الافتداء redemption ـ طبقًا للشروط التالية، شروط الأب الصارم: إذا كنتَ تقبل المسيح بوصفه مخلِّصَك، أى بوصفه سلطتك الأخلاقية وتوافق أن تتبع السلطة الأخلاقية لكاهنك وكنيستك، فإنك حينئذٍ يمكن أن تدخل الجنة. إلا أن ذلك يتطلب الانضباط. إذ إنك تحتاج أن تكون على قدر من الانضباط يتيح لك أن تتبع القواعد، وإن لم تنجح فى ذلك، فإنك حينئذٍ ستذهب إلى الجحيم. وهكذا فإن المسيح يستطيع، بما لديه من رصيد أخلاقى اكتسبه من خلال المعاناة، أن يسدِّد ديونك ـ أى ذنوبك — ويتيح لك أن تلج إلى الجنة، لكن فقط إذا سرت على الصراط.

وفى المقابل، فإن المسيحية الليبرالية مختلفة اختلافًا شديدًا جدًا. ذلك أن المسيحية الليبرالية ترى الله بوصفه مُحسنًا beneficent، بوصفه راغبًا فى معاونة البشر. والفكرة المحورية فى المسيحية الليبرالية هى النعمة الإلهية grace، حيث تُفهَم النعمة الإلهية بوصفها نوعًا من الرعاية الاستعارية metaphorical nurturance.

وفى المسيحية الليبرالية لا يمكنك أن تكسب النعمة الإلهية — بل إنك تُمنح النعمة الإلهية غير مشروطة من الله أو دون شرط أو قيد. إلا أنك يجب أن تقبل النعمة الإلهية، ويجب أن تكون قريبًا من الله لتنال نعمته، ويمكنك أن تصبح مملوءً بالنعمة الإلهية، ويمكنك أن تُدَاوَى بالنعمة الإلهية، وأن تتحول إلى إنسان أخلاقى من خلال النعمة الإلهية.

بعبارة أخرى، إن النعمة الإلهية هى الرعاية إلا أنها رعاية استعارية. أى أنه مثلما أن الرعاية تغذِّيك وتداويك، وتعتنى بك، ومثلما أن الوالدية الراعية تعلِّمك أن تكون راعيًا وتتيح لك أن تصبح كائنًا أخلاقيًا، ومثلما أنك لا تستطيع أن تنال الرعاية ما لم تكن قريبًا من والديك، ومثلما أنه لا بد لك من أن تقبل الرعاية لكى تنالها، كذلك فإن كل هذه الأشياء الخاصة بالرعاية تنطبق تمامًا على النعمة الإلهية فى المسيحية الليبرالية. فالرعاية تأتى مع الحب غير المشروط unconditional love، وفى حالة النعمة الإلهية لدينا حب الله غير المشروط.

وما يجعل دينًا ما دينًا راعيًا هو أن يرى الله استعاريًا بوصفه والدًا راعيًا **a nurturant parent** وترتبط تجربتك الروحية، فى أى شكل من أشكال الأديان الراعية، بعلاقتك بالبشر الآخرين وبالعالم، كما ترتبط ممارستك الروحية بمدى خدمتك للآخرين ولمجتمعك. وهذا ما يفسِّر لماذا يكون المسيحيون الراعون تقدميين، لأن لديهم أخلاقيات راعية مثل تلك التى لدى التقدميين.

إلا أن المسيحيين الراعين واليهود الراعين والمسلمين الراعين والبوذيين الراعين فى هذا البلد غير منظَّمين فى الوقت الراهن. إذ لا يُنظر إليهم بوصفهم حركة واحدة، حركة دينية تقدمية. فالتقدميون العلمانيون الأسوأ لا ينظرون إلى كل أولئك المعتنقين لشكل راعٍ من أشكال الدين بوصفهم أعضاء طبيعيين فى الحركة السياسية ذاتها. ومن ثم؛ فإن التقدميين الروحيين لا يحتاجون فقط أن يتحدوا مع بعضهم البعض، بل إنهم أيضًا يحتاجون أن يتحدوا مع التقدميين العلمانيين الذين يشتركون معهم فى نفس النسق الأخلاقى والأهداف السياسية.

## ما الذى تعنيه مبادرة استراتيجية وكيف تختلف عن صنع السياسة العادية؟

هناك نوعان من المبادرات الاستراتيجية: النوع الأول هو ما أدعوه المبادرة المراوغة المتدحرجة **a slippery slope initiative**. وتتمثَّل فكرة المبادرة المراوغة المتدحرجة فى أن تخطو خطوة أولى تبدو مباشرة تمامًا، إلا أنها تتخذ فى عيون الجماهير إطارًا إضافيًا تريد لهم أن يروه. والفكرة هى أنه ما أن تتخذ الخطوة الأولى حتى تصبح الخطوة التالية أيسر وغالبًا لا مناص منها، وكذلك الخطوات الأخرى التى تليها الواحدة بعد الأخرى.

على سبيل المثال، فلننظر إلى الإجهاض العمدى **partial-birth abortion**. إذ لا توجد فعليًا مثل هذه الحالات.

إن ما تفعله عبارة الإجهاض العمدى هو أنها تجعل فكرة أن الإجهاض شيء سيئ ظاهرة للعيان، وتستدعى على الأقل بعض الموانع على الإجهاض. فما تفعله هو أنها تبدأ بصياغة القضية الأكثر حيوية والأسهل ثم تمضى تقريبًا خطوة خطوة للحظر الكامل على الإجهاض.

ودعونا نتناول مثالاً آخر. لقد أصبح من المعتاد أن يحاول المحافظون تقليص البرامج الاجتماعية واحدًا بعد الآخر، ثم إذا بهم يكتشفون كيف يمكنهم أن يستأصلوها جميعًا دفعة واحدة: عبر تخفيف الضرائب. ويعد تخفيف الضرائب مبادرة استراتيجية a strategic initiative ليست من النوعية المراوغة المتدحرجة، وإنما من نوعية أعمق، نوعية لها تأثيرات عريضة عبر مجالات عديدة جدًا جدًا. لأنك إذا خفَّفت الضرائب وتسبَّبت فى عجز كبير فى الموازنة، فإنه حين يظهر أى برنامج اجتماعى – يمكن أن يكون الرعاية الصحية للأطفال الفقراء، أو الخدمات الخاصة بالمقعدين، أو سواها – لن تكون هناك أموال كافية له. وهكذا ينتهى بك الحال إلى استئصال البرامج الاجتماعية الخاصة بكل شيء، فى الصحة، وفى التعليم، وفى تعزيز القوانين المنظِّمة للحفاظ على البيئة وسواها. وفى الوقت ذاته، فإنك تكافئ أولئك الذين تراهم بوصفهم أناسًا أخيارًا، أى الأشخاص الأثرياء – أولئك الذين كانوا منضبطين بما يكفى لأن يصبحوا أثرياء.

كما توجد أنواع أخرى من المبادرات الاستراتيجية كذلك. ولنأخذ مثال الزواج المثلي. إن الزواج المثلى يناقض جوانب كبيرة من نموذج الأب الصارم. إذ فى حالة زواج السحاقيات، لا يوجد أصلاً أب، وفى حالة زواج اللوطيين، الذى يوجد فيه أبوان، فإنه ما من واحد منهما يوافق الرؤية التقليدية للأب الصارم الذكر. إن معارضة الزواج المثلى تعزِّز وتمدِّد بالتالى أخلاقيات الأب الصارم ذاتها التى تمثِّل الدعوة الأعلى

للنسق الأخلاقى المحافظ. ولذلك، يعد الزواج المثلى شاهدًا على النسق الأخلاقي؛ إذ إنه يستدعى القضية الأكبر، وهى ما النسق الأخلاقى الذى يفترض له أن يحكم بلدنا.

كما ينطبق الشيء ذاته على قضية الإجهاض. فالسماح للنساء أن يقرِّرن لأنفسهن إذا ما كنا يُنْهِين حملهن يعارض الفكرة الكاملة لنموذج أسرة الأب الصارم. ففى نموذج الأب الصارم، الأب هو من يقرِّر إذا ما كان ينبغى لزوجته أو ابنته أن تجهض حملها.

وكما أن الأب هو من يسيطر على حياة ابنته الجنسية، فإن الأب يفقد سيطرته حين تتخذ الابنة عاشقًا لها. وإذا كان للأب أن يحافظ على سيطرته على أسرته، فإنه حينئذٍ لا يمكن للنساء فى الأسرة أن يسيطرن بحرية على سلوكهن الجنسى وعلى قدرتهن على

الإنجاب. ولذلك فإن الإجهاض ليس قضية سياسية بشكل متأصل، ولكنه يتحول إلى قضية سياسية فقط حين يأتي الأمر إلى إذا ما كان لأخلاقيات الأب الصارم أن تحكم الحياة الأمريكية. فالإجهاض ممثِّل للقضية الأكبر: هل ستحكم أخلاقيات الأب الصارم أمريكا؟

**إذًا هل كل ما يجب علىَّ أن أفعله لأعيد تأطير قضيتى هو أن أبتكر بعض الشعارات الحادة القوية some sound bite-worthy terms وأن استخدمها بدلاً من العبارات المحافظة؟**

لا! إن إعادة التأطير ليست خاصة فقط بالكلمات واللغة. بل إن إعادة التأطير خاصة بالأفكار. إذ يجب أن تُرسَّخ الأفكار فى أمخاخ الناس قبل أن يمكن أن يغدو للشعار أى معنى. على سبيل المثال، لنأخذ فكرة "المشتركات" "The commons" – أي، ميراثنا المشترك، مثل الغلاف الجوى the atmosphere أو المجال الكهرومغنطيسى (كم المعلومات المرسلة بين الحواسيب وعبر التليفون) (bandwidths)

وهذه تعد مواريث مشتركة للإنسانية كلها، ومعظم الناس الذين يناقشونها بهذه الطريقة يشيرون إليها بوصفها "المشتركات" ومع ذلك، فإن فكرة الموروث المشترك واستخدامه من أجل الخير العام لم تتحول بعد لتصبح جزءًا من البنية الإطارية the frame structure التى يستخدمها الناس كل يوم. ولهذا السبب فإنك لا تستطيع أن تصوغ شعارًا وحسب حول المشتركات وتجعل معظم الناس يفهمونه ويتفقون معه.

**إذًا كان لدى الجمهوريين مثل هذه البنية التحتية الهائلة، فكيف نلحق بهم؟**

إن التقدميين يدركون أنه يجب عليهم أن يستثمروا فى وسائل الإعلام. إلا أن ما يجنحون إلى عدم إدراكه هو أنه يجب عليهم أن يستثمروا فى التأطير وفى اللغة.

والميزة الكبرى التى لدينا تتمثل في: أنه فى مقابل أن الأمر قد اقتضى من المحافظين أكثر من ثلاثين عامًا، وبلايين الدولارات وثلاثًا وأربعين مؤسَّسة لكى يعيدوا تأطير النقاش الجماهيرى من أجل أن يدور النقاش على أرضيتهم، نجد أن لدينا ميزة

امتلاك العلم من جهتنا. إذ إننا نعرف من خلال العلم المعرفي ومن خلال اللغويات كيف فعلوا ذلك. كما نعرف كيف نستطيع أن نفعل للتقدميين مثلما فعلوه في مدى زمني أقصر كثيرًا وبموارد أقل كثيرًا. كما أننا نعرف أيضًا كيف يمارسون مرانهم اللغوي، ونعرف كيف نصنع هذا لأنفسنا.

لكن للأسف، فإن تقدميين كثيرين يعتقدون أنه يمكن القيام بهذا عبر وكالات الإعلان وعبر القائمين باستطلاعات الرأي. إلا أن هذا خطأ. إذ إنكم تحتاجون فعليًا لغويين وعلماء معرفيين.

## ما الفارق بين مؤسسة روكريدج وجماعات البحث التقدمية الأخرى؟ وهل توجد أية جماعات بحثية أخرى تعمل على التأطير؟

إن روكريدج مكرَّسة بشكل كامل لإعادة تأطير النقاش الجماهيري، سواء من منظور السياسة أو من منظور لغوي. هذا في حين أنه توجد جماعات بحثية تقدمية أخرى لديها وظائف أساسية مغايرة، منها: الرد على مبادرات اليمين، والإجابة على اتهامات المحافظين، وقول الحقيقة حين يكذب المحافظون، وبناء سياسات محدَّدة يستطيع التقدميون استخدامها. وكل هذه الوظائف وظائف مهمة، إلا أنها لا تنوب عن وظيفة التأطير، إذ إنها وظيفة ضرورية مطلقة. وفي حدود معلوماتي، فإنه لا توجد جماعات بحثية أخرى مخصصَّة للتأطير الشامل للقضايا من منظور سياسي، ومن منظور تواصلي.

## إنني لا أرى أدلة كثيرة على البنية التحتية الجمهورية. ولا يمكنني أن أعثر على أي شيء خاص بهذا الرجل المدعو لونتز Luntz أو أي شيء مما كتب. فمما تتشكَّل هذه البنية التحتية، وكيف تعمل بالضبط لتؤثر في الخطاب؟

إن لونتز يدير مشروعًا. إنه يدرِّب المحافظين كيف يفكِّرون ويتحدثون، ويتم استخدام كتابه بوصفه جزءًا من مشروعه هذا. ولذلك، فإن معلوماته معلومات مقصورة على متدربيه وليست متاحة للجماهير. وإن كان أحيانًا يتم تسريب نسخة من كتاباته ويتم إرسالها على الإنترنت، وبهذه الكيفية تحديدًا عرفنا بشأنه.

إن معظم الأبحاث التى تجريها المجموعات البحثية المحافظة تُجرى بشكل سري، إلا أن لها جميعًا وجهًا جماهيريًا. إذ إنهم يصدرون تقارير، ويكتب باحثوهم مقالات فى مجلات مرموقة، ويكتبون مقالات رأي، ويكتبون كتبًا. وكل هذه الأشياء توجد فى المجال العام، وإن لم تكن موسومة بأنها **البنية التحتية المحافظة**.

وإن كان يبدو كما لو كان كثيرون من الأشخاص المستقلين يقومون ببساطة بأشياء مختلفة. مع ذلك، فإنه يوجد تنسيق فيما بينهم وتترابط جهودهم. فالمجموعات البحثية الرئيسية تقوم على سبيل المثال بأعمال واسعة النطاق في وسائل الإعلام، على مدار الساعة فى استديوهات التلفزيون والإذاعة. إذ إن نسبة ثمانين فى المائة من المتحدثين الرئيسيين الذين يظهرون على شاشات التليفزيون الأمريكى من المحافظين، والكثير منهم من هذه المجموعات البحثية.

كما أنه يتم تدريبهم جميعًا تدريبًا شاملاً على الظهور فى وسائل الإعلام، وكذلك يتم تدريبهم تدريبًا لغويًا. وفى بعض الحالات يمكن أن يتم تخصيص نصف الميزانية الخاصة بمؤسسة من المؤسسات الرئيسية لنشر أفكار تلك المؤسسة فى وسائل الإعلام. إذ يوجد وكلاء تتمثّل كل وظيفتهم فى أن يوصّلوا الباحثين فى تلك المؤسسات إلى برامج الإذاعة والتليفزيون وأن ينشروا كتبهم. كما أن هناك كُتّابًا وظيفتهم هى أن يكتبوا نشرات صحفية تتم قراءتها بشكل مباشر فى البرامج الإخبارية فى الإذاعة والتليفزيون أو توضع مباشرة فى قصص إخبارية. كما يتم إرسال هذه النشرات بالفاكس إلى الجرائد ومحطات الإذاعة وقنوات التليفزيون فى كل أنحاء البلاد.

وبما أن معظم منافذ وسائل الإعلام مثل المحطات الإذاعية والجرائد وحتى القنوات التليفزيونية الصغيرة تعانى من نقص فى العاملين بها، فإنها لا تمانع فى أن تستخدم النشرات المكتوبة جيدًا بشكل مباشر من مصادرها وأن تنشرها كما لو كانت نشرات مكتوبة من قبل محرّريها الصحفيين.

كما أن هناك أيضًا تواصلاً – بين المجموعات البحثية والقادة السياسيين فى واشنطن، وأولئك الذين فى الإعلام – لمراجعة وتنسيق اللغة المستخدمة. إذ إنه حين

تُستخدم لغة واحدة من قبل أناس كثيرين فى جميع أنحاء البلاد لتأطير قضية من القضايا، يتم قبولها بوصفها اعتيادية لأنها تصبح جزءًا من أمخاخ الناس.

**إننى أعرف أنه توجد بين المحافظين اختلافات عميقة. فكيف ينجحون فى أن يبدوا منسجمين فى معظم الأحيان؟**

إن جروفر نوركويست Grover Norquist يعقد اجتماعًا كل أسبوع لكبار قادة المحافظين والمتحدثين الرسميين باسمهم، ينفِّثون فيه عن اختلافاتهم حول قضايا الساعة الراهنة. وحين يكون هناك إجماع أو رؤية للأغلبية ، تنحو الجماعة حينذاك إلى أن تتفق ككل على أن تدعم ذلك الإجماع أو تلك الرؤية التى للأغلبية.

وإذا حدث لهم أن اختلفوا مع الإجماع أو مع ما تذهب إليه رؤية الأغلبية هذا الأسبوع، فإنهم يعرفون أن رؤاهم ستصبح الأسبوع القادم أو الأسبوع الذى يليه هى موضع الإجماع أو رؤى الأغلبية. وفى ظل هذا النظام يعرف كل شخص أنه وإن لم يكسب طول الوقت سيكسب معظم الوقت.

**أليس تخفيف الضرائب هو الطريقة الطبيعية للحديث عن الضرائب؟ إننى تقدمى إلا أننى أعترف أنها تمثل أحيانًا عبئًا.**

إن الواجب المدرسى يمثِّل أيضًا عبئًا، إلا أنه يجب عليك أن تنجزه إذا ما كنت تنتوى أن تتعلم أى شيء. والتدريبات الرياضية تشكِّل عبئًا، إلا أنك يجب أن تمارسها إذا ما كنت تريد أن تبدو فى صورة جسدية جيدة. وكذلك فإن الضرائب ضرورية إذا كنا نعتزم أن نقوم باستثمارات حكيمة فى بنيتنا التحتية الوطنية؛ لأنها ستسدِّد لنا جميعًا مستحقاتنا لسنوات وسنوات قادمة فى المستقبل. وذلك يتضمن استثمارات فى أشياء مثل التعليم والرعاية الصحية لأولئك الذين لا يستطيعون أن يتحملوها. إن التعليم والرعاية الصحية يمثِّلان استثمارات فى البشر. وهى تمثِّل استثمارات حكيمة، لأنها تمنحنا حشودًا من المواطنين المتعلمين، وقوة عمل متعلمة، وقوة عمل عفية وفعَّالة. تلك هى الأسباب العملية الخاصة بالضرائب. وإن كانت هناك أسباب أخرى للضرائب تخص الخدمات الجماهيرية – مثل الشرطة والإطفاء، والتخفيف من آثار الكوارث وما شابه. إن تلك هى الأسباب العملية الخاصة بالضرائب، إلا أن هناك أسبابًا أخلاقية كذلك.

فالتعليم والصحة يشكّلان عاملين مهمين لتحقيق التحقق فى الحياة، وهذا البلد يدور حول التحقق فى الحياة. ولا شك أن هناك سببًا لأجله يتحدث إعلان الاستقلال عن السعى إلى تحقيق السعادة وربطها بالحرية. والسبب هو أنهما يتلازمان معًا. إذ بدون حرية، لا يمكن أن يكون هناك تحقق فى الحياة. ولذلك توجد أسباب عملية ترتبط بلماذا يصبح فهم فرض الضرائب بوصفه استثمارًا له معنى، وكذلك توجد أسباب أخلاقية لفهم فرض الضرائب بوصفه تسديدًا لديونك فى بلد تستطيع فيه أن تنشد السعادة لأنه توجد فيه حرية وتحرر.

## كيف ترد أو تجيب مباشرة على أى مبادرة استراتيجية للجمهوريين؟

إنك لا تستطيع ذلك، وذلك هو السبب فى أنهم مَهَرة. إذ إن تخفيض الضرائب **tax cuts** لا يدور حول تخفيض الضرائب. وذلك هو السبب فى أنك لا تستطيع أن تجيب مباشرة على تخفيض الضرائب بشكل شديد البساطة. ذلك أن تخفيض الضرائب يدور حول التخلص من كل البرامج الاجتماعية واللوائح المنظِّمة للمشاريع الاستثمارية.

كما أن قسائم الدعم **vouchers** والتفتيش على المدارس ليست خاصة بالقسائم أو التفتيش على المدارس، وإنما تختص بسيطرة المحافظين على محتوى التعليم. فلكى ترد يجب عليك أن تضع القضية الخاصة داخل إطار عمل أوسع كثيرًا يناسب فهمك الخاص ويناسب فهمك للموقف. وكذلك، فإن إصلاح الضرر **tort reform** ليس حول إصلاح الضرر، وإنما يدور حول توفير تمويلات بعيدًا عن الحزب الديموقراطي، نظرًا لأن محاميّ التعويضات **trial lawyers** يمثّلون موردًا رئيسيًا لتمويل الحزب الديموقراطي. ولذلك؛ فإنك تحتاج، بدلاً من الرد على المبادرات الاستراتيجية، إلى أن تعيد تأطير القضايا الأكبر المطروحة من وجهة نظرك. إذ يمكنك أن تناقش المبادرة الاستراتيجية، أو على الأقل أجزاء منها، انطلاقًا من إطار العمل الخاص بك. خذ إصلاح الضرر. إن محاميّ التعويضات هم فعليًا محامو الحماية الجماهيرية، وقانون إصلاح الضرر هو القانون الذى يتيح الحماية الجماهيرية — إنه قانون الحماية الجماهيرية **public protection**. إذ إنه حين يحاول قانون الإصلاح أن يغطى الدعاوى والتسويات، فإن نتيجته هى أخذ الدعاوى من

أيدى المحلَّفين – أى إغلاق قاعة المحكمة، لإنشاء محاكم مغلقة closed courts بدلاً من المحاكم المفتوحة. ففى المحاكم المفتوحة، التى يوجد فيها محلَّفون – يستطيع المحلَّف أن يقرِّر إذا ما كانت دعوى معينة تخص الحماية الجماهيرية أم لا. كما أن التسويات الكبيرة غالبًا ما ترتبط بقضايا الحماية الجماهيرية – أى أنها تتجاوز القضية موضع النزاع. والمحاكم المفتوحة هى الدفاع الأخير الذى يكون لدى الجماهير ضد الشركات المنعدمة الضمير أو المهملة أو المهنيين المنعدمى الضمير أو المهملين. وحين يتحدثون هم عن الدعاوى القضائية، لا تكتفِ بأن تقول "لا، لا، إن القضايا ليست تافهة"، بل تحدَّث بدلاً من ذلك عن الحماية الجماهيرية، وعن المحاكم المفتوحة، وعن الحق فى أن يكون هناك محلَّفون يقرِّرون، وعن خط الدفاع الأخير ضد الشركات المنعدمة الضمير أو المهملة.

## إذا كان يتم رفض الوقائع التى لا توافق الأطر، فهل يعنى ذلك أنه ينبغى علينا أن نتوقف عن استخدام الوقائع فى مجادلاتنا؟

بوضوح لا. ذلك أن الوقائع بالغة الأهمية. بل إنها حاسمة، إلا أنها يجب أن تُؤطَّر تأطيرًا ملائمًا إذا ما كان لها أن تكون جزءًا فعالاً من الخطاب الجماهيري. إذ يجب علينا أن نعرف أية واقعة ترتبط بالمبادئ الأخلاقية وبالمبادئ السياسية، ويجب علينا أن نؤطِّر تلك الوقائع تأطيرًا فعالاً وصادقًا بقدر ما نستطيع. وسيلزم عن التأطير الصادق للوقائع أطر أخرى يمكن أن يتم اختبارها مع وقائع أخرى.

## كيف تختلف القيم التقدمية عن القيم الأمريكية التقليدية؟

إنها لا تختلف عنها. فالقيم التقدمية هى القيم الأمريكية التقليدية، إنها كل القيم التى نفخر بها.

إننا فخورون بالانتصارات الخاصة بالمساواة والمناهضة للتراتبية: تحرير العبيد، وحق النساء فى التصويت، وحركة الاتحاد the union movement، وتوحيد القوات المسلَّحة، وحركة الحقوق المدنية، وحركة المرأة، وحركة الحفاظ على البيئة، وحركة حقوق اللوطيين.

كما أننا فخورون بتصور فرانكلين ديلانو روزفلت للحكومة "من أجل الشعب" ومناداته بالأمل فى مواجهة الخوف. مثلما أننا فخورون بمشروع مارشال الذى ساعد على محو مفهوم "الأعداء" وكذلك فإننا فخورون بدعوة جون كينيدى للخدمة العامة، وبإصرار مارتن لوثر كنج على عدم العنف فى مواجهة الوحشية، وبقدرة سيزار شافيز على توفير الكبرياء والنقابة لأكثر العمال سوء معاملة.

إن الفكر التقدمى أمريكى بقدر ما هى فطيرة التفاح. فالتقدميون يريدون المساواة السياسية، ومدارس شعبية جيدة، وأطفالاً أصحاء ورعاية للمسنين، وحماية الشرطة، ومزارع أسرية، وهواء تستطيع أن تتنفسه، ومياهًا يمكنك أن تشربها، وأسماكًا حية فى مياهنا، وغابات تستطيع أن تتنزه فيها، وطيورًا مغرِّدة وضفادع، ومدنًا جديرة بالحياة فيها، ومشاريع استثمارية ذات أسس أخلاقية، وصحفيين يقولون الحقيقة، وموسيقى ورقصًا وشعرًا وفنًا، ووظائف تدفع أجورًا لائقة للعيش لكل شخص يعمل.

إن الناشطين التقدميين – من أجل أجور لائقة للعيش، وحقوق المرأة، وحقوق الإنسان، والبيئة، والصحة، والتسجيل فى قوائم الانتخاب، وما شابه– هم أمريكيون وطنيون يعملون بتفانٍ إيثارى لخلق عالم أفضل، عالم يوافق القيم والمبادئ الأمريكية الأصلية.

# (١٠)

# كيف نرد على المحافظين

إن النص التالى عبارة عن خطاب تلقيتُه أثناء كتابة هذا الفصل. وقد وصلنى بعد أيام معدودة من ظهورى على برنامج تليفزيونى حوارى اسمه الآن **Now** مع بيل مويرز.

"لقد استمعتُ للدكتور ليكوف ليلة الجمعة الماضية فى برنامج "الآن" **Now** باهتمام شديد. إننى أحب استخدام الكلمات وظللت باستمرار متحيرًا من كيف يستخدم اليمين المتشدِّد تعريفات متعدِّدة جدًا.

ولذلك أجريتُ تجربة أردتُ أن أقصَّها عليك. لقد أخذتُ

أمثلة عديدة من

المقابلة؛ على وجه التحديد محامى الموضوع **trialr lawyer** فى مقابل محامى الحماية الجماهيرية **public protection** وزواج اللوطيين واستخدمت تلك الأمثلة لمدة أسبوع كامل فى غرفة الدردشة السياسية أيه أو إل **AOL's political chat room**. وفى كل مرة كان يصرخ شخص حول كون (جون) إداوارد محامى موضوع، كنت أرد بأنه محامى من محاميً الحماية الجماهيرية وكيف أنهم يمثِّلون خط الدفاع الأخير ضد الشركات المهملة والمهنيين المهملين، وأن نقيض محامى الحماية الجماهيرية هو محامى الشركة الذى يتقاضى فى المعتاد من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ دولار فى الساعة، فى الوقت الذى ندفع فيه مثل ذلك المبلغ فى السلع والخدمات المرتفعة الثمن.

وفى كل مرة كان يبدأ فيها شخص بالصراخ حول "زواج اللوطيين"، كنتُ أسأل إذا ما كانوا يريدون أن تحدِّد الحكومة الفيدرالية لهم من يمكنهم أن يتزوجوا. وأمضى لأشرح حين يعترضون أنه ما أن يُسمح للحكومة أن تتخطى الحاجز الهائل لتقرِّر لجماعة واحدة من الناس من لا يمكنهم أن يتزوجوهم، لن تكون هناك سوى خطوة صغيرة لتقرِّر لجماعات أخرى ثم خطوة أخرى أقصر لتقرّر للناس من كان يحب عليهم أن يتزوجوهم.

كما أننى طالبتُ أيضًا بتقديم تعريفات إذ فى كل مرة كان يصرخ فيها واحد منهم صائحًا "الليبراليون الأوساخ" "dirty liberal" كنتُ أطالب بتعريفهم لـ "الليبرالي".

وقد كانت آخر النقاط هى الوتر الحسَّاس الذى لعبتُ عليه. ففى كل مرة كان يصرخ فيها أحدهم "الإجهاض" "قتلة الصغار" "baby-killer".. الخ، كنتُ أشير إلى أنهم إذا كانوا ضد الإجهاض، إذا فإنه لا ينبغي، بأى حال من الأحوال، أن تكون لديهم حالة إجهاض واحدة ولا بد لى من أن أخبرك أن النتائج كانت مذهلة بالنسبة لي. إذ إننى دفعتُ أشخاصًا آخرين (لا أعرفهم بالمرة) أن ينضموا إليَّ وأن يتبنوا نفس الحيل. وبحلول الليلة الأخيرة كانت غرفة الدردشة قد أصبحت متحضرة civil. ومما أدهشنى أن عددًا من الملصقات الدعائية محت ما عليها من عبارات مناهضة وأنه صارت لدينا بالفعل محاورات.

إننى أعتزم أن أستمر فى هذا، إلا أننى أردتُك فى الحقيقة أن تعرف أننى استمعتُ للدكتور ليكوف وأننى أقدِّر عمله، وأحاول أن أضعه موضع التطبيق وأنه حقيقة وفعلاً متعة.

**مع خالص شكري**

**بينى كولب** Penney Kolb

إن هذا الكتاب مكتوب من أجل أناس مثل بينى كولب. لقد وُضِع التقدميون باستمرار فى وضعيات يُتوقَّع فيها منهم أن يردوا على حجج المحافظين.

وقد يكون هذا أثناء عشاء عيد الشكر، أو بجوار مبرِّد المياه، أو أمام جماهير. لكن لأن المحافظين قد طوَّعوا الكثير جدًا من اللغة لصالحهم، فإن التقدميين وُضِعوا فى معظم الأحيان فى الموقف الدفاعى دون أن يكون لديهم إلا القليل أو لا شيء ليقولوه فى ردودهم.

لقد قصدنا من الفصول السابقة أن نوضِّح من هم المحافظون، وما الذى يدافعون عنه، وما نوعية الأخلاق التى يرون أنهم يتحلون بها، وكيف تشكِّل قيمهم الأسرية سياستهم. كما قُصِد من هذه الفصول أيضًا أن تجعل ما يُشعر به عادة، لكن لا يتم تمفصله، واضحًا — وهو القيم الأسرية التقدمية وكيف أنها تتحول إلى سياسات تقدمية. وأخيرًا، هناك مقدمة عن التأطير — ما الأخطاء التى ينبغى تجنبها وكيف تتم إعادة التأطير، بالإضافة إلى بعض الفصول التى تقدِّم أمثلة على كيف يعمل التأطير. لكنك عاجلاً أو آجلاً، فى وضعية مفلسة. فماذا تفعل؟ إن غرائز المفلس لا تخطئ وتمدنا بخطوط هادية.

إن القيم التقدمية هى أفضل القيم الأمريكية التقليدية. دافع عن قيمك بكرامة وقوة. إذ إنك وطنى حقيقى بسبب قيمك.

تذكَّر أن مؤدلجى الجناح اليمينى أقنعوا نصف البلاد أن نموذج أسرة الأب الصارم، السئ للغاية لتنشئة الأطفال، يجب أن يحكم أخلاقياتنا وسياستنا الوطنية. إن هذا هو النموذج الذى هزم أفضل ما فى القيم الأمريكية مرارًا وتكرارًا على امتداد تاريخنا — من تحرير العبيد إلى تصويت المرأة والضمان الاجتماعي، والرعاية الطبية والحقوق المدنية وقوانين حق الاقتراع وبراون فى مقابل مجلس التعليم **Brown V. the Board of Eduction** ورو فى مقابل وايد **Roe v. wade** وفى كل حالة من هذه الحالات كنا نوحِّد بلدنا أكثر وراء أروع قيمنا التقليدية.

تذكَّر أن لدى كل شخص النموذجين معًا الصارم والراعي، إمَّا بشكل إيجابى أو سلبي، إذ ربما يكون النموذج إيجابيًا فى جوانب مختلفة من حيوات الأشخاص ووظيفتك هى أن تفعِّل من أجل السياسة القيم التقدمية الراعية الموجودة سلفًا (ربما فقط بشكل سلبي) لدى محاوريك.

اظهرْ الاحترام للمحافظين الذين ترد عليهم. إذ لن يُنصِت إليك أحد إن لم تمنحهم الاحترام. انصتْ إليهم. يمكن أن تختلف بقوة مع كل شيء يقولونه، إلا أنه ينبغي عليك أن تعرف ما يقولونه. كُنْ مخلصًا، وتجنبْ الطلقات الرخيصة **cheap shots** لكن ماذا إن لم يظهروا لك الاحترام؟

إن خطأين لا يصنعان صوابًا. لذا أدرْ خدك الآخر واظهرْ في جميع الأحوال الاحترام. وذلك يتطلب أن تكون لديك شخصية وكرامة. ولذا اظهرْ الشخصية والكرامة.

تجنبْ مباراة الصراخ وتذكَّرْ أن اليمين الراديكالي يدعو إلى حرب ثقافية، والصراخ هو شكل خطاب تلك الحرب الثقافية. في حين أن الخطاب المتحضر هو شكل خطاب الأخلاقيات الراعية. إنك تحقِّق انتصارًا حين يصبح الخطاب متحضرًا، بينما ينتصرون هم حين ينجحون في أن يجعلوك تصرخ.

ماذا لو أنك تعرضت لانتهاك أخلاقي؟ يجب عليك أن تواجه الانتهاك الأخلاقي إلا أنك تستطيع أن تظهره وأنت مسيطر على انفعالاتك. أما إذا فقدتَ السيطرة فإنهم يكسبون.

عليك أن تميِّز بين المحافظين العاديين والمؤدلجين الكريهين. ذلك أن معظم المحافظين أناس لطاف على المستوى الشخصي، وأنت تريد أن تستدعي لطفهم وإحساسهم بحسن الجوار والضيافة.

كُنْ هادئًا. ذلك أن الهدوء علامة على أنك تعرف ما تتحدث عنه.

تمتعْ بحس الدعابة. فالحس التلقائي الجيد بالدعابة يظهر أنك متوافق مع نفسك.

حافظْ على أرضيتك. وكُنْ دائمًا في وضعية الهجوم. ولا تكنْ قط في وضعية الدفاع. وإياك أن تتأفف أو تتذمَّر وإياك أن تسلك على أنك ضحية. ولا تتضرعْ قط. وتجنبْ لغة الضعف، على سبيل المثال، التنغيمات الصاعدة **rising intonations** على العبارات. ويجب أن يكون صوتك واثقًا. كما ينبغي أن يعكس جسدك وصوتك التفاؤل. وكذلك يجب عليك أن تكون مُقنِعًا على مستوى انفعالاتك دون أن تفقد السيطرة عليها.

إن المحافظين يحاكون الليبراليين محاكاة ساخرة بوصفهم ضعافًا، وغضوبين (ومن ثم غير مسيطرين على انفعالاتهم)

وضعاف العقول، ورقيقى القلوب، وغير وطنيين، وجاهلين بحقائق الأمور، ونخبويين. فلا تمنحْهم أية فرصة لتنميط صورتك بأية صورة من هذه الصور. ومن ثم، توقَّعْ هذه الصور النمطية وتعاملْ معها كلما طرأت.

وبما أنك توجِّه نفسك، اظهرْ العزم والهدوء والسيطرة؛ والقدرة على التفكير والحس الواقعي، وحبك للبلد، وتمكنك من الوقائع الأساسية، والانطباع بأنك مساوٍ للآخرين ولستَ أعلى منهم. وعلى أقل تقدير، فإنك تريد أن يفكِّر فيك جماهيرُك باحترام، كشخص يمكن أن يختلفوا معه، إلا أنهم يجب أن يأخذوه بجدية ذلك أن هذا فى مواقف عديدة هو أفضل ما يمكن أن تتطلع إليه. ويجب عليك أن تعرف تلك المواقف وتدرك أن التعادل بكرامة يُعد نصرًا فى لعبة أخذك بجدية.

إن هناك الكثير من المحاورات الجارية. ووظيفتك فى أية محاورة جارية هى أن ترسِّخ حالة من الاحترام والكرامة ثم تحافظ عليها.

لا تتوقعْ أن تحوِّل عتاة المحافظين.

يمكنك أن تحرز تقدمًا ملحوظًا مع من لديهم كلا التصورين، أولئك الذين يستخدمون كلا النموذجين لكن فى جوانب مختلفة من حياتهم. إذ إنهم يمثِّلون لك أفضل جمهور ووظيفتك هى أن تستولى على عقولهم. ويفترض أن يصبح هدفك مع مزدوجى التصور هؤلاء هو أن تكتشف فقط، إن أمكنك من خلال بعض المجسات، أية جوانب من حياتهم هى التى يكونون راعين فيها. على سبيل المثال، سل من الأكثر نيلاً لعنايتهم، وما المسئوليات التى يشعرون أن عليهم أن يؤدُّوها تجاه هؤلاء الذين ينالون عنايتهم، وكيف يؤدُّون تلك المسئوليات.

إذ يفترض أن ينشِّط هذا نماذجهم الراعية بقدر ما يمكن. ثم حاول، حين ينشط النموذج الراعى لديهم، أن تربطه بالسياسة. على سبيل المثال، إذا كانوا راعين فى البيت لكنهم

صارمون في العمل، تحدث عن البيت والأسرة وكيف أنهما يرتبطان بالقضايا السياسية. مثال: إن القيم الأسرية الحقيقية تعنى أن والديك لا يجب أن يضطرا عندما يكبران أن يبيعا بيتهما أو يرهنا مستقبلهما ليدفعا للرعاية الصحية أو للأدوية التى يحتاجان إليها.

تجنَّبْ الأخطاء المعتادة. تذكَّرْ، لا تنكرْ فحسب دعاوى الشخص الآخر،بل أعدْ التأطير. فالوقائع غير المؤطَّرة لن تحرِّرك. إذ إنك لا تستطيع أن تفوز لمجرَّد أنك تقول الوقائع الحقيقية وتوضِّح أنها تناقض دعاوى خصومك. ذلك أن الأطر تفوق الوقائع. فأطره ستبقى والوقائع ستتراجع. ولذلك أعدْ التأطير دائمًا.

وإن كنتَ لا تتذكر أى شيء خاص بالتأطير، تذكر هذا: بمجرَّد ما أن يتم قبول إطارك فى الخطاب حتى يصبح كل شيء تقوله حسًا عامًا. لماذا؟ لأن ذلك هو الحس العام common sense: استنتاج إطار مقبول داخل مكان عام.

لا تُجبْ قط على سؤال مؤطَّر من وجهة نظر خصمك. بل أعدْ دائمًا تأطير السؤال ليوافق قيمك وأطرك. قد يجعلك هذا غير مستريح، بما أن أساليب الخطاب الاعتيادية تقتضى منك أن تجيب مباشرة على الأسئلة المطروحة. وذلك فخ. لذلك تدرَّبْ على تغيير الأطر.

كُنْ مُخْلِصًا. استخدم الأطر التى تؤمن بها فعلاً، والقائمة على القيم التى تعتنقها بالفعل.

وهناك شيء من المفيد أن تفعله، وهو أن تستخدم الأسئلة البلاغية: ألن يكون من الأفضل لو ...؟ إن سؤالاً كهذا ينبغى أن يتم اختياره ليستلزم ضمنيًا إطارك. مثال: ألم يكن من الأفضل لو كان لدينا رئيس خاض الحرب ومعه خطة للحفاظ على السلام؟

ابتعدْ عن المقابلات المرتَّبة سلفًا. فالبرامج الحوارية لفوكس نيوز والبرامج الأخرى المحافظة بشكل متزمت تحاول أن تضعك فى موقف مستحيل، حيث يضع المستضيف المحافظ الإطار ويصر عليه، وحيث لا تستطيع أن تسيطر على أخذ الكلمة لا يمكنك أن

تعرض قضيتك ولا تُمْنَح الاحترام الكافى الذى يتيح لك أن تؤخذ بجدية. ولذلك لا تلعبْ إذا كانت اللعبة معدَّة سلفًا.

احكِ قصة. ابحثْ عن قصص حين يكون إطارك مبنيًا ضمن القصة. ابنِ ذخيرة من القصص المؤثِّرة.

ابدأ دائمًا بالقيم، ومن الأفضل القيم التى يشترك فيها كل الأمريكيين مثل الأمن، والرفاهية، والفرصة، والحرية، وما شابه. ولتنتقِ القيم الأكثر ارتباطًا بالإطار الذى تريد أن تتحول إليه. ولتحاول أن تكسب الجدال على مستوى القيم. ولتتخير إطارًا يجسِّد موقفك فيه قيمة يعتنقها الجميع – مثل الإنصاف. مثال: افترض أن هناك شخصًا يجادل ضد شكل من الرعاية الصحية الشاملة. ويجادل بأنه إذا كان هناك أناس ليست لديهم رعاية صحية فإنه خطأهم الخاص: لأنهم لا يعملون بالجدية الكافية أو أنهم لا يتصرفون فى أموالهم بالشكل السليم. ومن ثم فإنه من غير المفروض أنه يجب علينا أن ندفع لهم جزاء عدم مبادرتهم أو سوء تصرفهم المالي. وهنا ينبغى عليك تغيير الإطار: إن الغالبية العظمى من الأربعين مليون شخص الذين لا يستطيعون تحمل نفقات الرعاية الصحية يعملون بدوام كامل فى وظائف أساسية لا يمكنها أن توفِّر لهم أن يدفعوا ما يكفى للحصول على الرعاية الصحية. ومع ذلك فإن هؤلاء الأشخاص العاملين يدعمون أساليب حياة الثلاثة أرباع الأغنى من السكان. ولا بد من أن يقوم بتلك الوظائف الشاقة أربعون مليون شخص ما – وإلا فإنك لن تحظى بأسلوب حياتك الذى تحياه. هذا فى حين أن أمريكا تعد بمستوى لائق من العيش فى مقابل العمل الشاق. وهؤلاء العاملون يكسبون رعايتهم الصحية بعملهم فى وظائف أساسية لدعم الاقتصاد. ولدى اقتصادنا المال ليدفع لهم. والائتمانات الضريبية tax credits هى الآلية الأسهل. إذ ستتم تغطية تكاليف رعايتهم الصحية من جعل نسبة الاثنين فى المائة الأثرى تدفع الضرائب ذاتها التى اعتادوا على دفعها. ذلك أنه من المنصف فى النهاية أن يدفع الأثرياء مقابل الحفاظ على أساليب الحياة التى يحيونها، وأن يُدفَع بإنصاف لأولئك الأشخاص الذين يوفِّرون لهم هذه النوعية من أساليب الحياة مقابل ذلك.

كُنْ مستعدًا. يجب عليك أن تكون قادرًا على التعرف على الأطر الأساسية التى يستخدمها المحافظون، ويجب عليك أن تعد أطرًا تتحول إليها. ويقدِّم الموقع الإلكترونى لمعهد روكريدج (www.rockridginstitute.org) تحليلات نزيهة **nonpartisan** لتحويل الإطار **frame shifting**. مثال: إذا كان أنصار تخفيض الضرائب **tax cut** يقولون : إننا يجب أن نتخلص من الضرائب؛ ذلك أن الناس يعرفون كيف ينفقون أموالهم بشكل أفضل مما تعرفه الحكومة، فلتعدْ التأطير على النحو التالي: لقد استثمرت الحكومة أموال دافعى الضرائب استثمارات حكيمة للغاية. وعلى سبيل المثال يمكنك أن تنظر إلى شبكة الطرق السريعة بين الولايات إذ إنه لا يمكنك أن تنشيء طريقًا سريعًا بأموال الضرائب الخاصة بك. هذا فى حين أن الحكومة أنشأتها. أو لتأخذ الإنترنت الذى تُدفَع نفقاته من أموال دافعى الضرائب إذ لا يمكنك أن تنشيء إنترنت خاصًا بك. وكذلك فإن معظم تقدمنا العلمى يُنفَق عليه من خلال التمويلات التى توفِّرها المؤسسات الوطنية الموقوفة على البحث العلمى والمؤسسات الوطنية للصحة – إنها استثمارات الحكومة الكبرى لأموال دافعى الضرائب. إذ مهما بلغ مدى حكمتك فى إنفاق أموالك الخاصة، لن يكون بمقدورك قط أن تحقِّق تلك الإنجازات العلمية والطبية الفائقة. ثم إلى أى مدى سيمكنك أن تشكِّل جيشك الخاص بأموال ضرائبك المستردَّة؟

استخدمْ القضايا الإسفينية **wedge issves**، تحديدًا الحالات التى سينتهك فيها خصمك معتقدًا من المعتقدات التى يعتنقها بغض النظر عما يقوله. مثال: افترض أنه يناقش قضية الإجهاض. فى هذه الحالة، اطرح قضية معالجة الاغتصاب العسكرى **military rape**، النساء المجنَّدات اللائى اغتصبن (من جنودنا فى العراق أو فى القواعد العسكرية) واللاتى أصبحن نتاجًا لذلك حوامل الآن ولا يستطعن أن يتخلصن من حملهن فى المستشفيات العسكرية؛ لأنها لا تسمح بالإجهاض. إن قانونًا لمعالجة الاغتصاب العسكرى يفترض أن يسمح للمجنَّدات المغتصبات أن يُعالجْنَ فى المستشفيات العسكرية ليتخلصن من الحمل الناتج عن الاغتصاب. ويتمثَّل الإسفين هنا فى أنه: إذا وافقك سيقر الإجهاض، بكل التسهيلات المدعومة حكوميًا غير منقوصة، حيث الأطباء المَهَرة والتسهيلات المتوفرة لإنهاء الحمل. أما إذا لم يوافق، فإنه يفضح نساءنا المجنَّدات اللواتى يضعن حيواتهن على المحك من أجله. وهو ما يعد بالنسبة لهؤلاء النساء وكأنهن قد اغتصبن مرتين، مرة من الجندى المُغتصِب وأخرى من المحافظين البررة فى نظر أنفسهم.

إن الخصم يمكن أن يكون مخادعًا إذا كان هدفه الحقيقي ليس هو ما يعلنه كهدف له. وفى هذه الحالة وضِّحْ بشكل مهذَّب الهدف الحقيقي، ثم أعدْ التأطير. مثال: افترض أنه يبدأ بالثناء على مزايا الحكومة الأصغر. فى هذه الحالة، وضِّح أن المحافظين لا يريدون حقيقة حكومة أصغر. إذ إنهم لا يريدون أن يلغوا وزارة الدفاع أو الـ إف بى أي، أو المالية والتجارة أو تسعة أعشار المحاكم التى تساند قانون الشركات. بل إن ما يحبونه هو الحكومة الكبيرة. وما يريدون فعليًا أن يتخلصوا منه هو البرامج الاجتماعية — البرامج التى تستثمر فى البشر، لكى تساعد البشر على أن يساعدوا أنفسهم. إن مثل هذا الموقف يناقض القيم التى تأسَّست عليها البلاد — فكرة المجتمع الذى يتآزر فيه البشر ليساعدوا بعضهم البعض. وهو ما ظلت تدافع عنه أمتنا منذ جون ونثروب **John Winthrop**.

يمكن أن يستخدم خصمك لغة تعنى عكس ما يقوله، وهى ما يطلق عليها اللغة الأورويلية (نسبة إلى الروائى وأستاذ الأدب الإنجليزى جورج أورويل، مؤلِّف رواية مزرعة الحيوانات ورواية ١٩٨٤، المترجم). وعليك أن تُدرك أن موقفه ضعيف فى هذه القضية. ولذا استخدم اللغة التى تصف بدقة ما يتحدث عنه لتأطِّر النقاش بأسلوبك.

> مثال: افترض أنه يستشهد بـ "مبادرة الغابات الصحية **"Healthy Forests Initiative"** بوصفها مقاربة متوازنة للبيئة. وضِّح أنها ينبغى أن تُدعى "لا شجرة واحدة ستبقى، **"No tree Left Behind"** لأن ذلك يسمح باستئصال الأشجار ويروِّج له، وهو ما يعد مدمِّرًا للغابات والكائنات الحية الأخرى المتواجدة فى موطن الغابات. ولذلك استخدم الاسم لتوضِّح أن الجماهير تحب الغابات ولا تريد إزالتها وأن استخدام الاسم الزائف **the phony name** يظهر الضعف الخاص بهذه القضية. ذلك أن معظم الناس يريدون الحفاظ على روعة أمريكا، وليس تدميرها.

تذكَّرْ مرة أخرى أن هدفنا هو توحيد بلدنا خلف قيمنا، أفضل القيم الأمريكية التقليدية. هذا فى الوقت الذى يحتاج فيه أنصار أيديولوجية الجناح اليمينى أن يقسِّموا البلاد عبر حرب أهلية ثقافية قذرة. إنهم يحتاجون النزاع والصراخ والسباب والإهانات.

إننا نكسب في الخطاب المتحضر والحوار التعاوني المحترم. لماذا؟ لأنه مثال للنموذج الراعي على مستوى التواصل، ووظيفتنا هي استدعاء النموذج الراعي والحفاظ عليه.

إن هذه تمثل وفرة من الخطوط الهادية. إلا أن ثمة أربعة منها فقط تعد مهمة أهمية حقيقية:

**أظهرْ الاحترام**

**ردْ بإعادة التأطير**

**فكِّرْ وتحدَّثْ على مستوى القيم**

**لا تقلْ إلا ما تؤمن به**

# شكر وعرفان

كل صباح تتناول زوجتى كاثلين فرومكين جرائد الصباح قبل أن أتناولها وتتوقف على نحو لا يخطئ إزاء أبرز الانتهاكات السياسية الخاصة باليوم. ولهذا، فإن الكثير مما يظهر فى هذا الكتاب يمثِّل رد فعل تجاه هذه الانتهاكات واستجابة لاستبصاراتها.

أما باميلا مورجان فقد قامت بتحرير النص الخاص بالفصل الأول. كما أنها ساعدتنى على العمل فى الكثير من القضايا المناقشة على مدار الكتاب.

فى حين يعود الفضل فى فكرة هذا الكتاب إلى دون هازين محرِّر آلترنِت **Alter Net** الذى قام بالكثير ليجعل هذه الفكرة ممكنة.

فقد كان مصدرًا ثابتًا للكثير من الأسئلة المهمة والعون الفكرى وغير الفكرى بأشكال مختلفة.

كما أن الكثير من الأفكار التى نوقشت هنا، أثيرت فى نقاشات مع دافيد برودوين وجاسون باتينت، ودان كيرتز، وكاثرين إلين، وإليسا وولف، ولارى ولاك، وفريد بلوك، وكارول جوف، وجيروم كاريل، وكرستين لوكر، وتروى دستر، وروث روزن، وجاسيكا ديكاميلو، وميلندا فرانكو، وجوناثان فرانك، وكاثى لينز، وجودى شورت، وجاسيكا ستيتس.

أما بيتير تيج مدير صندوق ناثان كومينجز فقد كان هو ومجلسه مصدرًا قيمًا وثريا للأفكار.

كما أتوجه بالشكر إلى أصدقاء آخرين ساهموا بأفكارهم فى النقاشات، وهم جورج أكيرلوف، وبول باير، وبيتير بارنز، وجون بلايدز، وويز بويد، ودافيد فينتون، وطونى

فازيو، وبول هاوكين، وآرينا هوفينجتون، وآني ليبوا، وتيد نورد هاوس، وجوف ننبيرج، وكارين باجيت، وروبرت ريتش، ولي روزنبرج، وجون رو، ومايكل شيلينبرجر، وستيف سيلبيرستين، ودانيال سيلفرمان، وجلين سميث، وجورج سورز، وألكس ستيفين، وديبورا تانين، وآدم ويرباخ، وليزا ويتير، وريبيكا وودير، وريتشارد يانووتش وأخيرًا، تحية خاصة لأبي دلاليات الإطار **Frame Semantics**، زميلي في بيركلي، تشارلز فيلمور.

## المؤلف فى سطور:

### جورج ليكوف:

أستاذ العلم المعرفى واللغويات المعرفية فى جامعة بيركلى بكاليفورنيا، وعضو مؤسِّس فى معهد روكريدج. وهو واحد من ألمع اللغويين على مستوى العالم. ويشمل مجال خبرته اللغويات المعرفية والدراسة العلمية لطبيعة التفكير والتعبير عنه باللغة. وهو يزاول منذ منتصف الثمانينيات تطبيق اللغويات المعرفية على السياسة، خصوصًا تأطير الجدل السياسى الجماهيري. وهو مؤلِّف الكتاب المؤثر والشهير، "السياسة الأخلاقية: كيف يفكِّر الليبراليون والمحافظون" (الطبعة الثانية، ٢٠٠٢) . ومنذ عام ٢٠٠٢، وهو مستشار لقادة المئات من جماعات الحقوق حول تأطير القضايا، كما ألقى الكثير من المحاضرات على جماهير غفيرة على امتداد البلاد وأدار العشرات من ورش العمل للناشطين السياسيين وشارك بشكل منتظم فى البرامج الحوارية فى الإذاعة والتلفزيون وتحدث مرتين فى لقاءات إعادة معالجة سياسات أعضاء مجلس الشيوخ من الديموقراطيين، كما كان مستشارًا لمستطلعى الرأى الديموقراطيين ووكالات الإعلان، وأجريت معه لقاءات مطوَّله فى وسائل الإعلام الجماهيرية، وكذلك عمل كمستشار فى حملات سياسية كبيرة وأجرى دراسات واسعة لمعهد روكريدج.

وبالإضافة إلى عمله على الفكر السياسى واللغة السياسية، فإنه أيضًا ناشط فى مجاله الأكاديمي، إذ إنه يحاضر فى الكثير من الجامعات الكبرى فى عشرات البلدان حول العالم. وهو مؤخرًا أحد أعضاء المجلس العلمى لمعهد سانتا فى **The Santa Fe Institute** كرئيس لرابطة اللغويات المعرفية العالمية وكعضو فى المجلس الأعلى لجمعية العلم المعرفى وكمنسِّق مع جيروم فيلد مان لمشروع النظرية العصبية للغة فى المعهد العلمى الدولى للحاسوب فى بيركلي.

وهو مؤلِّف النساء والنار وأشياء خطرة: ما الذى تكشفه الفئات التصنيفية حول العقل. (١٩٨٧)"

وهو مؤلف مشارك مع مارك جونسون لـ الاستعارات التى نحيا بها،(1980, 2003) وأيضًا مؤلِّف مشارك مع مارك جونسون أيضًا لـ الفلسفة فى الجسد: العقل المُجَسْدن وتحديه للفلسفة الغربية (١٩٩٩)، ومؤلِّف مشارك كذلك مع رافائيل نوينز فى "من أين تأتى الرياضيات: كيف يُوجِد العقل المُجسْدَن الرياضيات (٢٠٠٠)".

## المترجم فى سطور:

**طارق النعمان القاضى:**

– مدرس البلاغة والنقد – كلية الآداب – جامعة القاهرة والمشرف على الشعب واللجان بالمجلس الأعلى للثقافة .

**من مؤلفاته :**

– اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجانى: بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفى للعلم، (دار سينا للنشر) .

– المجاز ، دار ميريت.

– ترجم ونشر عددًا من المهمة فى مجال تخصصه.


تليجرام
غواص في بحر الكتب


تليجرام
هنا
سور الأزبكية



هذا الكتاب يحوى ملاحظات مضادة لاستراتيجيات المحافظين والجناح اليمينى فى السنوات الأربعين الماضية، أولئك الذين أداروا ملف الحوار السياسى فى الولايات المتحدة.

ويشرح المؤلف جورج ليكوف كيف يفكر المحافظون، وكيف يمكن معارضة ما يسوقون من حجج، كما أنه يرسم بالتفصيل القيم الأمريكية التقليدية التى ينطلق منها التقدميون، وهى قيم غير مفصح عنها فى الغالب.

ويتطرق ليكوف أيضا إلى الطريقة التى يؤطر بها المحافظون القضايا، ويضرب أمثلة للكيفية التى أمكن بها للمحافظين وضع النزاع فى إطار جديد.

فى هذا الدليل الأساسى تتركز خبرة ليكوف فى البحث والعمل مع القادة السياسيين، وفيه يشرح للتقدميين كيف يفكرون من خلال القيم لا من خلال البرامج، ولماذا يصوت الناس لصالح قيمهم وهوياتهم، ولعكس ما هو فى مصلحتهم فى الغالب.

تصميم الغلاف: حنان محفوظ